t.me/montlq

نظرية الصراع الدولي

دراسة في تطور الأسرة الدولية المعاصرة

د. أحمد فؤاد رسلان



t.me/montlq

يتقدم الصراع الدولى فى الأهمية كافة أشكال الصراع البشرى بسبب ما ينطوى عليه من مخاطر تهدد بوقف مسيرة الحضارة البشرية ، لذلك استحوز هذا الصراع على اهتمام البشرية المعاصرة . ويقدم هذا الكتاب إجابة علمية للسؤال التاريخى الذى يواجه البشرية منذ نشوء المجتمع الدولى وهو : لماذا تتصارع الدول ؟ . ويأتى هذا العمل العلمى ليملأ جانباً من الفراغ الكبير فى المكتبة العربية فى مجال الدراسات الدولية والأستراتيجية .

ويقدم هذا الكتاب أبعاد ومضمون نظرية الصراع الدولى كشرط أولى لكى تمتلك الدولة المعاصرة القدرة للتحكم فى مصيرها ومواجهة الصراع مع خصومها . ويعتبر هذا الكتاب مساهمة علمية جادة تقدم للقارىء العربى رؤية واضحة ومحددة فى كثير من القضايا التى تشارك فى صنع مستقبل المنطقة .

t.me/montlq

نظرية الصراع الدولي

دراسة في تطور الأسرة الدولية المعاصرة

دكتور أحمد فؤاد رسلان



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٨٦

t.me/montlq

الاهــداء

الى روح أبى تحية ووفاء

t.me/montlq

مقدمة

تعتبر ظاهرة الصراع احدى الحقائق الثابتة فى واقع الانسان والجماعة وعلى كافة مستويات الوجود البشرى . والصراع نشاط موجود فى كل مكان . فهو موجود فى العالم البيولوجى حيث الصراع الفردى وصراع الأجناس جزء هام من الصورة . أنه موجود فى كيفية أبعاد عالم الانسان ولذا كان موضع اهتمام ودراسة كافة العلوم الاجتماعية . ويتناول علم النفس الصراع داخل الفرد ، وعلم الأنثروبولوجيا الصراع بين الثقافات ، وعلم الاجتماع الصـــراع داخل وبين الجماعات كما درس الصراع العنصرى والصراع الدينى ، وعلم الاقتصاد الصراع بين المنظمات ، الشركات ، النقابات .. الخ ، والعلوم السياسية الصراع بين التنظيمات السياسية والصراع الدولى ، وعلم التاريخ ما هو الا ســـجل كبير لظاهرة الصراع وحتى الجغرافيا درست الصـــراع اللانهائى بين الماء واليابسة وبين الصحراء والمناطق الزراعية . والصراع يشكل جزءا كبيرا وهاما من الدراسات المتخصصة للعلاقات الدولية وأية علاقات أخرى الأمر الذى دعى بعض العلماء للقول بنظرية عامة للصراع .

وظاهرة الصراع تعبر عن موقف ينشأ من التناقض فى المصالح أو القيم بين أطراف تكون على وعى وادراك بهذا التناقض مع توافر الرغبة لدى كل منها للاستحواذ على موضع لا يتوافق بل وربما يتصادم مع رغبات الآخرين . فالظاهرة تعنى وجود تعارض فى أحد أبعاد الوجود البشرى ، واستمرار هذا التعارض وربما التناقض يؤدى الى أحد أمرين اما الصدام بين الأطراف أو ادارته وحله .

والصراع الدولى ـ اليوم ـ يسيطر على كل ما عداه من أشكال الصراعات فهو أكثرها من حيث الاحساس به والمخاطر المترتبة عليه وهو يضـــم أجزاء ضخمة من مكونات التاريخ البشرى المكتوب . والصراع الدولى يهدد بوقف مسيرة الحضارة البشرية وربما الحياة على كوكب الأرض ، ومن ثم فليس غريبا أن يلفت اليه الأنظار ويصبح هدفا للدراسات العلمية المتعمقة نظرية وتجريبية .

والصراع الدولى ـ اليوم ـ أصبح يغطى مساحة كبيرة من أشكال السلوك الدولى . فالحصار ، تحرك القوات العسكرية تجاه حدود دولة أخرى ، الالزام

t.me/montlq

القسرى للبحارة فى أعالى البحار ، العمل السرى بمختلف أنواعه لتأييد طرف ضد آخر فى صراع دولى واغتيال القادة الأجانب كلها تعد ضمن أشكال السلوك التصارعى الدولى . والحرب بمعنى الصدام المسلح بين جنود يمثلون قوى فاعلة مختلفة على الصعيد الدولى بهدف تحقيق كل طرف لمطالبه عن طريق العنف ، تعتبر أكثر نماذج الصراع الدولى دراماتيكية . وقد شهدت العلاقات الدولية المعاصرة فى العصر النووى تغيرا بالنسبة لاستخدامات القوة العسكرية من حيث طبيعة ، وظيفة وقيمة القوة العسكرية فى السياسة الدولية .

والعدوان الدولى الذى كان له مظهر الفخار والنبل فى القرون الخالية ، اكتسب سمعة سيئة فى القرن العشرين ففى خلال جيل واحد ذاقت البشرية ويلات حربين عالميتين جلبت عليها أحزانا يعجز عنها الوصف . وهذا ما دعى شعوب الأمم المتحدة أن تتعهد بتوحيد قواها كى تحتفظ بالسلم والأمن الدولى وذلك باعلانها كفالة مبادىء معينة ورسم الخطط اللازمة لها والتعهد بألا تستخدم القوة المسلحة فى غير المصلحة المشتركة . والتعهد باتخاذ التدابير المشتركة الفعالة لمنع الأسباب التى تهدد السلم وأن تقمع أعمال العدوان وغيرها من وجوه الاخلال بالسلم وحل كافة المنازعات الدولية بالطرق السلمية .

واذا كان العلم يستطيع احصاء الخسائر المادية والبشرية الناجمة عن الصدام العضوى بين الدول (الحرب) ، فان هناك نتائج غير مباشرة لا يمكن اخضاعها للقياس الكمى ألا وهى القضاء على كثير من المنجزات الحضارية للمجتمع . والتاريخ لم يسجل لنا عدد العلماء الذين كان من الممكن ــ لو قدر لهم الحياة ــ أن يكونوا فى مستوى عالم الفيزياء اينشتين ، وقد قضوا نحبهم فى فردن Verdun ، وكم على شاكلة شكسبير فى العلمين وتشايكوفسكى فى ستالنجراد أو أديسون فى بورك شوب هل Pork Chop Hill . لقد قضى ٢٥ مليون نسمة نحبهم فى ساحات القتال خلال الحربين العالميتين الأولى والثانية وحدهما . وبدلا من أن تتجه البشرية ــ بعد الحرب العالمية الثانية ــ الى الاقلال من احتمالات تعرض البشرية لويلات الحروب ، قدم لنا المحللون الاستراتيجيون ارقاما مخيفة عن الأسلحة النووية والاستراتيجية التى تضمها ترسانات القوتين الأعظم مع التعاظم المستمر فى أساليب الدمار الشامل للسلاح ، ومازالت الأبحاث جارية لتطوير واستنباط أسلحة جديدة وطرق الحرب الكيميائية والبكترولوجية الفتاكة .

لقد اهتم المفكرون منذ عصر أفلاطون وحتى التاريخ المعاصر بدراسة

t.me/montlq

أسباب الصراع الدولى والظروف الضرورية لاستتباب السلام ، والترتيبات الضرورية الواجب اتخاذها لمنع - أو على الأقل - الاقلال من احتمالات الحرب وبربريتها . ولقد مضت عدة قرون شهدت الاحتجاجات على آلام ورعب الحروب وتوجت هذه الاحتجاجات والمطالبة بالسلام باقامة المنظمات الدولية كعصبة الأمم والأمم المتحدة كما قامت عديد من المنظمات الاقليمية من أجل ايجاد تسويات سلمية للصراعات الدولية .

لقد شهد العقد السادس من هذا القرن اهتماما كبيرا من جانب المفكرين الاجتماعيين بمختلف انتماءاتهم الدراسية بمشكلة الصراع الدولى وظهرت قناعة لدى كبار المفكرين فى الحقل الاجتماعى أن الحرب هى المشكلة الكبرى التى تواجه البشرية فكريا واخلاقيا . وقد نما اتجاه فكرى مواز يرى أن التوصل الى نظام تنظيرى كاف لمعالجة مشكلة الحرب والسلام يعتمد بالضرورة على تناول الصراع كعملية اجتماعية عامة . وقد أدى هذا التطور الفكرى الى انشاء الدوريات العلمية ومراكز الأبحاث المتخصصة فى تناول قضية حل الصراع الدولى(*) .

ولقد أدى التطور الذى شهدته النظرية فى حقل العلوم الاجتماعية بالاضافة الى استنباط واستعارة مناهج جديدة للبحث فى اطار هذه العلوم الى اعطاء دفعة قوية للأبحاث العلمية النظرية والتجريبية فى مجال دراسات الصراع الدولى . وقد سمحت المناهج الاحصائية والرياضية التى أدخلت فى دراسة الصراع الدولى ، بتكوين جسد للمعرفة بعد أن أخفقت الدراسات - عبر قرون - فى تحقيق هذه الغاية . وبالرغم من الثراء المنهاجى الذى يشهده حقل الصراع الدولى فانه يعانى من ندرة فى المادة النظرية فهناك فجوة بين التقدم المنهاجى والتقدم النظرى فى دراسة الصراع الدولى .

لقد افتقرت الدراسات الأكاديمية فى العلاقات الدولية حتى قيام الحرب العالمية الثانية الى التنظير والتأصيل الفكرى حتى قيل أنها تمثل الجانب المتخلف من العلوم السياسية . غير أن هذه الدراسات شهدت منذ تلك اللحظة جهودا أكاديمية مكثفة ومستمرة بحيث أصبح هذا العلم يقف اليوم موقف الند لأكثر العلوم الاجتماعية تطورا من حيث استخدام المنهاج العلمى وتوافر وسائل الحصول على المادة العلمية وأساليب معالجة هذه المادة . ويرجع هذا التطور الكبير فى تنظير العلاقات الدولية الى ما يلى :

(*) جرى هذا النشاط داخل الولايات المتحدة حيث تم أصدار جريدة حل الصراع عام ١٩٥٧ كما أنشأ مركز أبحاث حل الصراع بجامعة ميتشجان عام ١٩٥٩ .

t.me/montlq

١ ـ تعاظم المخاطر الناجمة عن الصراع الدولى ـ على ضوء الخيار النووى المتاح لأطراف الصـراع ـ ومحاولة ايجاد الوسـائل الكفيلة بادارة العلاقات بين الدول بأسلوب أفضل وبمخاطر أقل ٠

٢ ـ ظهور مناهج جديدة للبحث العلمى مؤسسة على الملاحظة النظامية وتلى ذلك محاولات أكاديمية لتحديد ورسم حقول العلوم السياسية بهدف ضبط ايقاع الحركة السياسية واكساب هذه الحركة الوضوح والنظام order والتكامل من حيث النتائج ٠ ولقد حاول التحليل النظامى تفسـير البنيـان السياسى على أساس كمى ٠ وبينما أهتمت غالبية الدراسـات المؤسسة على منهاج التحليل النظامى بتطبيق هذا المنهاج على الأفكار ، الظواهر والمفاهيم لبرمجتها فى صورة نظريات ، اهتم جزء من هذه الدراسـات بمجال التطبيق الأمبريقى داخل اطار النظام السياسى لتنتقل فى مرحلة لاحقة الى مجال السياسة الدولية لتهتم مباشرة ببنيان النظام الدولى ومعالجة مشاكل هذه السـياسة كالتوازن الدولى ونظم المحالفات ٠

٣ ـ شعبية الشئون السياسية بما فى ذلك أهم قطاع فيها ونعنى الشئون الخارجية فقد كانت هذه المسائل حتى نهاية القرن التاسع عشـر من صـميم اختصاص الحكام وفئة النخبة Elites ٠

لقد شهدت مسيرة تنظير الصراع الدولى تطورات عديدة ومتعاقبة توازت مع تلك التى شهدتها العلاقات الدولية بصفة عامة وعكست الاهتمام المتزايد بظاهرة الصراع الدولى بصفة خاصة ٠ وكان أول تفسير لظاهرة الصـراع الدولى فى الحقل الأكاديمى على يد كتاب التاريخ الدبلوماسى من خلال مذهب المعرفة العقلانية Cognitive Rationalism حيث ينظر الى الصراع الدولى باعتباره أداة لقادة الدول لتحقيق أهداف معينة ٠ وهذه الأهداف ـ فى تقديرهم ـ هى أهداف خاصة وقد تختفى ـ أحيانا ـ وراء أقنعة ذات قبول عام وتبرير جماهيرى ٠ وتستخدم نظرية المعرفة العقلانية عدة مفاهيم رئيسية هى : الهدف النزاع ، الخطة ، القضية ، السبب ، الوسيلة ، الانفاق وعدد من التعبيرات القانونية كالمعاهدات ٠ وفيما يلى اسـتعراض لأحد أنماط هذه النظـريات التى وردت فى كتابات دافيد جون فيما يتعلق بايضاح العدوان البروسى ضـد سكسونيا عام ١٧٥٦ حيث يذكر :

« أصبح فردريك الثانى مقتنعا بوجود مؤامرة للاطاحة بعرشـه ولاعتقاده أن ذلك أضـحى حتميـا لكن اللحظة المناسـبة لم تحن لأعدائه بعد ، فقد توصـل الى حل لكى يتحاشى ذلك عن طريق غزو سـكسونيا ٠٠

t.me/montlq

وهو قد حسب أولا وقبل كل شيء الاستيلاء على سجلات سكسونيا فى درسدن Dresden والتى اكتشف فيها الائتلاف الذى تكون ضد بروسيا وكانت سكسونيا أحد الأطراف الضالعة فيه ، عندئذ سارع بحل هذه العصبة بالقوة عن طريق ضربة عسكرية سريعة » ٠

وتعتمد نظرية المعرفة العقلانية على المضاربة فى تناول ظاهرة الصراع الدولى ، ويعد هارولد نيكلسون أحد كتاب هذه النظرية الذين اهتموا بمسألة الحرب والسلام ٠

وتعد النظرية السلالية Genetic Theory النموذج الثانى خلال تطور نظرية الصراع الدولى حيث استعار كتاب التاريخ الدبلوماسى مفاهيمهم الرئيسية من النظرية السلالية مثل : الأصل ، السلالة ، التطور ، التدهور ، النضج ، النمو وتعبيرات أخرى مستمدة من الفكر التطورى والداروينية الاجتماعية ٠ واستخدم المنظرون السلاليون الشكل القانونى النظامى فى التحليل حيث تكون البنية فى صورة فروض مبنية على تطور الأسس التى بنت عليها هذه الفروض ٠ ومعظم كتاب هذه النظرية من بين كتاب نظرية المعرفة العقلانية ٠

وشهدت نظرية الصراع الدولى مرحلتها الثالثة على يد هانز مورجانثو وآخرين أصحاب نظرية القوة فى العلاقات الدولية ٠ والصراع الدولى — فى تقديرهم — هو ظاهرة طبيعية ونتيجة لتوازن القوى فى الطبيعة ، وأن موارد الدولة تتحول الى قدرات فعالة — من وقت لآخر — من أجل مواجهة تهديدات الدول الأخرى ٠ وتغلب على مفاهيم هذه المدرسة الصفة الميكانيكية كما استعارت بعضا من مفاهيم نيوتن ومن أهم مفاهيمها : القوة ، النضال ، التسوية ، الاحتكار توازن القوة والأمن ٠ ونجد أن هذه المفاهيم تنعكس فى كتابات جميع المنتمين الى هذه المدرسة أمثال كنيث تومسون ، جورج كينان وريمون آرون وان كانت تختلف من حيث النتائج القيمية فقط ٠ وتعتبر القوة هى الباعث المسيطر على السياسة الدولية ٠ والصفة المشتركة فى كل الكتابات المنبثقة عن نظرية القوة هى اعتبار قدرات الدولة بمثابة أداة التنبؤ بالمستقبل ٠

ولقد ظلت النظريات الثلاث (المعرفة العقلانية ، السلالية ، القوة) حتى منتصف القرن الحالى تمثل أساليب الاقتراب المنهاجية لدراسة الصراع الدولى ٠ واعتمد المراجع العلمية والوثائق ، والمناقشات التحليلية فيما يتعلق بالصراع الدولى على احدى هذه النظريات ٠ وبقيت هذه النظريات فى صورة أيديولوجيات سياسية لأنها ظلت غير خاضعة للاختبار الأمبريقى ٠

t.me/montlq

وشهدت نظرية الصـــراع الدولى الطفرة العلمية الحقيقية خلال الفترة ١٩٥٤/١٩٥٧ وذلك بصدور ثلاثة مجلدات تحتوى على نظريات علمية هى :

١ ــ نظرية صنع القرار DM لريتشارد سيندر ·

٢ ــ نظرية الاتصالات لكارل دوتش ·

٣ ــ نظرية النظم System لمورتون كابلان ·

فقد أصبحت دراسة الصراع الدولى تعتمد على المفاهيم العلمية السلوكية بما أتاح استخدام الأساليب الكمية واختبار الفروض النظرية أمبريقيا · وهذه النظريات تمثل البدائل الرئيسية لأبحاث الصراع الدولى حتى الآن ·

ويركز أسلوب صنع القرار على العوامل التى تحدد القرارات الفردية · وأجريت الدراسات التى تمت انطلاقا من هذا المدخل على أساس تصنيف الظروف التى يمكن أن تؤخذ فى حســـاب اتخاذ القرار فى ثلاث مجموعات من المتغيرات هى :

١ ــ مجالات الاختصـــاص وتتضـــمن هذه المجموعة المفاهيم الهيكلية والتنظيمية مثل تقسيم العمل ، هيكل السلطة ، مدى واتساع القرار وعملية الاحتراف ·

٢ ــ عوامل الاتصال والاعلام · وتتضمن قياس درجة الاهتمام ، المطالب المتنافسة وقنوات الاعلام التى تصل عن طريقها الرسالة ·

٣ ــ الحافز · وتتناول هذه المجموعة دراسة الحالات النفسية والاختيارات الادراكية لصناع القراربالاضافة الى العوامل الاجتماعية التى تؤثر على هذه العملية · ويهتم المنظرون فى هذا المجال ــ كالدراسة التى أجراها بيج عن الحرب الكورية ــ بدور هذه العناصر فى تقرير مسلك الأحداث فى اطار الصراع محل البحث ·

وتعتبر النظرية الاستراتيجية Strategy Theory أحد مشتقات نظرية صــنع القرار وهى التى تعالج أحداث وتفاعلات السياسة الدولية على أساس نظرية الألعاب Game Theory التى تطورت على يد توماس شيلنج وهيرمان كاهن · وتقوم النظرية الاستراتيجية على عدة مفاهيم رئيسية منها : العائد النسبى Payoff ، التغرير Bluffing ، المنافع ، ومعضلة السجين ·· الخ · وتتميز هذه النظرية بالاعتماد الى حد بعيد على التحليل الرياضى ·

t.me/montlq

وقد حاول بعض العلماء تجميع المادة العلمية اللازمة لاختبار فروض النظرية الاستراتيجية فيما عرف بأسلوب افتعال الظاهرة Simulation • وعلى الرغم من الجهود الأكاديمية التى بذلت خلال حقبة الستينات من هذا القرن فى مجال الدراسات الاستراتيجية والتى ساهمت ـ بلا شك ـ فى توسيع مجال هذه الدراسات بحيث لا تقتصر على المسائل العسكرية البحتة ، فقد ظلت مشكلات الاستراتيجية والتكتيك تستحوذ على الاهتمام الأكبر للدارسين •

ويركز المنظرون (بفتح النون) فى مجال نظرية الاتصالات اهتماماتهم على عمليات انسياب الأفراد ، البضائع ، الأفكار والرسائل عبر الحدود الاقليمية بين الدول • وتنطلق هذه المحاولات التنظيرية من فروض رئيسية مؤداها أن الوحدات الدولية التى يقدر لها التفاعل فيما بينها على درجة كبيرة وعبر فترة زمنية طويلة تتجه الى احداث آثار ايجابية على الوحدات الدولية الأخرى بعد ظهور المزايا المتبادلة من استمرار عملية الاتصال بما يزيد عن النفقات التى تتكلفها هذه الوحدات من جراء عملية الاتصال • وأن هذا الاتصال يقود الى نوع من الانسجام فى أهداف السياسة الخارجية للدول المتصلة كما يحدث نوع من المشاركة بين المؤسسات فى هذه الوحدات للاتجاه نحو حل المشاكل الدولية • وقد استخدم كارل دوتش تعبير اندماج للاشارة الى كافة الجهود المبذولة بما فى ذلك تحقيق الانسجام فى أهداف السياسة الخارجية • ويجادل بعض العلماء فى أن تكثيف الاتصال يمكن أن يؤدى الى الاندماج السياسى والوحدة السياسية بين الدول •

والبعد الثالث للثورة التنظيرية للصراع الدولى يتمثل فى نظرية النظم حيث يصر المنظرون النظاميون على أن يكون التحليل على مختلف مستويات الظاهرة محل البحث • والمهمة التى تسبق عملية التحليل هى تحديد أبعاد وحدود النظام مع فصل الظاهرة عن محيطها • وتنطلق هذه الاجراءات النظامية من عدة افتراضات تميز التنظير النظامى •

والمنظر النظامى يستطيع أن يقوم بتحديد المتغيرات الرئيسية والمعايير القياسية لاستقصائه ـ فقط ـ بعد اكمال الاجراءات والمهام الابتدائية من تحديد أبعاد وحدود النظام • وتسعى النظرية العامة للنظم الى ايجاد الوسائل الكفيلة بتحقيق الارتباط العضوى بين الظواهر الكلية والظواهر الجزئية سعيا نحو ايجاد نظرية موحدة Unified للسلوك البشرى طبقا للمفاهيم التى حاول العالم الكندى فون تقديم هذه النظرية باعتبارها الاطار الموحد لكل العلوم •

وعلى نقيض النظرية العامة للنظم باعتبارها وسيلة لتطوير نظرية موحدة

t.me/montlq

للســـلوك البشـــرى ، صاغ بعض المحللين النظاميين مثل مورتون كابلان ، روزيكرانس وسنجر شكل من التحليل النظامى يمكن أن نطلق عليه اسم نظرية التوازن حيث تكون مهمته البحث عن التوازن من خلال المحافظة على خصائص النظام وتوزيع القوة بين أجزائه وكذلك من خلال التغيرات التى تطرأ عليه وظروف تحول النظم من نوع الى آخر ·

وقد اتبعت مجموعة أخرى من العلماء النظاميين أسلوب الدراسة الحقلية Field مثل : كوانس ربت ، رودلف رميل وميشيل هاس حيث استخدموا عملية ايجاد العلاقة الارتباطية بين المتغيرات للسلوك الدولى لوصف مضامين الصراع الدولى من خلال الاشتقاق الأمبريقى ·

وبالرغم من التطور الكبير الذى بلغته نظرية الصراع الدولى خلال الحقبة الحالية فان هناك نقطتين هامتين لم يقدر للجهود التنظيرية معالجتهما وهما :

١ ـ العلاقة بين الصراع الداخلى والصراع الدولى ·

٢ ـ الأبعاد الثقافية للصراع الدولى ·

وبالرغم من وجود عديد من نظريات الصراع الدولى سواء على المستوى الميكروكوزمى أو الماكروكوزمى لكنه لم يقدر ظهور نظرية متسعة المدى تعالج الصراع الدولى من مختلف أبعاده وتربط الظاهرة بمختلف مستوياتها ·

وهناك ظاهرة مميزة لنظرية الصـــراع الدولى وهى اعتماد مصـــادرها الفكرية الى حد بعيد على الفقه الأمريكى · واذا نظرنا الى الاهتمامات غير الأمريكية فاننا نلاحظ تواضعها فى المشاركة فى بناء النظرية · وقد انعكس ذلك فى شكل تأثر المنطلقات الفكرية والبناء النظرى لنظرية الصراع بالأسس الفكرية والمنطلقات الفلسفية الأمريكية · فمن المتفق عليه أن الأمريكيين قد بنوا فكرهم على قاعدة المنفعة ، فالفكرة تقاس بنفعها ، فهى صواب اذا نفعت وهى خطأ اذا لم تنفع ، ولا يكفى عندهم أن يقاس صواب الفكرة بسلامة استدلالها من فكرة غيرها ، والا دارت الطاحونة على خلاء ، وأمحلت الأرض وسكتت العجلات وجاعت البطون ، ونجد لهذا المبدأ الفكرى انعكاساته الشتى فى كل مجالات الفكر والحياة الأمريكية ابتداء من الفن والأدب والتربية وحتى السياسة والعلاقات الدولية · ومن هنا جاء افتقار نظرية الصـــراع الدولى الى تعدد الأبعـــاد الثقافية ·

ودراسات الصراع الدولى أضحت اليوم بكافة أبعادها النظرية والتطبيقية

t.me/montlq

محور الاهتمام على كافة المستويات الأكاديمية والرسمية · وقد ألقى الجميع بأنفسهم فى هذا الخضم لتعاظم الاخطار التى يمكن أن تترتب على افلات الأزمات الدولية من عقالها وخروجها عن حدودها المفترضة · ويرى العالم الفرنسى بيير هسنر أن دراسات الصراع الدولى « أحدثت سلسلة من الثورات فى نظريات العلوم الاجتماعية بصفة عامة ونظرية العلاقات الدولية على وجه الخصوص ·

ويمكن تصنيف الدارسين للصراع الدولى ـ بصرف النظر عن نوعية الدراسة الى فريقين رئيسيين هما :

١ ـ أنصار السلام Pacifists

٢ ـ الاستراتيجيون Strategists

الفريق الأول والذى يضم معسكر الدارسين لسيكولوجية السلام قد أعلنوا المعركة على الحرب ، مسلحين فى هذه المرة بالمناهج العلمية والوسائل الرياضية كالمنحنيات البيانية Equations والألعاب Games التجريبية · ويأتى على رأس هذا الفريق العالمان الأمريكيان بولدنج Boulding ورابوبورت Rapoport · ويقدم هذا الفريق تحليلاتهم مدعمة بثروة من المبررات النظرية ، المفاهيم والنماذج الفكرية Models ·

وتخلص هذه المدرسة الى نتيجة مؤداها ضرورة احداث تغييرات جذرية فى أساليب الممارسة الدولية لتحاشى وقوع حرب عالمية مدمرة ، ومن أجل تحقيق هذه الغاية اقترحت عدة وسائل متنوعة بهدف تغيير مسار الصراع من العنف الى الحوار ·

والفريق الثانى يضم مجموعة من المنظرين ورجال السياسة وتهدف دراساتهم الى تنقية الظاهرة ووضوح الرؤية لادارة الحرب الباردة والضغط على الخصم · ويمثل توماس شلنج أبرز علماء هذا الفريق حيث انصبت دراساته على ميكانيزم واستراتيجيات الاتصال غير المكتوب بين أطراف الصراع · وقدم نظرية المساومة التى تحدد العلاقات العدائية عن طريق الخلط بين الصراع والتعاون كسلوك مميز لهذه العلاقات · ولقد كانت لهذه الدراسات أهميتها البالغة فى فهم النظام الدولى ومراحل الأزمات والحروب والصلات بينها، مما جعل دراسة الصراع الدولى تستأثر بالجزء الأكبر من دراسات السياسة الدولية وتجور على ماعداها من دراسات ، وان كانت هذه الدراسات تحتل الأساس الأقوى فى دراسة العلاقات الدولية حيث تتيح معرفة كيفية عمل النظام

t.me/montlq

الدولى ولماذا يأتى أعضاء هذا النظام بأفعالهم ؟ كما أعطت اجابات صـــريحة لطريقة سير وعمل الاتصال الدولى ٠

وتقع هذه الدراسة التى تعالج نظرية الصراع الدولى على ضوء تطور الأسرة الدولية فى العالم المعاصر ، فى ثلاثة فصول ٠ وقد أفرد الفصل الأول منها لدراسة المصادر الفكرية لنظرية الصراع بصفة عامة ، وقد استدعى ذلك القيام بمسح للعلوم الاجتماعية التى اهتمت بدراسة الظاهرة ، باعتبار ذلك المادة الأولية التى تناولها الفقه الدولى بالدراسة والتنقيح والمواءمة مع الواقع الدولى ٠

وعالج الفصل الثانى الاطار المفهومى لنظرية الصـــراع الدولى ٠ وقد انصبت الدراسة فى هذا الفصل على استعراض وتقويم مختلف الكليات الفكرية التى شهدها الحقل العلمى منذ بداية اجراء الدراسات الجادة فى هذا المجال ٠ وكان هذا الفصل بمثابة المعبر الضرورى الى دراسة الفصل الثالث الذى تناول نظرية الصراع الدولى ٠

وقد تضمن الفصل الثالث استعراض وتقويم لمختلف نظريات الصـــراع الدولى ، سواء من منطلق التحليل الميكروكوزمى أو الماكروكوزمى ٠ وقد حاولت الدراسة تجنب عيب التنقيص المنهاجى الذى وقعت فيه معظم النظريات فى هذا المجال عندما تبنت واحدا من هذين المنهاجين التحليليين وحاولت الجمع بينهما بهدف التوصل الى نظرية متسعة المدى تصلح لتفســـير الظاهرة على جميع الأصـــعدة ٠

ومن الملاحظ أن الدراسات فى مجال الصراع الدولى ـ على الرغم من أهميتها القصوى لمصر والعالم العربى ـ تعانى نقصا واضحا ، ويكفى الاشارة الى أنه لم يوجد حتى هذه اللحظة مركزا علميا يعالج مشاكل الصراع الدولى سواء فى اطار الجامعات المصرية أو خارجها ٠ ومع الايمان اليقينى أن مجهود فرد واحد أو عدة أفراد ـ مهما بلغ اخلاصهم وتفانيهم ـ يقصـــر عن اعطاء الموضوع ما يستحق من رعاية ، فاننى اذ أتقدم بهذا الكتاب كلبنة فى صـــرح دراسات عديدة ومتنوعة ـ نرجو أن ترى النور قريبا ـ لأرجو أن تكون لبنة نافعة فى بناء صرحنا الفكرى ورصيدنا العلمى ٠

والله ولى التوفيق ،،

المؤلف

t.me/montlq

الفصل الأول

المصادر الفكرية لنظرية الصراع

توطئـــــة :

الصراع نشاط موجود فى كل مكان من عالم الانسان ، ودرســـة كافة العلوم الاجتماعية ، وكرست لدراسته مراكز للبحوث العلمية حيث تناولت كافة جوانبه وأبعاده فى اطار ما يطلق عليه علم الصراع البشرى ٠

ولا شك ان هناك اختلاف بين العديد من أنواع الصراع ، ولكن هذا الاختلاف فى حد ذاته لا يمكن تحديده الا على ضوء نظرية عامة للصراع ٠ ولا توجد نظرية عامة واحدة للصراع ـ حتى هذه اللحظة ـ تلقى القبول من العلماء الاجتماعيين فى مختلف أفرع العلوم الاجتماعية ٠ ويستطيع الدارسون للصرا عالبشرى الحصول على أفكار عن الظاهرة محل البحث من فروع علمية متعددة ومتسعة ٠ واذا قدر لنظرية عامة شاملة للصراع أن تتطور ، فانها سوف تحتاج الى مدخلات من عديد من العلوم مثل : البيولوجيا ، علم النفس ، علم النفس الاجتماعى ، علم الاجتمـاع ، الأنثروبولوجيا ، التـــاريخ ، علم السياسة ، الجغرافيا ، الاقتصاد ، نظرية الاتصال ، نظرية التنظيم ، نظرية الألعاب ، النظرية الاستراتيجية ، نظرية صنع القرار ، نظرية الاندماج ، نظرية النظم بالاضافة الى الفلسفة الأخلاقية والانعكاسات الدينية والثيوقراطية ٠ وقد اتجه الثقاة ـ الى وقت قريب ـ فى كافة الفروع العلمية الى قصــــر تناولهم المنهاجى لظاهرة الصراع داخل اطار فرعهم العلمى ٠ حيث قدم كل فرع تصوره الخاص ، تعريفه ، تصـــنيفه ، العلاقات بين أجزاء الظاهرة وأدوات القياس والتقويم للظاهرة ٠ الا أنه خلال العقد الأخير من هذا القرن تغيرت نماذج

t.me/montlq

دراسة الصراع بشكل ملحوظ ، وبدأت ظاهرة الاعتماد المتبادل لمناهج العلوم المختلفة تظهر فى دراسة الصراع • فقد اســتعار العلماء الاجتماعيون المناهج والتشبيهات من الحقول العلمية ذات العلاقة ، ومع ذلك ، فان معظم الدارسين للظاهرة يتفقون على أن عملية التخريج هى عملية طويلة ومعقدة •

وهناك اتفاق أقل بين الجيل الحالى من الدارسين بالنسبة للمستقبل المرئى لامكانية التوصل الى نظرية عامة موحدة تشرح « لماذا يتقاتل الناس ؟ » فنحن – فى اطار العلم – لا نستطيع شرح مالا يمكن التنبؤ به واخضاعه للضبط •• واذا توافرت أى شروح مرضية تتعدى القدرات البشرية على التنبؤ والضبط فاننا لا نستطيع أن نطلق على ذلك لفظ علمى •

تعبر كلمة صراع – عادة – عن الظروف التى تشتبك بمقتضاها جماعة بشرية محددة الهوية (سواء كانت قبيلة ، جماعة عنصرية ، جماعة لغوية ، جماعة ثقافية ، دينية اقتصادية أو سياسية) فى معارضة واعية مع واحدة أو أكثر من الجماعات البشرية المحددة الهوية وذلك بسبب اتباع هذه الجماعات مالا يتوافق مع أهدافها أو يبدو كذلك •

وقدم لويس كوسر تعريفا للصــراع نال رضـــاء عدد كبير من العلماء والمتخصصين ، حيث يرى ان الصراع هو « النضال المرتبط بالقيم والمطالبة بتحقيق الوضعيات النادرة والمميزة ، القوة والموارد حيث تكون أهداف الفرقاء هى تحييد أو ايذاء أو القضاء على الخصوم » • والصراع البشرى هو عملية تفاعل بين البشر ، ولا يتضمن – بداهة – نضـــال الانسان فى مواجهة البيئة الطبيعية • والصراع يختلف عن المنافسة ، فالناس يمكن أن يتنافس احدهم مع الآخر دون أن يكون هؤلاء الناس على وعى بمنافسيهم ، أو دون أن يسعوا لمنع منافسيهم من تحقيق أهدافهم • وتتحول المنافسة الى صراع عندما تحاول الأطراف رفع مكانتها عن طريق انقاص مكانة الآخرين ، ومحاولة اعاقة الآخرين من تحقيق غاياتهم وكذلك محاولة اخراج منافسيهم من دائرة العمل التنافسى أو حتى تدميرهم •

والصراع يمكن أن يكون عنيفا أو غير عنيف ، كما يمكن أن يكون ظاهرا ومسيطرا أو خفيا متنحيا ، صراعا يمكن السيطرة عليه أو صراعا غير ممكن الســـيطرة عليه ، وأخيرا يمكن أن يكون قابلا للحل أو غير قابل تحت مختلف الظـــــروف •

والصراع يختلف عن التوتر اذ أن الأخير يتضمن العداوة ، الخوف ،

t.me/montlq

الشك أو تصور اختلاف المصالح وربما الرغبة فى السيطرة أو الأخذ بالثأر ، لكنه لا يمتد ـ بالضرورة ـ الى أبعد من الاتجاهات أو الادراكات ليصبح مواجهة مفتوحة بين الارادات · والتوتر يسبق ـ غالبا ـ مرحلة انفجار الصراع ، كما يمكن أن تلازمه لكنه ليس هو الصراع · وأسباب التوتر ـ مع ذلك ـ يمكن ان تكون ذات علاقة بأسباب الصراع · وأكثر من ذلك اذا أصبحت التوترات قوية الى درجة كبيرة فانها يمكن ان تشارك فى ظهور الصراع وذلك من خلال التأثير الذى تمارسه على عملية صنع القرار ·

ولا توجد نظرية للصراع يمكن أن تتجاهل العلاقة بين التوتر والصراع ، ولكن هذه العلاقة لا تعنى ان جميع الصراعات الداخلية يمكن ان تشرح فقط على أساس القوى الخارجية أو ان كافة الصراعات الخارجية يمكن ان تشرح فقط على أساس القوى النفسية الداخلية ، لكنهما غير منفصلتين تماما ، فلا يستطيع أحدهما أن ينتقص تماما من الآخر ، ويرجع الدافع اليه فقط · فالحالات النفسية بمفردها لا تستطيع تفسير السلوك الاجتماعى كما أن الظروف الاجتماعية بمفردها ـ أيضا ـ لا تستطيع تفسير السلوك الفردى ·

والصراع هو موقف يتضمن وجود طرفين على الأقل ، والطرف الصراعى هو وحدة سلوك حيث تكون هذه الوحدة قادرة على اتخاذ عدد من المواقف المختلفة بينما تحتفظ فى نفس الوقت بهويتها الخاصة وحدودها الواضحة · والوحدة السلوكية من الممكن ان تكون شخصا ، أسرة ، مجموعة من الناس ، منظمة أو دولة ·

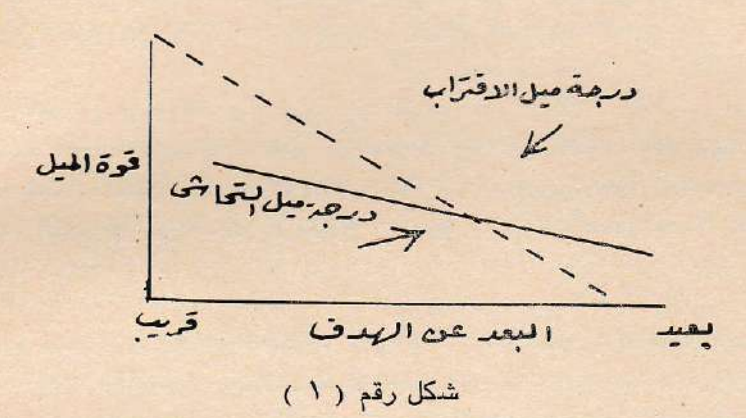
ان تناول دراسة **الفرد كطرف صراع** لا يعنى بالضرورة التعرض لنظرية السلوك الفردى بكاملها وانما ما يتعلق منها بالسلوك الصراعى · وفى هذا المجال يختلف الاقتصاديون فى نظرتهم الى السلوك الفردى عن النفسانيين وهذا الاختلاف مرجعه النظرة المختلفة لنفس الظاهرة · فالاقتصاديون يعتقدون ان الفرد يسعى للبحث عن موضع فى مجال الاختيار الممكن بهدف رفع منفعته الى حدها الأقصى فى سلمه التفضيلى · ويتصور الاقتصاديون ان الفرد عندما ينظر الى امكانات المستقبل يقوم بترتيب أهدافه فى سلم تفضيلى مرتب ترتيبا تصاعديا ومن ثم يتم اختيار الفرد وفقا لهذا الترتيب · والنفسانيون ـ على العكس من ذلك ـ يميلون للتفكير بأن الأفراد يتحركون بسبب عدد من الدوافع توجه سلوكهم نحو أهداف محددة ·

وقدم علماء النفس مشاركة هامة فى هذا المجال ، فقد ذكروا أن الأفراد يواجهون أهدافا منفرة يبتعدون عنها وأخرى مشوقة يندفعون اليها وهذا هو

t.me/montlq

أساس نظرية ميلر ٠ وترى هذه النظرية ان السلوك البشرى مدفوعا بمشوقات ومحجما بمنفرات ٠ والفرد الذى لايمكنه تحقيق التوازن بين الأهداف المشوقة والمنفرة يعانى من عدم استقرار نفسى ٠ وبالتالى يكون فى حالة صراع ٠ وتفترض النظرية وجود نموذجين مثاليين للشخصية الفردية ، احداهما تصنع قراراتها بالتحرك نحو ما تحب ، بينما تصنع الأخرى قراراتها بالتحرك بعيدا عما تكره الشخصية الأولى يمكن ان تسمى الشخصية الاقترابية ، وتسمى الشخصية الثانية الشخصية الابتعادية ٠ والشخصية الاقترابية قادرة على حل صراعات الأهداف بسهولة بينما تجد الشخصية المتحاشية ـ دوما ـ نفسها ازاء أهداف سلبية تتحاشاها جميعا وتدفع دفعا لاختيار احداها ونتيجة لذلك لا يجد الفرد من هذا النوع نفسه فى الحدود التوازنية على الدوام ، ويتضح ذلك من الرسم البيانى التالى :

الصراع الاقترابى - الابتعادى



شكل رقم (١)

واذا كان الفرد من الممكن ان يكون طرفا فى الصراع البشرى ، فانه لا يمثل الطرف الوحيد ٠ ويمكن ان نفرق بين ثلاثة مستويات من الصراع انطلاقا من طبيعة أطرافه حيث نجد على المستوى الأول ذلك الصراع البسيط بين الافراد الذى يمارس عن طريقهم مباشرة وليس عن طريق أى طاقة ممثلة ٠ ونرى هذا الصراع فى المشاجرات الفردية والحزازات الشخصية وتكون هذه الصراعات فى شكل ثنائى عادة ٠ ونجد على المستوى الثانى صراع المنظمات وهو صراع بين جماعات منظمة فى هياكل جيدة البنيان وتحتوى على مؤسسات وأدوار محددة ، ونرى ذلك فى صراع الدولة مع النقابات العمالية ، نقابات ارباب العمل والشركات ٠ ونجد النوع الأخير من الصراع فى مكان وسط بين النوعين الفردى والمنظمى ونعنى **صراع الجماعات** ٠ والجماعة تضم مجموعة

t.me/montlq

سكانية فرعية من الأفراد وتوجد كحقيقة اجتماعية وتتحدد الجماعة عن طريق الانتماء اليها بصفة قاطعة (مثال ذلك الجماعات الدينية) ولكن لا تملك اطار تنظيمى محدد ٠

وبالرغم من ان الصراع بين الجماعات لا يأخذ الشكل الصريح - عادة - الا أنه على درجة كبيرة من الأهمية ٠ فالصـــراع الدولى ليس صـــراعا بين الدبلوماسيين وممثلى الحكومة للدول المتصارعة بقدر ما هو صراع بين جماعتين ، فالصراع الفرنسى الألمانى هو صراع بين الجماعتين الفرنسية والألمانية وكذا الصراع الأمريكى السوفييتى ٠٠ الخ ٠ والصراع الصناعى ليس بين نقابات العمال ونقابات ارباب العمل ولكن بين الرأسماليين والعمال ٠ والصراع الدينى هو فى حقيقته صراع جماعات أكثر من كونه صراع منظمات ٠

والمجتمع الحديث يعرف عددا من الجماعات يمكن تصنيفها على النحو التالى :

(أ) التجمع غير التطوعى :

وهى تتكون نتيجة للتاريخ الجينى للأفراد أعضاء هذه الجماعات وليس للفرد سيطرة عليه ٠ وهذا النوع يضم الجماعات التالية :

١ - الجنس ٠

٢ - الســـــن ٠

٣ - العنصـــــــر ٠

٤ - الوضع الأسرى ٠

٥- القـــرابة ٠

(ب) التجمع التطوعى :

وهذا النوع من التجمع عرضة للتغير ويملك الفرد فيه القدرة على تغيير انتمائه للجماعة ٠ ويضم النماذج التالية :

١ - الجماعات الدينية ٠

٢ - الجماعات الاجتماعية (النوادى ، جماعات الهواية ، الجماعات الموسيقية » ٠

٣ - الأحزاب السياسية ٠

t.me/montlq

٤ ـ الجماعات الطبقية (العليا ، الوسطى ، العاملة) ٠

٥ ـ جماعات الوضـــعية المدنية (المتســولين ، المجرمين ، العبيد ، المواطنين الأصليين) ٠

٦ ـ الجماعات المنبثقة من الطبقات الاقتصادية ٠

٧ ـ جماعات الانتماء الاقليمى أو العالمى ٠

٨ ـ الجماعات ذات الانتماءات العلمية المتماثلة ٠

٩ ـ جماعات الانتماء الاقليمى أو العالمى ٠

وتلعب نسبة المواليد والوفيات دورا هاما فى تقوية أو اضعاف الجماعة كما تمارس تغيرات جذرية على وضعية الجماعة ايجابا أو سلبا ٠ فزيادة عدد جماعة معينة يزيد من التنافس مع الجماعات الأخرى ويبدو ذلك جليا فى الجماعات العنصرية ، اذ ان زيادة عنصر معين يؤدى الى اختلال التوازن بين السكان آخذين فى الاعتبار أهمية التوزيع السنى للزيادة الســكانية ٠ ويمارس تأثير الوالدين فى انتماء الفرد للجماعة دورا كبيرا وغالبا ما يســتمر انتماء الفرد للجماعة بالميلاد دون تغيير بسبب هذا التأثير ٠ وينشأ الصراع بين الجماعات ـ غالبا ـ نتيجة الزيادة فى الانتاج البشرى غير المتوازن بين الجماعات ومن ثم تصبح قضية الصراع أكثر الحاحا ٠

والمنظمة كطرف فى الصراع هى المستوى الثالث والشكل الأخير لأطراف الصراع ٠ ومن الثابت وجود رغبة قوية فى المجتمع البشرى لدى الجماعات غير المنظمة لتطوير تنظيم حتى ولو لم يكن لدى هذه الجماعات وعى مســبق بذلك ٠ ونتيجة لذلك فان صراع الجماعات يتجه بسهولة ليصير صراع تنظيمى ٠ كما ان تزايد عدد التنظيمــات فى المجتمع يمكن أن يخلق صــراعا بين هذه التنظيمات بالرغم من عدم توافر وعى مسبق بذلك ٠ ويعد الصراع أحد اسباب تماسك التنظيم سيما اذا تم الوعى به وربما أصبح العامل المسيطر على سلوك تنظيم معين ٠ ومن ناحية أخرى فان غياب ادراك الصراع لدى التنظيم يعكس انقساما داخل هذا التنظيم وربما أدى الى انقسامه أو تحلله ٠

والمنظمة أو التنظيم عبارة عن هيكل من الوحدات التى تســمى أدوار Roles والدور هو السلوك الفردى للوحدات والذى يتوافق مع هدف التنظيم ٠ وهذه الادوار تتمثل فى أشخاص يقومون بهذه الأدوار باعتبارهم طاقة وتصل بينهم روابط من الاتصــالات والتوافق المتبادل للتوقعات ٠ فالشــركة

t.me/montlq

التجارية كتنظيم تملك عديدا من الأدوار مثال رئيس الشركة ، نائب الرئيس ، المدير ، المحاسب ، المخطط ٠٠ الخ • ويمكننا ان نصنف الأدوار تصاعديا أو أفقيا ، وفقا لتقسيم العمل أو لتقسيم الهيئة العامة ٠٠ الخ • والقرار الذى يتخذه أى دور فى التنظيم هو نتيجة للمعلومات التى يتلقاها والتعليمات التى تصدر اليه ، وهذا ما يعرف بنظرية التنظيم والسلوك •

ان أهم عنصر فى قوة أى تنظيم من الداخل هى قدرته على الابقاء على ولاء المجموعات الصغيرة داخله • ومن أهم وسائل تقوية التنظيم وضع التنظيم فى موقف صراعى • ومن الظواهر الملاحظة فى الصراع التنظيمى هى امكانية التحول المفاجىء لسلوك طرف أو أكثر من أطراف التنظيم والاتجاه نحو تكوين تنظيمات أخرى جديدة •

والصراع لا يتم فقط بين هذه الفئات (أفراد ، جماعات ، تنظيمات) كل على حدة ولكنه يتم أيضا بين هذه الفئات فيما بينها • واذا كان من الصعب تصور صراع يقع بين مجموعة وتنظيم اذ سرعان ما تتحول المجموعة الى تنظيم فانه من المتصور وقوع الصراع بين الفرد والتنظيم وبين الفرد والجماعة • والصراع بين التنظيمات له بعدان الأول ويتضمن الصراع بين التنظيمات المتشابهة فى الخصائص والأهداف كالصراع الدولى والخلافات القانونية بين النقابات والثانى ويتضمن الصراع بين تنظيمات مختلفة الخصائص والأهداف كصراع الدولة مع الكنيسة ، صراع النقابات مع الشركات وصراع الجامعات مع الحكومة • ويطلق على النوع الأول من الصراع اسم الصراع المتجانس Hemogeneous Conflict بينما يطلق على النوع الثانى اسم الصراع غير المتجانس Heterogeneous Conflict •

وظاهرة الصراع البشرى باعتبارها احدى الحقائق الثابتة فى واقع الانسان والجماعة البشرية على كافة مستوياتها تتضمن الى جانب الأطراف الموضوع الذى يثير هذا الصراع ويحدد منشأه •

وتناول ظاهرة الصراع البشرى خلال هذا الفصل سوف تقتضى التعرض للسلوك الصراعى بأبعاده المختلفة بما قد يخرج عن التناول المعتاد للمفهوم بمعناه الضيق • فظاهرة الصراع البشرى ظاهرة عامة تضرب بجذورها فى أعماق مختلف أبعاد الفكر والواقع البشرى ، ومن ثم فان التناول الشامل للظاهرة هو الطريق المتاح للالمام بالأبعاد الحقيقية للمفهوم فى الفكر الاجتماعى عامة والفكر السياسى على وجه الخصوص •

t.me/montlq

التطور التاريخى لنظرية الصراع

اذا تناولنا الصراع البشرى ، منشأه ووسـائل حله ، كحقيقة مركزية وحاولنا البحث عن المصادر التقليدية المتاحة فسوف نحصل على مصادر على درجة كبيرة من الثراء . فكل مجتمع بشرى يحتاج الى حد أدنى من الواقعية لمواجهة صراعاته حتى يستطيع أن يؤمن البقاء والاستمرار . وتعتبر هذه الحقيقة والجهود الفكرية لتحليلها نقطة مبدئية للتوصل الى فهم طبيعة الصراع الذى يواجه أى مجتمع ، من المفاهيم الحديثة نسبيا على الفكر الغربى عموما .

واذا كان الفكر الغربى قد عرف الفكر الصراعى فى اطار المدرسة الواقعية الموضوعية فى غضون عصـر النهضة الاوروبى على يد ميكيافلى أبان القرن السادس عشر ، فقد عرف الشرق القديم الفكر الصراعى قبل ذلك بآلاف السنين، وقد جادل الفيلسوف الصينى هان فى تسو بأن جوهر المجتمع هو القوة وان الناس جبناء وكسولين والخوف هو الذى يخلق الخير فى البشر ، ويدفعهم الى العمل درءا للعقاب .. وخلص للقول ان القوة هى القانون العام الذى يجب أن يحكم العالم فهى الأسلوب الذى يتواءم مع الطبيعة البشرية ، وذلك من خلال توزيع الثواب والعقاب على الناس وفقا لما يحبون وما يكرهون .

وقدم هيراكليتس Heraclitus - فى اليونان القديمة - ملاحظاته عن استقرار الأشياء وأعتقد ان الصراع هو قانون العالم المرئى والحرب تضم كافة أنواع النزاعات البشرية فهى بذلك أب وملك كل صراع . ولم يكن هيراكليتس هو الوحيد فى الفكر اليونانى القديم الذى عزل فكريا ظاهرة الصـراع ، فقد تعرضت لدراسته كافة المدارس الفلسفية الواقعية والوضعية وقد عالج ليونتينى Leontini احد فلاسفة المدرسة السفسطائية ظاهرة الصراع واعتبر الالمام بقوانين الصراع شرط أساسى للقضاء على الوهم الذى يسيطر على عقل الانسـان .

وقد ذهب السفسطائيون الى القول بوجود تعارض بين القانون والطبيعة وان العدالة ليست سوى مصلحة الأقوى وان الطبيعة هى حكم القوة ، والعدالة فى المنطق القانونى أن هى الا حق الانسان الأقوى . ويعتبر القانون فى نظرهم

t.me/montlq

بمثابة المانع الذى تسعى الجماعة الضعيفة لاقامته وتحاول التمسك به لحماية نفسها من الأقوياء . وتخلص هذه المدرسة الى القول بأن الانسان على استعداد لتحطيم القوانين والخروج عليها اذا توافرت له القوة الكافية .

وقد انتقل مذهب السوفسطائيين فى الصـــراع الى المدرســـة الأبيقورية Epicurus ويعتقد الأبيقوروبون ان الانســـان فى بداوته الأولى كان ضاريا كالحيوان المفترس ، وان تحوله من حالة التوحش الى الحضارة قد تم من خلال صراعه مع الطبيعة . وتوصلوا الى ان الهدف من كل القوانين هو تأمين المجتمع من الظلم وان جماهير البشر لا ترتدع من اتيان أفعال ضـــارة الا بسبب الخوف من العقاب . ولذلك فضل الأبيقوريون تحقيق مبدأ الاكتفاء الذاتى الفردى ، وقيام الحكومات القوية لتحقيق الأمن .

نظـــرية الصـــراع عند بوليب :

يعتبر بوليب أول فيلسوف غربى قدم تفسيرا شاملا للمجتمع على أساس مفهوم الصراع . لقد تصور بوليب ــ مثل أفلاطون ــ ان الكارثة العظمى قد أهلكت كل المجتمعات البشرية لكنها تركت بعض الأفراد . واعتقد ان النقص الذى يسبب عدم قدرة الحيوان على الدفاع ليتسنى له العيش موجودة أيضا فى الانسان ، وهذا ما يدفع الانسان الى العيش فى مجتمعات مع أفراد شجعان كالقادة فى الملكيات المطلقة التى يسود الحكم فيها للأقوى والتى تعد أول شكل للجماعة البشرية . وتقوم نظرية الدولة لدى بوليب على أساس علاقات القوة أو الصراع السياسى الذى يعد المحرك الأساسى فى تحول الحكومة من شكل الى آخر فى اطار دورة معينة .

والخطوة التالية التى يمارسها الصراع داخل المجتمع هى التحول من الملكية المطلقة المؤسسة على القوة الى الملكية الدستورية المؤسسة على العدالة وشريعة الأغلبية ، وما يترتب على ذلك من الالتزام بتحقيق السلام والعدل وتأكيد حق الأغلبية والقضاء على الشخصيات غير العادلة . ولكن فروع الملكية تنسى الحاجة الى العدل ــ بعد زوال الأصل المؤسس لها ــ ومن ثم ترتد الملكية الى الطغيان . وعندما يصبح الطاغية فى موقف ضعيف وغير قادر على الصمود تتآمر عليه الفئة المختارة من النبلاء والمفكرين للاطاحة بالملكية المستبدة مستندة فى ذلك الى دعم الشعب . ولكن الارستقراطية تنسى الدرس وتفقد الاحساس برسالتها وتصبح غير قادرة على الاستمرار .

وتأتى الديمقراطية لتحل محل الارستقراطية وتعمل لفترة معينة . ولكن

t.me/montlq

الشعب الذى استخدم أساليب الحرية والمساواة يفرز بعض الأفراد والجماعات التى تبدأ فى التآمر من أجل الاستحواذ على القوة والنفوذ ومن ثم تظهر الديماجوجية وتنتشر الفوضى ويصبح الوقت مناسبا لكى ترتد الحكومة الى الملكية المطلقة لحفظ القانون والنظام ·

ويرى بوليب ان الطريقة الوحيدة لوضع نهاية لهذه الدائرة هى تطوير نوع من الحكومة يتضمن مزيج من عناصر الملكية ، الارستقراطية والديمقراطية· وقد تأثر فكر بوليب من النظام السياسى فى روما القديمة وتطوره رويدا حتى أضحى تجسيدا لنظرية يصبح القناصل فيها تعبيرا عن الملكية ويمثل الكونجرس الارستقراطية كما يمثل الشعب الديموقراطية · وتبرز الدولة ـ فى فكر بوليب ـ كنتيجة لفرض القوة التى يقدر لها الاستقرار لكونها شرعية ·

وبنى بوليب نظريته فى الحكومة المختلطة على أساس استقراء الواقع السياسى من التاريخ الرومانى · وقد خلص الى ان دورة الحكومات وماتنتهى اليه من فساد وانهيار أمر حتمى وقانون ثابت ، ولكن هذا القانون الذى يستند على ظاهرة الصراع لا ينطبق على الحكومة المختلطة بسبب تحقيق التوازن والرقابة بين المؤسسات السياسية فيها ، وتعادل الطبقات الاجتماعية وليست نتيجة توازن القوة السياسية كما ذهب أرسطو ·

ويعتبر بوليب ذو أهمية خاصة بالنسبة للتطور التاريخى لنظرية الصراع فقد عبرت نظرياته عن تجميع للفكر الصراعى السابق له كما كان يمثل القناة التى عبر من خلالها الفكر الاغريقى الى الحضارة الرومانية ·

لقد استند التوسع الرومانى الخارجى على مفهوم القوة والصراع كمبرر لعملية استيعاب وابتلاع الدول الصغيرة · وقد اعتقد الرومان ان السلام العالمى لا يمكن تحقيقه الا من خلال مركزية السلطة فى روما · الا ان سقوط روما كان بداية لاضمحلال فكرة الصراع فى العقل الغربى · ولم يلق مفهوم الصراع استجابة أو اهتماما من جانب كتاب العصور الوسطى فى أوروبا لكنه ـ فى نفس الوقت ـ وجد عناية كبيرة من جانب كتاب العالم العربى الاسلامى وتتطور المفهوم ليصير نظرية للصراع على يد ابن خلدون ·

نظرية الصراع فى فكر ابن خلدون(*) :

اكتشف ابن خلدون ان الظاهرة الاجتماعية تخضع لقوانين كتلك التى

(*) هو عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمى ، ولد فى تونس عام ١٣٣٢ م لأسرة من حضرموت ـ الاقليم الزراعى فى جنوب شبه الجزيرة العربية ـ وقد اكتسب خبرة سياسية =

t.me/montlq

تخضع لها الظاهرة الطبيعية ، كما اكتشف ان هذه القوانين تعمل من خلال حركة الجماهير · ولا يمكن اكتشافها من خلال مجموعة منعزلة من الأفراد · ويرى ابن خلدون ان القوانين الاجتماعية يمكن اكتشافها ـ فقط ـ عن طريق تجميع عدد كبير من الوقائع واخضاعها للملاحظة فى شكل دراسات مقارنة · ويمكن الحصول على هذه الوقائع عن طريق متابعة الأحداث الحاضرة · ويرى ابن خلدون ان القوانين الاجتماعية تعمل بنفس الطريقة فى البنيات الاجتماعية المتشابهة ، فسلوك البداوة يمكن أن يطبق على القبائل العربية ، البربر ، التركمان والأكراد رغم اختلاف هذه القبائل · ولقد كانت معالجة ابن خلدون لقضايا علم الاجتماع بصفة عامة وعلم الاجتماع السياسى على وجه الخصوص بدرجة من المنهاجية العلمية بحيث ترفعه الى مصاف علماء الاجتماع الذين نبغوا فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ·

لقد أولى ابن خلدون ظاهرة الصراع أهمية خاصة ، ويستطيع الباحث ان يتابع معالجة ابن خلدون لهذه الظاهرة فى مواضع عديدة من المقدمة · وقد عبر عن آرائه بشأنها بأساليب مختلفة على النحو التالى :

(أ) معالجة ظاهرة الصراع تفصيلا مع سرد آرائه بشأنها فى فصل مستقل ومثال ذلك « نظرية الحرب » فصل فى الحروب ومذاهب الأمم فى ترتيبها ·

(ب) معالجة الظاهرة فى فصول متعددة يعالج كل منها أحد جوانب الظاهرة مثل « نظرية العصبية » حيث عالجها فى أكثر من فصل واحد ·

(ج) معالجة الظاهرة معالجة عامة دون تخصيص فصل أو فصول محددة لمعالجتها كمسألة « القسر الاجتماعى » ·

ونظرية الصراع لدى ابن خلدون مؤسسة على افتراضات ثلاثة هى :

= كبيرة فى شمال افريقيا والأندلس . وقد تولى منصب رئيس قضاء المذهب المالكى وتوفى فى القاهرة عام ١٤٠٦ م عن عمر يناهز ٧٤ عاما . أهم مؤلفاته « المقدمة » ويعتبره البعض أول عالم اجتماع فى تاريخ العالم ، كما يعده البعض أبو علم الاجتماع . ولقد لفت جوميلويز Gumplowiez نظر العالم الغربى الحديث لأهمية أفكار بن خلدون ، كما تناول أوبنهايمر oppenheimer أفكاره باحترام كبير . وترجم شارل عيسوى وفرانز روزنتال أعمال ابن خلدون الى الانجليزية Charles Issawi, An Arab Philosophy of History (London : John Murray, 1950),

Frans Rosental, The Muqaddimah : An Introduction to History 3 Vols. (N.Y. : Pantheon Books, 1958).

t.me/montlq

(أ) ضرورة الاجتماع للبشر واستحالة معيشتهم منفردين ·

(ب) ضرورة وجود الوازع للبشر وامتناع بقائهم بلا وازع يدفع عدوان بعضهم عن بعض ·

(ج) امكان دفع العدوان بسطوة الملك ·

مفهوم العصبية لدى ابن خلدون :

يعتبر مفهوم العصبية لدى ابن خلدون مفهوما محوريا تدور حوله معظم مباحث « الاجتماع السياسى » فى المقدمة ، كما يفسر منشأ الصراع الاجتماعى والسياسى فى الدولة ·

ومصدر العصبية – فى رأى ابن خلدون – هى الطبيعة البشرية بالاضافة الى أثر القرابة فى الحياة الاجتماعية حيث « ان صلة الرحم طبيعية فى البشر ، الا فى الأقل · ومن صلتها النعرة على ذوى القربى والأرحام أن ينالهم ضيم أو تصيبهم هلكة · وأن القريب يجد فى نفسه غضاضة من ظلم قريبه أو العداء عليه ويود لو يحول بينه وبين ما يصله من المعاطب والمهالك · وهى نزعة طبيعية فى البشر مذ كانوا ·· » ·

« والنعرة تقع من أهل النسب الخاص والعام فى وقت واحد غير أنها تكون أشد فى النسب الخاص ·· والحياة البدوية تقتضى بطبيعتها وجود عصبية قوية لأن المنفردين فى أنسابهم يصبحون « طعمة لمن يلتهمهم من الأمم سواهم » ويعتقد ابن خلدون أن العصبية تفقد قوتها فى الحياة الحضرية · ويمثل مفهوم العصبية جوهر فكر ابن خلدون لأنه يجعل من هذا المفهوم الخاصية المميزة للمجتمع · فالفرد لا يستطيع أن يعيش دون أن ينضم الى زملائه من بنى الانسان وهو لا يستطيع أن يعيش بدون مساعدة الآخرين ويتجمع الناس لحل مشاكلهم وتأمين الحصول على الغذاء لاستمرار حياتهم وانتاج السلاح لمواجهة الحيوانات المفترسة · والعصبيات التى تربط الأفراد ببعضهم لا تبقى منفردة ومستقلة تماما ، ولكن تترابط وتتلاحم – بدورها – لتكون نوعا أكبر وأشمل من العصبيات ·

« والعصبية تحمل الأفراد على التناحر والتعاضد فى المدافعة والحماية والمقاتلة ·· انها ضرورية فى كل أمر يحمل الناس عليه ، من نبوة أو اقامة ملك أو دعوة ، اذ بلوغ الغرض من ذلك كله انما يتم بالمقاتلة عليه ، لما فى طباع البشر من الاستعصاء ، ولابد فى القتال من العصبية · والملك انما يحصل بالتغلب ،

t.me/montlq

والتغلب انما يكون بالعصبية » ٠ والرئاسة لا تكون الا بالغلب ، والغلب انما يكون بالعصبية ، حيث تكون مصدر الحماية والمدافعة والمطالبة ، وكل أمر يجتمع عليه ٠

وتعتبر القوة السياسية ـ بالمفهوم الحديث ـ هى غاية العصبية عند ابن خلدون فهو يرى « أن الملك هو غاية العصبية ، وانها اذا بلغت غايتها حصل للقبيلة الملك ، اما بالاستبداد أو بالمظاهرة ٠٠ فالملك يحصل بهذه الصورة ، والدولة تتأسس على هذا المنوال ، ولا يحصل الملك الا بهذه الصورة ، ولا تتأسس الدولة الا على هذا المنوال ٠٠ لأن الملك منصب شريف ملذوذ ، يشتمل جميع الخيرات الدنيوية والشهوات البدنية والملاذ النفسانية ، فيقع فيه التنافس غالبا ٠ وقل أن يسلمه أحد لصاحبه ، الا غلب عليه فتقع المنازعة وتفضى الى الحرب والقتال والمغالبة » ٠ فالسلطة السياسية ـ عند ابن خلدون ـ هى هدف الصراع والعصبية هى منشأ هذا الصراع فى الدولة ٠

الصراع الدولى فى فكر ابن خلدون :

لقد جعل ابن خلدون من الاطار المفاهيمى للعصبية فرضا عاما لا يفسر الصراع الاجتماعى والسياسى فى الدولة فحسب وانما ينسحب على صـــراع الوحدات فى النظام الدولى برمته وهو بذلك يسجل أول محاولة فكرية فى تاريخ البشرية اذ أن محاولة اقامة نظرية عامة للصراع لا وجود لها فى الفكر الوسيط والحديث ولم تبدأ هذه المحاولات سوى على يد المدرسة الأمريكية ابتداء من منتصف القرن العشرين بعد ظهور المناهج السلوكية والنظامية فى اطار العلوم الاجتمـــاعية ٠

يرى ابن خلدون أن شكل وجوهر كل من المجتمع والدولة واحد ويستندان فى وجودهما على العصبية ٠ ويرى « أن اتساع الدولة يكون متناسبا مع قوة تلك العصبية ٠٠ وكل دولة لها حصن من الممالك والأوطان لا تزيد عليها ٠ وأن الأوطان الخالية من العصبيات ـ فى رأى ابن خلدون ـ يسهل تمهيد الدولة فيها » ويرى أن العصبية فى البدو سمة بارزة لهذه الجماعة وتؤدى الى التضـــامن الاجتماعى وأن هذا التضامن يمكن أن يضعف أو يقوى من الامبراطورية الحاكمة وخلص الى أنه من السهل السيطرة وحكم شعب كبير مستقر بينما يتعذر حكم وطن يضم عدد كبير من القبائل ٠ وقد ساق ابن خلدون تدليلا على ذلك أمثلة من التاريخ الاسلامى حيث ذكر أن الدولة الاسلامية كان من السهل عليها حكم مصر بشعبها الكبير المستقر بينما واجهت صعوبات فى حكم مراكش بسبب تعدد قبائله ٠

t.me/montlq

ويشرح ابن خلدون الأسباب الكامنة وراء هذه الظاهرة فيرجع ذلك الى « أن ساكنى هذه الأوطان من البربر ، أهل قبائل وعصبيات ، فلم يغن فيهم الغلب الأول ٠ وعادوا بعد ذلك الى الثورة والردة مرة بعد أخرى ٠٠ وكثرة العصبيات والقبائل ، تحمل على عدم الاذعان والانقياد للدولة ، بعكس الأوطان الخالية من العصبيات مثل مصر ، فان ملكها فى غاية الدعة والرسوخ ، لقلة الخوارج وأهل العصائب » ٠

وقد عالج ابن خلدون – فى المقدمة – ظاهرة الحرب وخصص فصلا كاملا لمعالجتها ٠ وقد تعرض الى منشأ الحروب بين الدول كما شرح « مذاهب الأمم فى ترتيبها » وتحرى أسباب الغلبة والظفر فيها ٠ ويرى ابن خلدون أن الحرب أمر طبيعى فى البشر « فالحرب وأنواع المقاتلة لم تزل واقعة فى الخليقة ، منذ برأها الله ٠٠ وأصلها ارادة انتقام بعض البشر من بعض ٠ ويتعصب لكل منها أهل عصبيته ٠ فاذا تذمروا لذلك وتوافقت الطائفتان – احداهما تطلب الانتقام والأخرى تدافع – كانت الحرب ٠ وهو أمر طبيعى فى البشر لا تخلو منه أمة ولا جيل » ٠

وأسباب الحرب – فى نظر ابن خلدون – مردها الى أربعة أصول هى :

١ – الغيرة والمنافسة ٠

٢ – العدوان ٠

٣ – غضب لله ودينه ٠

٤ – غضب للملك وسعى لتمهيده ٠

« والأول أكثر ما يجارى بين القبائل المتجاورة والعشائر المتناظرة ٠٠ والثانى ما يكون من الأمم الوحشية الساكنين بالقفر كالعرب والتركمان والأكراد وأشباههم ٠ لأنهم جعلوا أرزاقهم فى رماحهم ، ومعاشهم بأيدى غيرهم ، ومن دافعهم عن متاعه آذنوه بالحرب ٠ ولا بغية لهم فيما وراء ذلك من رتبة ولا ملك أنما همهم ونصب أعينهم غلب الناس على ما فى أيديهم ٠ والثالث ، هو المسمى بالجهاد فى الشريعة ٠ والرابع هو حروب الدول مع الخارجين عليها ، والمانعين لطاعتها ٠٠ وهذه أربعة أصناف من الحروب ٠ الصنفان الأولان منها حروب بغى وفتنة والصنفان الأخيران حروب جهاد وعدل » ٠

وأورد ابن خلدون تقسيما ثنائيا لأسلوب القتال بين الجيوش المتحاربة هى :

t.me/montlq

(أ) الزحف صـــفوفا ٠

(ب) الكر والفر ٠

أما الأول فهو قتال العجم كلهم على تعاقب أجيالهم ، أما الثانى فهو قتال العرب والبربر من أهل المغرب ٠

ويرجع ابن خلدون أســباب الغلب فى الأكثر الى أمور ظاهرة وأخرى خفية ٠ والأمور الظاهرة هى « الجيوش ووفورها ، وكمال الأسلحة واستجادتها وكثرة الشجعان ، وترتيب المصاف ، ومنه صدق القتال وما جرى مجرى ذلك » أما الأمور الخفية فهى « خدع البشر وحيلهم فى الأرجاف والتشانيع التى يقع بها الخذلان ٠٠ وهناك أسباب خفية من نوع آخر ٠٠ وهى أمور سماوية لا قدرة للبشر على اكتسابها ٠٠ تلقى فى القلوب فيستولى الرهب عليهم لأجلها فتختل مراكزهم فتقع الهزيمة » ٠

ميكيافلى ونظــرية الصــراع(*) :

على الرغم من كتابات ابن خلدون عن الصراع وتأثيره البالغ على كتاب الغرب الأوروبى ، فلم يجعل الفكر الغربى ـ خلال العصور الوسطى ـ من مفهوم الصراع القضية المحورية للمعالجة الفكرية ٠ فقد تأثرت الحياة الســياسية والفكرية فى أوروبا فى هذه الفترة بظهور عاملين جديدين هما : الديانة المسيحية والمبادىء التى حملتها القبائل التيوتونية ٠ وكان تأثير المسيحية نتيجة تطور الكنيسة ، وتكوينها لمنظمة عالمية طاعتها مفروضة على جميع المسيحيين أيا كان موطنهم ، أو جنسهم ، أو لغتهم ٠ أما القبائل التيوتونية أو الألمانية فقد جاءت بأنظمة سياسية خاصة تولدت عنها أفكار سياسية جديدة ، تدور حول طبيعة القانون ونظم الحكم ٠

وتعتبر أفكار القديس أوجستين (٣٥٤ ـ ٤٣٠) السياسية من أهم الأفكار التى ظهرت خلال هذه الفترة ٠ وتعتبر فكرته اقامة كومنولث مسيحى هى الفكرة المركزية التى ضمنها كتابه « مدينة الله City of God » حيث صب أوجستين فكرة انتماء الفرد الى مجتمعين أو دولتين فى وقت واحد ، فى قالب يلائم المسيحية ٠ فالانسان ـ فى اعتقاده ـ مكون من روح وجسد وبالتالى هو ينتمى الى وطنين هما الأرض والسماء ، وهذا يحتم أن تكون أمور الناس قسمين دنيوية مصدرها

(*) ميكيافلى Machiavelli (١٤٦٩ ـ ١٥٢٧) الايطالى ابن قاضى فلورنسا ، وعمل مستشارا ثانيا للجمهورية واستمر فى منصبه أربعة عشر عاما وأرسل فى عديد من البعثات الدبلوماسية وأشهر مؤلفاته الأمير والمحاورات .

t.me/montlq

الجسد ، ودينية مصدرها الروح · والتاريخ البشرى ان هو الا « خطى الرب فى هذا العالم » · ويخلص الى أن تاريخ البشرية ما هو الا نتاج الصراع الدائم بين مملكتين هما « مملكة الشيطان » وتسيطر عليها قوى الشر الجسدية ، « ومملكة المسيح » وتسيطر عليها قوى الخير الروحية وأن النصر النهائى لصالح المملكة الأخيرة وهذا يتأتى بخضوع الدولة للكنيسة وتنفيذ أوامرها حيث لا يكون هناك موضع للصراع فى هذه الحالة ·

ولقد كان الكاتب الايطالى نيقولا ميكيافلى هو أول مفكر غربى يجعل من مفهوم الصراع محورا مركزيا للحركة السياسية مع بداية عصر النهضة الأوربية فى مطلع القرن السادس عشر ، وقد تلا فكر ميكيافلى بشأن الصراع اهتماما فكريا مضطردا بنظرية الصراع حتى أضحت تمثل ـ خلال القرن التاسع عشر ـ المفتاح الشارح للأحداث الاجتماعية والسياسية للعقل الغربى ·

ويعتبر كتاب الأمير لميكيافلى أكثر ذيوعا من كتابه الثانى « محاورات فى العشر كتب الأولى لليفى Livy » · وقد جاء مضمون كتابه الأول دعما للدكتاتورية ، بينما كان كتابه الثانى أطروحة فكرية لايطالى وطنى يحلم بوحدة ايطاليا ، ومع ذلك استمرت نظرياته عن الطبيعة البشرية وطبيعة الدولة دون تغير فى كليهما · ولقد انطلقت كافة أفكار ميكيافلى ونظرياته السياسية من عدة افتراضات عن الطبيعة البشرية · فالطبيعة البشرية ـ فى تقديره ـ أنانية ، وأن هناك دافعان يحددان الحركة السياسية فى المجتمع ويصيغان شكل الصراع فيه هما : الرغبة فى تحقيق الأمن من جانب الجماهير ويقابلها الرغبة فى الاستحواذ على القوة من جانب الحكام · ويعتقد ميكيافلى أن الانسان شرير بطبعه ، وهو على استعداد لاظهار طبيعته السيئة عندما تتاح له فرصـــة للتعبير عن هذه الطبيعة » · وقد شرح ميكيافلى فى مؤلفه الأمير رغبة الانسان فى تحقيق الانتصار وعده أمرا طبيعيا ، ويعتقد ان الانسان يكون خيرا عندما يكبح فقط أما اذا اختفت هذه الطبيعة الشريرة لفترة من الزمن فانه يجب ارجاع ذلك لأسباب غير معروفة ويجب « أن نفترض أن الطبيعة البشرية قد افتقدت الفرصة لاظهار نفسها » ·

والطبيعة البشرية ـ فى نظر ميكيافلى ـ عدوانية اســتحواذية ، فالناس يهدفون دائما لاســـتمرار استحواذهم على ما يملكون مع الســـعى الدؤوب للاستحواذ على المزيد · والفقر والجوع يسبغ على الناس صفة الكد والكدح ووجود القانون الملزم يحسن من طبيعة البشر · ويرى ميكيافلى أن البشـــرية بدأت مسيرتها بوجود عدد قليل من الناس كانوا مشتتين ويعيشون معيشـــة الوحوش · وعندما تزايد عددهم نشأت بينهم وسائل الاتصال وبدأ الشـــعور لديهم بالدفاع ضد الآخرين ، وعندئذ نشأت ضرورة وجود حاكم لهم ، وكان

t.me/montlq

عليهم أن يختاروا أقواهم وأشجعهم لكى يتربع على رأس الجماعة وقدموا له الوعد بطاعته •

ان الأمير العاقل والعادل هو الذى يكبح جماح الذين يلحقون الأذى بالغير ويستتب فى ظله الأمن والعدل • وحذر من زيادة ترف الأمير حتى لا يخلق الفرصة لزيادة حقد وحسد الآخرين الذى يؤدى فى النهاية الى التآمر عليه • واحساس الأمير بالخوف من التآمر عليه يخلق منه طاغية • ولكن الطغيـــان لن يمنع المتآمرين من الاطاحة بالأمير واقامة نظام الحكم الارستقراطى الذى لا يلبث حتى يستشرى فيه الفساد ويتحول الى النظام الديمقراطى الذى يتحول بدوره رويدا رويدا نحو الفوضوية التى تستعجل الأيام لاقامة دكتاتورية جديدة •

والحقيقة أن ميكيافلى لم يكن منظرا نظاميا بالمعنى الدقيق ، وانما كان اهتمامه الرئيسى هو توضيح الخصائص السياسية التى بدت له كشروط لازمة للنشاط السياسى • وقد حدد مجموعة من القوى التى تعمل فى المجتمع السياسى وتحدد فى نفس الوقت نتيجة الصراع داخل هذا المجتمع ، وهى : التقاليد ، الدين ، الايديولوجية الشعبية ، الطبقات الاجتماعية (على الأقل طبقتى النبلاء والشعب)، المؤسسات العسكرية وشخصية الدكتاتور • واتفق ميكيافلى مع بوليب فى أن استمرار الدولة عبارة عن نوع من التوازن بين القوى المتصارعة وأن تحقيق التوازن هو المصدر الحقيقى لاستقرار الدولة واستمرار وجودها • وبالرغم من ان ميكيافلى يرى أن توحيد الدولة لن يتحقق الا بعمل عدوانى للدكتاتور ، الا أنه يرى أن الحرية تصل الى درجتها العظمى حين يعترف بمكانة القوى والمصالح المتصارعة فى الدولة خاصة فيما يتعلق بالمحاور الثلاثة الرئيسية الأمير ، النبلاء والشـــــعب •

نظـــرية الصـــراع عند جان بودان :

فى رأى بودان أن نشأة الدولة راجعة الى العائلة نتيجة لما قام بين هذه العائلات من خصـــومات وحروب • وقد أخذت العائلات تكون جماعات تتحد بدورها فيما بينها ، وباتحادها تكونت الدولة • ولقد اعتقد بودان أن الانسان يعيش تحت ضغط روحى الأمر الذى يجعل عمله يتأرجح بين الخير والشر • وأرجع بودان ضـــعف الملكية الفرنســـية الى الصـــراع بين الكاثوليـــك والبروتوستانت وقد أيد الملكية فى مقابل الفصائل الدينية المتصـــارعة • وقد أصدر بودان مؤلفا ضمنه أفكاره فى هذا الشأن عام ١٥٧٦ م بعنوان « الكتب الستة للجمهورية » •

t.me/montlq

ان تكوين المجتمع المدنى شرط أساسى لقيام الدولة · ويرى بودان أن هذا المجتمع يتشكل تحت ضغط الحاجة للدفاع المشترك والعبادة المشتركة ، ثم يتبع ذلك قيام الاتحاد مع الجماعات الأضعف تحت ضغط وسائل الحرب الاقتصادية · واذا كانت الأسرة التى تمثل الشكل الأول للبنية الاجتماعية قد نشأت بالتكامل والاختيار ، فان الدولة لم تظهر الا نتيجة القسر والانتصار فى صراع ·

ويعتقد بودان أن ظاهرة الصراع داخل المجتمع أمر ضرورى ، وأن افتقار المجتمع الى هذه الظاهرة ضار جدا ، وأشار فى هذا الصدد الى افتقار المجتمع الزراعى الى هذه الظاهرة وما يترتب على ذلك من افتقاره الى روح القتال والمغالبة ·

والسيادة تمثل الفكرة المحورية لنظرية بودان السياسية كما تعتبر جوهر المجتمع المدنى · والسيادة ـ فى تقديره ـ هى السلطة غير المحدودة لصنع القانون · والوظيفة الرئيسية للسيادة هى وضع القانون · وأوضح أن القانون لا يكتسب الصفة الالزامية ما لم يصدر به أمر من الحاكم صاحب السيادة · وقد أيد بودان نظام الحكم المطلق المستند على الملكية الوراثية التى رأى فيها القدرة على القضاء على الصراعات الطائفية كما أنه فى اعتقاده أصلح نظام لمعالجة الأزمات علاجا حاسما ·

واذا كان ميكيافلى قد أباح للحاكم أن يتخلى عن معاهدة دولية سبق له أن أبرمها ، فان بودان يختلف معه فى ذلك ويصر على مبدأ احترام المعاهدات بين الحكام · وقد توسع بودان فى استخدام المنهاج الامبريقى الذى سبق استخدامه على يد ميكيافلى · وقد حاول ذلك من خلال دراسة التاريخ ودعى الى الدراسة المقارنة للقانون ·

نظـرية الصـراع عند هوبز :

تأسست أفكار هوبز السياسية بعامة والصراعية بخاصة على الأسلوب المنهاجى القائم على وضع الفروض فيما يتعلق بالطبيعة البشرية · وقبل هوبز المفهوم المادى للانسان والطبيعة كما اعتمد على المنهاج الأمبريقى للتوصل الى المعرفة · فقد رأى هوبز أن جميع أفكار الانسان تبدأ بالحس وأن ما خلى ذلك تفريعات للحقيقة الحسية مثل « الذاكرة ، الاحلام ، الادراك والرؤية · وان الناس يفهمون ويدركون فى الحدود المادية وأنها هى اللغة المفهومة الوحيدة · واللغة البشرية ـ فى نظر هوبز ـ ذات أهمية كبيرة فهى التى تترجم الأحاسيس المادية ولذا يجب أن تصنف فى شكل تعاريف محددة ·

t.me/montlq

ان الفعل البشرى ـ فى رأى هوبز ـ يستند فى وجوده على الرغبة العامة للجنس البشرى وهى الخلود والرغبة المستمرة فى الاستحواذ على القوة ، وان اختفاء هذه الرغبة تكون ـ فقط ـ عند الموت · وتعمل هذه الرغبة فى نفوس الرعية كما تعمل تماما فى نفس الملك ، حيث يذكر :

« ان الملوك بقوتهم المتعاظمة يوجهون جهودهم نحو تأكيد هذه القوة داخل دولهم عن طريق القانون ، وخارج حدودها عن طريق الحروب · وعندما ينجح الملوك فى تحقيق الهدف تنشأ لديهم رغبة أخرى ـ هى بمثابة الجوع لدى الانسان ـ لتحقيق انتصار جديد ·· وهكذا · وهذه الانتصارات تحقق للملوك المتعة الشعورية كما تؤدى الى انطباع الاعجاب لدى الآخرين · وفى نفس الوقت ينصرف الآخرون للابداع فى مجالات أخرى كالفن واظهار البراعة العقلية · والرغبة فى تحقيق الأهداف ، تدعو الناس لقبول الطاعة مشتركة لتحقيق الحماية التى يتمناها الفرد · وفضلا عن ذلك فان الخوف من الموت والتعرض للأذى يؤدى الى نفس النتيجة ولنفس السبب » ·

ويرى هوبز أن العلاقات الطبيعية بين الأفراد تقوم على : عدم الثقة ، التنافس ، الصراع من أجل الهيبة ، وأن الناس فيما بينهم فى حالة حرب مستمرة وأن الحياة ـ فى تقدير هوبز ـ قفر ، رديئة ، وحشية ، همجية وقصيرة · ولا توجد فى الحياة حدود تفصل الحق عن الباطل والعدل عن الظلم ، كما تفتقر هذه الحياة الى وجود معايير للحكم على الهوى أو الشهوات ، وأن الحق الطبيعى لا يعنى أكثر من امكان الفرد أن يمحى وجوده ·

ويجادل هوبز بأن القاعدة المسيطرة على حياة الانسان أنه لا يستطيع أن يملك شيئا الا عن طريق القوة ومن ثم فلا يمكن أن يكون فى حياته عدل أو ظلم حق أو واجب · والانسان ـ فى نظره ـ غير اجتماعى بفطرته فهو لا يحترم حقوق الآخرين الا اذا ضمن أنهم يحترمون حقوقه · وأن الآخرين لا يحترمون هذه الحقوق الا اذا وجدت حكومة قوية تكفل هذا الاحترام · فالدولة فى اعتقاده تجد أصولها وأساسها فى : الحاجة الى حماية الذات والحاجة الى الهروب وهما الشرطان اللازمان للحرب ·

والدولة فى نظره حقيقة فردية تحل محل التعدد وان كل فعل لها لا يلقى الطاعة من جانب الرعية هو فعل غير عادل بصرف النظر عن الاعتبارات الكامنة وراء هذا الفعل · ويؤمن بأن الحكومة يجب أن تعتمد على القوة كى تحقق الغاية من وجودها وهى المحافظة على المجتمع · والسيادة هى القادرة على منع الرعية

t.me/montlq

من خرق قواعد العقد الاجتماعى · وقد حرم هوبز على الأقلية معارضة الأغلبية بدعوى أنها لم تختار السيادة ·

دافيد هيوم ونظرية الصـــراع :

لقد كان لفلسفة دافيد هيوم تأثير كبير على النظرية الاجتماعية بصـــفة عامة وبكافة جوانبها وأبعادها · فقد اخترق هيوم حاجز التحليل المنطقى الذى كانت له الغلبة فى مجال الفلسفة حتى ذلك الوقت ، وأخضـــع الواقعة للمنطق الأمبريقى كأساس للصلاحية العلمية ·

الانسان ـ فى تقدير هيوم ـ مجبر للالتزام بالمجتمع كضرورة وبحكم مولده وانتمائه لأسرة فضلا عن أن العيش فى مجتمع أصبح بالنسبة للفرد عادة · ويسعى الفرد الى اقامة المجتمع السياسى فى مرحلة متقدمة من خلال سعيه نحو اقامة العدالة · والمجتمع السياسى ـ فى نظره ـ شرط لا غنى عنه لتحقيق أمن الفرد والســـلام فى المجتمع وتحقيق التبادل بين أفـــراد المجتمـــع · ويعتقد ـ هيوم ـ أن الجماعة السياسية بدأت عندما تمكن فرد يتمتع بالشجاعة والذكاء من الارتقاء لقيادة هذه الجماعة وأكد أن صفات هذا الفرد هى التى تحتاجها الجماعة فى حالة مواجهة جماعة أخرى ووقوع التصادم بينها (الحرب) ·

ويعتقد هيوم أن واجبات الحكومة تنحصر فى الحفاظ على حقوق ثلاثة هى :

١ ـ المصلحة العامة ·

٢ ـ القـــوة ·

٣ ـ الملكية الخاصة ·

والحكومة ـ فى نظر هيوم ـ عبارة عن نسق معقد يتضمن القوة المادية والرأى العام · ويرى أن السلطة الشرعية فى الدولة هى تلك التى تملك القوة المسيطرة فيها · ويرى أن جميع الحكومات تشتمل على صراع ظاهر أو خفى بين السلطة والحرية · ويؤكد هيوم أن الناس متساوون تقريبا فى القوة الجسدية والقوة العقلية ـ طالما أمكن تربيتها بالتعليم ـ ، ولذا فان الصراع بينهم أمر طبيعى غير أن حاجاتهم المتبادلة تقودهم الى الاجتماع والأنصياع لسلطة آمرة ·

t.me/montlq

ويعتبر الكاتب الانجليزى آدم فيرجسون أحد معاصرى هيوم الذين ساروا على المنهاج الأمبريقى . وقد اعتقد هذا الكاتب أن أهم المؤسسات الاجتماعية ترجع نشأتها للقوة . وأن الصراع فى الجماعات البشرية له فائدة حقيقية وهو ضرورى من أجل التقدم البشـــرى . ويعتقد أنه بدون وجود عداء بين الأمم والتجائها الى الحرب فانه يتعذر تكوين مجتمع مدنى أو تحديد هدف واضح له .

ويصف ـ فيرجسون ـ الشخص الذى لا يتصارع مع أترابه من جنســه غريب أن يوصف بأنه يشارك فى مشاعر الجنس البشرى . ويرى أن معظم أنواع التصادم والصراع بين البشر ترجع الى أسباب اقتصـــادية وسياسية ، وأن أكثرها ظهورا هى تلك التى تتجلى فى العلاقات الدولية والحروب بين الدول . ويرجع ـ فيرجسون ـ الرخاء الاقتصادى الى الصراع السياسى والعسكرى .

ويعتبر الكاتب الفرنسى تورجت من الكتاب الذين اقتفوا أثر هيوم فكرا ومنهاجا . ويرى أن الصراع وتصفية الخصوم مصدر كل تقدم بشرى حقيقى . وقد عالج قضية الصراع بين البداوة والاستقرار . فالحكام يمســكون بأعنة الشعوب المستقرة ولكنهم ، يعيشون تحت تهديد القبائل البربرية التى تحيط بهم وتتربص بهم الدوائر . وعندما تضعف قوة هذه الشعوب المستقرة تقوم القبائل بمهاجمتها والتغلب عليها . ومع مرور الوقت تكتســب القبائل المغيرة ثقافة المهزومين وتصير فى نفس وضعها أى تحت تهديد القبائل المحيطة .. وهكذا .

الاقتصاديون الكلاسيك ونظرية الصراع :

كان ظهور ما يعرف باسم المدرسة الكلاسيكية فى تاريخ الفكر الاقتصادى مرتبطا تمام الارتباط بالتطور الذى حدث فى الحياة الأوروبية والذى شمل كافة نواحى الحياة الانسانية من اقتصادية ، اجتماعية ، سياسية وفكرية . فمن ناحية فلسفة العلوم بصفة عامة ، انتشرت فكرة ، القانون العلمى « فمنذ نيوتن » أخذ المفكرون فى أوروبا يخضعون لفكرة فحواها أن هناك قوانين علمية عامة تحكم العالم كله ، ومن ثم تخضع لها الموجودات من أصغر حبة الى أكبر كوكب . وأن مهمة العلم الحقيقية هى فى الكشف عن هذه القوانين والسبيل الوحيد الى ذلك هو العقل .

لقد اتجه البناء الفكرى العام الذى صاحب نشأة وتطور المدرسة الكلاسيكية نحو تأكيد أهمية « الفرد » وجعله الوحدة الأساسية التى ترتبط بها كل القيم والاحكام . وقد اتجه الفكر فى النطاق الفلسفى الى تخليص الفرد من سيطرة

t.me/montlq

« مبادىء وأفكار » مفروضة عليه من خارج ذاته ، سواء من الكنيسة أو تعاليم أرسطو • وظهر هذا الاتجاه عند ديكارت الذى قرر « أنا أفكر ، فأنا اذن موجود » وقد جعل بذلك من الذات والوجود الفردى أساسا لكل معرفة • وقد هاجم جون لوك وروسو فكرة الحق المطلق للملوك • وفى نطاق الفكر الأخلاقى ظهرت مدرسة النفعيين Utilitarians فى انجلترا التى كان « بنتام » على رأسها • وقد نادت هذه المدرسة بأن كل فرد هو أحسن من يقدر مصالح نفسه وأن سلوكه يسعى لتحقيق أكبر قسط من اللذة وتفادى الألم أو تحمل أقل قدر منه • وأن السعادة الجماعية ليست سوى مجموع السعادات الفردية • وهكذا كان الجو الفكرى العام متجها نحو تأكيد أهمية الفرد ، وقد سارت مدرسة الاقتصاديين الكلاسيك على نفس المنوال •

واذا كانت نظرية الصراع قد ارتبطت ـ خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر ـ بدائرة مشاكل العلوم السياسية ، فان هذا الارتباط قد تحول خلال القرن الثامن عشر ليهتم المنظرون لظاهرة الصراع بشرح الظاهرة الاقتصادية • ولقد كان ظهور مدرسة الطبيعيين Les Physiocrates يمثل الخطوة الأولى نحو بناء الاقتصاد الحديث حيث جعلوا من الاقتصاد السياسى علما مستقلا له كيانه الخاص بين العلوم •

ويرى الطبيعيون أن الظواهر الاقتصادية تخضع ، كما تخضع الظواهر الطبيعية والبيولوجية لقوانين طبيعية لا دخل لارادة الانسان فيها • وهذه القوانين تحكم مظاهر الحياة الاقتصادية وهى تنطلق من مبدأين هامين هما اللذين يوجهان نشاط الأفراد ويكفلان استمرار الحركة والتقدم •

المبدأ الأول هو مبدأ المنفعة الشخصية ، فكل شخص يهتدى فى تصرفاته الاقتصادية بما يحقق منافعه الشخصية • فالمنفعة الشخصية هى الحافز الذى يستحث الناس على النشاط الاقتصادى والقوة التى توجههم لمباشرة هذا النشاط• أما المبدأ الثانى فهو مبدأ المنافسة ، فكل فرد يسعى لتحقيق منافعه الشخصية ، ولكنه حين يفعل ذلك يدخل فى تنافس مع بقية الأفراد فى المجتمع • وهذا يحد من انطلاق الفرد نحو تحقيق منافعه ومن ثم ينشأ الصراع بين الأفراد • هذان هما المبدآن اللذان ينظمان الحياة الاقتصادية فى اعتقاد الطبيعيين •

وفى وسط هذا التطور الفكرى والاقتصادى التى كانت الثورة الصناعية فى انجلترا من أهم ملامحه ظهرت مدرسة يطلق عليها اسم المدرسة الكلاسيكية وقد أسسها آدم سميث الذى تأثرت تأثرا كبيرا بآراء الطبيعيين • وتعتقد هذه

t.me/montlq

المدرسة أن هناك نظام طبيعى يعمل داخل المجتمع ويمكن للانسان أن يتوصل الى معرفته عن طريق التحليل العقلى • والملكية الخاصة للأرض ــ فى اعتقادهم ــ هى المصدر الوحيد للقيمة والأرض هى الرصيد الذى يعيش على أساسه كافة طبقات المجتمع • ويعتقدون أن القطاع الزراعى ــ هو وحده ــ الذى يستطيع أن يضيف قيمة جديدة • أما القطاعات الأخرى فجميعها عقيم وطفيلى • وأن العائد الذى يدعم الحكومة هو عائد انتاجية الأرض • والميزات التى تعود من التجارة ــ فى اعتقادهم ــ ليست سوى فائدة غير مباشرة للزراعة وهى التى تمكن المزارعين من رفع نوعية محاصيلهم •

لقد جعلت النظرية التقليدية للصراع من الدولة هدفا مركزيا للتحليل ، متصورة اياها مؤسسة متوازنة نتيجة للصراعات الناشئة بين الأفراد والجماعات ولقد أدى ظهور الفزيوكراد والكلاسيكيين الى تحول التركيز نحو ظاهرة الصراع، من أجل ضرورات الحياة باعتبارها ظاهرة مركزية فى المجتمع البشرى • وقد أضافت المدرسة الاقتصادية بعدا جديدا للصراع البشرى حين جعلت المنافسة الاقتصـــادية أداة لتحقيق الكفاية الانتاجية وتوفير الاحتياجات الضــــرورية للانســــان •

ولقد أخذ الكتاب الكلاسيك بنظرية مالتس فى السكان ، وجعلوها أساسا من أسس بحثهم فى موضوعات أخرى • ويرى مالتس أن ظاهرة المنافســـة الاقتصادية لها جانبان ، الأول عندما ينظر اليها نظرة ايجابية باعتبارها قاعدة لزيادة الكفاية الانتاجية ، والجانب الثانى عندما ينظر اليهـــا نظرة ســـلبية باعتبارها صراع على القيمة النادرة التى لم يستطع الأفراد أن يحصل كل على نصيبه منها •

ويرى مالتس أن هنا ميلا دائما لدى جميع فصائل الحيوان للتزايد بنسبة أكبر من تزايد كمية الغذاء المتاح لها • ويعمل نفس القانون فى حياة البشر ، فالسكان لديهم ميل دائم للزيادة بدرجة أعلى من وسائل معيشتهم • ويجادل مالتس بأنه ــ على أساس الحساب الاحصائى ــ يخشى من تضاعف عدد السكان اذا لم يتم اخضاع الزيادة السكانية للرقابة والمراجعة مرة كل ربع قرن • وأن الزيادة السكانية تتم على أساس متوالية هندسية Geometric Ratio بينما تتزايد الموارد بمتوالية عددية Arithmetic Ratio • وقدر مالتس عدم امكانية انتاجية الأرض على مواكبة موجة التزايد البشرى • وهذه الزيادة السكانية لا يمكن مواجهتها الا بضبط النسل وهو أقل فى اعتقاده من المخاطر التى يمكن أن تنجم عن الزيادة السكانية •

t.me/montlq

ويرى مالتس أن تزايد السكان سوف يؤدى الى انقاص أجور العمال الى درجة لا تسمح لهم بالعيش بسبب التنافس فى الحصول على فرص العمل • وأنه لن تجدى أى وسيلة بما فيها الهجرة لمعالجة المشكلة سوى بعملية ضبط النسـل •

ولقد تعرض مالتس لعدة انتقادات بسبب فشله فى تقدير النتائج الضخمة التى يمكن أن تسفر عنها الثورة الصناعية • فالولايات المتحدة لم تتعدى نسبة سكان الحضر فيها حتى عام ١٧٩٠ م عن ٥٪ من مجموع السكان • ولم يكن الفلاح ، فى ذلك الوقت ، ينتج أكثر مما يكفيه وعدد قليل من الأفراد معه • وحاليا يزيد عدد السكان الحضر فى الولايات المتحدة عن نسبة ٦٠٪ من مجموع السكان ، وأن الفلاح قادر على انتاج ما يكفيه بالاضافة الى سبعين فردا معه • وحققت دول كثيرة فائضا من الانتاج الزراعى رغم تزايد عدد السكان فيها •

وبالرغم من الانتقادات التى وجهت الى نظرية مالتس فى السكان فقد استطاع مالتس أن يبرز المنافسة كشكل من أشكال الصراع الرئيسية للسلوك الاقتصادى • كما عالج نتائج هذا الصراع على : مستوى الحياة ، ظروف العمل الطبقات الاجتماعية وادارة المجتمع •

الدعم البيولوجى لنظرية الصراع :

استطاع البيولوجيون احراز تقدم ملموس فى نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ، حيث تشكلت خلال هذه الفترة ، الخلية الأولى لعلم البيولوجيا • ولقد استعارت النظرية البيولوجية نظرية الصراع عن مدرسة الاقتصاديين الكلاسيك وبصفة خاصة أفكار مالتس التى كانت بمثابة المحرك الأول للمدرسة البيولوجية فى القرن التاسع عشر • وقام دارون بتفسير عملية التطور تحت تأثير نظرية مالتس •

واهتم دارون اهتماما كبيرا بالتنوع الذى يعترى السلالات الحيوانية ومنها استمد فكرته عن الصراع من أجل الوجود ومفهوم البقاء للأصلح • وقد سار فى خط متواز لهذه المفاهيم فى الحقل الاجتماعى ما عرف باسم الداروينية الاجتماعية ، التى فشلت فى أن تتقدم خلف بعض المفاهيم البسيطة مثل الكراهية المطلقة والبقاء للأصلح • وفى المقابل استطاعت الماركسية أن تجتذب الاهتمام بالنسبة لظاهرة الصراع حيث جعلت منها محورا للوجود الانسانى ، وهذا ما سنتناوله بشىء من التفصيل خلال المبحث التالى عن الظاهرة العامة الصراع •

t.me/montlq

الظاهرة العامة للصراع

ظاهرة الصراع احدى الحقائق الثابتة فى واقع الانسان والجماعة البشرية على كافة مستوياتها . واذا كانت ظاهرة الصراع البشرى ظاهرة كلية Macro فان المكونات البنائية لها تشكل ظواهر فرعية Micro ، ومن ثم تتعدد جوانب وصور ظاهرة الصراع . وتتجلى هذه الحقيقة فى عملية الصراع من اختلاف الأطراف والموضوع فى المواقف الصراعية المتباينة . واختلاف المواقف الصراعية يؤدى الى اختلاف فى المظاهر التطبيقية والعملية للظواهر الصراعية . فالصراع الأسرى يجد تعبيره فى ظاهرة الطلاق ، والصراع الانثروبولوجى يجد تعبيره فى الاضطرابات العنصرية ، والصراع الصناعى فى الاضراب ، والصراع السياسى فى الانتخابات ، والصراع الدولى فى ظاهرة الحرب الدولية .. الخ .

أولا : الصراع البيولوجى Biology

تعتبر العلاقة بين علم الأحياء والعلوم الانسانية واخضاعها للدراسة والبحث من القضايا العلمية التى أثارت اهتمام الجامعات الأوروبية والأمريكية منذ فترة قصيرة . ولم تجد هذه العلاقة ـ حتى الوقت الحاضر ـ الدراسة والاهتمام سوى فى مرحلة الدراسات العليا فى بعض من هذه الجامعات . وهناك جامعات أوروبية عريقة (جامعة أكسفورد) لم تدرج ضمن مناهجها أى نوع من الدراسة المقارنة بين العلوم الاجتماعية وعلم الأحياء .

ولقد شهدت حقبة السبعينات من هذا القرن الاحساس بالحاجة الأكاديمية للوقوف على طبيعة هذه العلاقة . وقد دفعت هذه الحاجة بالدراسات فى هذا المجال دفعة كبيرة الى الامام . وقد زاد من هذه الأهمية ، رغبة الساسة فى الحصول على معرفة دقيقة وشاملة عن الجنس البشرى لمساعدتهم فى رسم مستقبل أفضل لهذا الجنس على هذا الكوكب .

وقد أحرز علم الايثولوجيا(**) خلال العقد الأخير ـ كأحد فروع علم البيولوجيا تطورا وتقدما كبيرين خاصة فى مجال أربعة دوافع حيوانية هى : الانجاب ، الجوع ، الخوف والعدوان . وقد أثارت النتائج العلمية التى توصل

(*) نزولا على الاعتبارات المنهاجية لتناول مختلف جوانب ظاهرة الصراع الدولى ، أدت الى التعرض لظاهرة الصراع من جانب وتفسير هذه الظاهرة من جانب آخر . على ان تفسير الظاهرة سوف يفرد له فصل كامل وهو الفصل الثانى .

(**) علم الأثولوجيا هو علم أصول السلالات ويتناول هذا العلم دراسة السلوك الحيوانى بمختلف جوانبه .

t.me/montlq

اليها الايثولوجيون اعجاب وتعجب علماء النفس وبصفة خاصة فى مجال ظاهرة العدوان - والتى تعد القضية المركزية لظاهرة الصراع - حيث رفضوا مفهوم الغريزة بحسم دون محاولة منهم - كما هو معتاد - لتنقية المفهوم وربطه بالمادة العلمية المتوافرة من علوم أخرى ٠

واذا كان السلوكان الانسانى والحيوانى مختلفين الى حد ما فانهما مع ذلك قد يتشابهان ٠ ويجب أن نأخذ فى اعتبارنا أن المعلومات المستقاة من دراسة السلوك الحيوانى لا تصلح للتطبيق المباشر على السلوك البشرى ٠ والحقيقة - كما يذهب مكنيل McNeil - « أن النتائج التى يمكن أن نتوصل اليها من دراستنا لأحد الأجناس يمكن أن تصلح كنموذج فكرى Model فقط لتكوين فروض علمية Hypotheses بالنسبة للأجناس الأخرى » ٠ والنتائج التى تتوصل اليها الأبحاث فى مجال السلوك الحيوانى ، لا تنهض دليلا كافيا للطريقة التى تحدد مسار السلوك البشرى ولكنها يمكن أن تقدم للأبحاث البشرية مجالات جديدة للبحث المستقبلى ٠

وتتميز الأبحاث فى المجال الحيوانى بأنها تسمح بحرية التجربة التى قد تكون غير ممكنة فى المجال البشرى ٠ وتسمح هذه الدراسات - للعالم الذى يقوم باجراء الدراسات - بملاحظة سلوك عدة أجيال من الأجناس خلال فترة زمنية قصيرة ٠ ويتوجب علينا أن نتذكر أن دراسة السلوك البشرى معقدة بدرجة كبيرة حتى بالمقارنة بأعلى السلالات الحيوانية تطورا ، فالجهاز العصبى فى البشر يؤدى من الوظائف مالا يمكن مقارنتها بتلك التى يؤديها فى أى سلالة حيوانية ٠ واذا كانت دراسة السلوك الحيوانى تلعب دورا فى تبسيط عزل العوامل المؤثرة فى السلوك ، فان تطبيق مضامين النتائج على السلوك البشرى لا شك أنها أكثر صعوبة وتعقيدا ٠

العدوان البيولوجى :

يقدر علماء البيولوجيا أنهم مازالوا بعيدين عن الفهم الكامل لكافة أبعاد السلوك لأى سلالة من السلالات Species الحيوانية ٠ وأنه افتراض صحيح ذلك الذى يرى عدم امكانية فهم سلوك ملايين السلالات الحيوانية ٠ والدارسون للسلوك الحيوانى يمكنهم متابعة دراساتهم باتباع احدى استراتيجيتين ٠ الأولى وتنصب الدراسة بمقتضاها على بحث التعميمات السطحية للأنســـاب ٠ وهذا النوع من الدراسات متوافر ومتاح بالنسبة لمجموعة كبيرة من السلالات ٠ والاستراتيجية الثانية تقتضى من الباحث القيام بدراسة تعمقية فى سلوك سلالة

t.me/montlq

محددة من السلالات الحيوانية · ولكن الدارس ــ فى الحالة الثانية ــ عليه أن يتوقع الوصول الى نتائج محدودة للغاية · ويبدو واضحا أن أفضل النتائج يمكن أن تتحقق من خلال المزج بين المنهاجين الدراسيين للسلوك الحيوانى ·

ويجادل هند Hinde بأن عدوان الانسان على الانسان ــ وقد تركزت دراسته على العدوان بين الأفراد وبين الجماعات الصغيرة ــ يعتبر أحد المشاكل الرئيسية فى عالم الانسان باعتبار العدوان حقيقة ثابتة فى اطار الوجود البشرى ويضيف ، أن ضخامة وبشاعة القنبلة الهيدروجينية جعلتنا نهمل ما تسببه الاعمال العدوانية الفردية ، وننسى حجم الآثار والنتائج التى تسفر عن الصراع الفردى والتى يمكن مقارنتها بالمعاناة المترتبة على التهديد الذروى ·

ان تحديد ما نعنيه بالسلوك العدوانى ، يقتضينا دراسة هذه الظاهرة عند الحيوانات فتلك ضرورة للوقوف على حدود السلوك وديناميانه · وبالرغم من أن الحيوان ، والدراسات السلوكية بشأنه ، يفتقر الى الشعور الذاتى ، الاحلام، والأوهام ولذلك لا يمكن اخضاعها للدراسة · ويختلف البيولوجيون فيما بينهم حول مدى واتساع السلوك الذى يمكن أن يوصف بأنه عدوانى ·· فالسلوك الموجه من فرد الى آخر من نفس السلالة بهدف أحداث الضرر هو سلوك عدوانى ولا تثار بشأنه خلاف ، ولكن الخلاف يثار فى حالة البشر حيث تتوافر عدة وسائل غير مباشرة لتوجيه العدوان ·

ويتضمن العدوان الذى يتخذ صورة الهجوم الدامى Injury ومخاطر التعرض للجروح ومن ثم فان الهجوم يرتبط دائما بعناصر الدفاع الذاتى والاستجابة للانسحاب Withdrawal Response · ولذلك نلاحظ أن بعض مواقف التهديد تنطوى على مزيج من عناصر الهجوم Attack والانسحاب Withdrawal · ويترتب على هذا صعوبة وضع حد فاصل بين الهجوم والتهديد أو بين التهديد والهروب · فالسلوك الفردى أو الجماعى العدائى يتضمن الى جانب التهديد والهجوم كلا من الهروب والخضوع والاستسلام ·

ويستخدم تعبير عدوان ــ فى مضمونه الضيق ــ ليعنى السلوك العنيف الموجه ضد الآخرين ، كما يستخدم ــ فى مضمونه الواسع ــ ليعنى كافة الاتجاهات التى يؤكد من خلالها الانسان ذاته ويعبر بمقتضاها عن فرديته Individuality والتى ينظر اليها فى بعض الأحيان على أنها احدى الخصائص البشرية ·

t.me/montlq

اليها الايثولوجيون اعجاب وتعجب علماء النفس وبصفة خاصة فى مجال ظاهرة العدوان ـ والتى تعد القضية المركزية لظاهرة الصراع ـ حيث رفضوا مفهوم الغريزة بحسم دون محاولة منهم ـ كما هو معتاد ـ لتنقية المفهوم وربطه بالمادة العلمية المتوافرة من علوم أخرى ٠

واذا كان السلوكان الانسانى والحيوانى مختلفين الى حد ما فانهما مع ذلك قد يتشابهان ٠ ويجب أن نأخذ فى اعتبارنا أن المعلومات المستقاة من دراسة السلوك الحيوانى لا تصلح للتطبيق المباشر على السلوك البشرى ٠ والحقيقة ـ كما يذهب مكنيل McNeil ـ « أن النتائج التى يمكن أن نتوصل اليها من دراستنا لأحد الأجناس يمكن أن تصلح كنموذج فكرى Model فقط لتكوين فروض Hypotheses علمية بالنسبة للأجناس الأخرى » ٠ والنتائج التى تتوصل اليها الأبحاث فى مجال السلوك الحيوانى ، لا تنهض دليلا كافيا للطريقة التى تحدد مسار السلوك البشرى ولكنها يمكن أن تقدم للأبحاث البشرية مجالات جديدة للبحث المستقبلى ٠

وتتميز الأبحاث فى المجال الحيوانى بأنها تسمح بحرية التجربة التى قد تكون غير ممكنة فى المجال البشرى ٠ وتسمح هذه الدراسات ـ للعالم الذى يقوم باجراء الدراسات ـ بملاحظة سلوك عدة أجيال من الأجناس خلال فترة زمنية قصيرة ٠ ويتوجب علينا أن نتذكر أن دراسة السلوك البشرى معقدة بدرجة كبيرة حتى بالمقارنة بأعلى السلالات الحيوانية تطورا ، فالجهاز العصبى فى البشر يؤدى من الوظائف مالا يمكن مقارنتها بتلك التى يؤديها فى أى سلالة حيوانية ٠ واذا كانت دراسة السلوك الحيوانى تلعب دورا فى تبسيط عزل العوامل المؤثرة فى السلوك ، فان تطبيق مضامين النتائج على السلوك البشرى لا شك أنها أكثر صعوبة وتعقيدا ٠

العدوان البيولوجى :

يقدر علماء البيولوجيا أنهم مازالوا بعيدين عن الفهم الكامل لكافة أبعاد السلوك لأى سلالة من السلالات Species الحيوانية ٠ وأنه افتراض صحيح ذلك الذى يرى عدم امكانية فهم سلوك ملايين السلالات الحيوانية ٠ والدارسون للسلوك الحيوانى يمكنهم متابعة دراساتهم باتباع احدى استراتيجيتين ٠ الأولى وتنصب الدراسة بمقتضاها على بحث التعميمات السطحية للأنســـاب ٠ وهذا النوع من الدراسات متوافر ومتاح بالنسبة لمجموعة كبيرة من السلالات ٠ والاستراتيجية الثانية تقتضى من الباحث القيام بدراسة تعمقية فى سلوك سلالة

t.me/montlq

وظـائف العـدوان :

يجادل بعض كتاب البيولوجيا بأن العدوان البشرى - بصـرف النظر عن الأحكام القيمية التى تصـدر بشأنه - يقوم بوظائف جد خطيرة فى الحياة البشرية هى :

١ - يعتبر بعض الكتاب أن جميع أشكال سيطرة الانسـان على البيئة الطبيعية جزء من طبيعته العدوانية ، وأن العالم مدين بتطوره وتقدمه للعدوان البشرى ، بمعناه الواسع · وحتى اذا تناولنا العدوان بمعناه الضيق « التسبب فى ضرر الآخرين » فليس ظاهرة غير مستحبة على طول الخط اذ هو الأداة الرئيسية لعملية الانتقاء الطبيعى Natural Selection التى تعد ذات قيمة أساسية بالنسبة لعملية تطور الأنواع ·

٢ - ان الصراع الاقليمى المنطلق من العدوان الاقليمى Territorial aggression هو سر بقاء أو اندثار Perish الأنواع · ويجادل وينى Wynne بأن هذا النوع من العدوان يمثل دينامية الحفاظ على التوازن بين مستوى الكثافة السكانية للنوع ومسـتوى عرض الطعام اللازم لمعيشتها · ويضيف بأن أى نوع يفقد الاحساس بالمضمون الاقليمى مصـيره الفناء · وقد أكد روبرت أردرى Ardrey الزامية المضمون الأقليمى لمختلف الأنواع الحية ·

٣ - هناك بعض أشكال العدوان مرغوب فيها ومصدر متعة للأنشـطة البشرية ومن بين هذه الأشكال - على سبيل المثال -عدوانية الذكر Male ونزوعه للسيطرة الذى يعتبر عامل أساسى للعلاقات بين الأجناس ·

٤ - أن العديد من أبحاث السـلوك الحيوانى وبعض أبحاث السـلوك البشرى · قد توصلت الى أن زيادة وتكثيف العدوان بين فردين يؤدى الى زيادة ونمو ظاهرة الحب Love بينهما فى نفس الوقت ·

٥ - يعتبر السلوك العدوانى أحد الخصـائص الرئيسية لعملية المواءمة والتكيف Adaptive فى معظم الأنواع الحيوانية العليا ·

٦ - أن الأفراد الذين يظهرون درجة معقولة من العدوانية يحققون تكيفا مع طبيعة الحياة أكثر من الأفراد الذين لا يظهرون هذه الدرجة المعقولة · وهذه

t.me/montlq

المقولة تختلف بطبيعة الحال عن تلك التى ترى فى السلوك العدوانى خصيصة ذات قيمة Valuable فى حد ذاتها فى اطار الحياة البشرية ·

٧ ـ أن السلوك العدوانى يمكن أن يكون ضارا ومدمرا ولكن المعضلة التى تواجه البشرية ـ فى حالة توصلها الى وسائل انقاص أو حتى القضاء على العدوان البشرى ـ هى المعرفة على وجه الدقة للآثار التى يمكن أن تترتب على ذلك فى البنيان الهيكلى للشخصية البشرية وقدرة هذه الشخصية على صياغة الحياة والحضارة البشرية ·

أسباب العدوان البيولوجى :

اذا كان السلوك العدوانى ظاهرة غير مختلف على وجودها فى عالم الانسان والحيوان ، فان الأسباب التى تؤدى اليه مثار اختلاف بين مدارس علم البيولوجيا وعلم النفس · وقضية الخلاف الرئيسية التى برزت فى حقلى الدراسات البيولوجية والنفسية خلال الثلاثة عقود الماضية ، حول ما اذا كانت الميول العدوانية الفطرية Innate غريزية Instinctive موجودة بصفة دائمة فى الانسان ، أم أنها تظهر فقط كنتيجة لعوامل خارجية · واذا كان الخلاف بين النفسانيين حاد ويتمثل فى قبول الظاهرة العدوانية كغريزة بشرية (مدرسة التحليل النفسى وفى مقدمتهم فرويد) ، أو رفض الظاهرة باعتبارها وجود غرائزى (المدرسة النفسية التجريبية) ، فان البيولوجيون لا ينكرون الأساس الغرائزى وان كانوا يختلفون حول تلقائية غريزة القتال داخل الجسد ·

واهتم البيولوجيون بالأسباب المؤدية الى ظهور السلوك العدوانى عند الحيوانات · وفيما يلى عرض لأهم النتائج التى أسفرت عنها الدراسات البيولوجية التجريبية عن أسباب العدوان :

(أ) الأسباب الخارجية External :

تتقاتل الحيوانات على الطعام ، الأناث حماية الصغار والأرض · ويتمثل السبب المركزى لاتيان السلوك العدوانى فى القرب المكانى Proximity بين الحيوانات · ويشترط العلماء حدوث تقارب مكانى بين الحيوانات حتى يقع السلوك العدوانى ، غير أن درجة عدوانية السلوك تتأثر بالحالة الداخلية للحيوان · ويسوق العلماء مثلان تقليديان فى هذا الشأن هما :

t.me/montlq

١ ـ التهديد الاقليمى Territorial threat • وقد أجرى العلماء تجارب على الطيور (مثل طائر الحناء Robin) والحيوانات (مثل الأسود والنمور) أسفرت عن الاستعداد ـ غير المشروط ـ للطيور والحيوانات للدخول فى صراع دامى ومصيرى فى حالة تعرض مناطق تواجدهم (الاقليم) لأى تهديد ويؤكد أردرى Ardrey أن هذه الظاهرة ـ كسبب للسلوك العدوانى ـ ظاهرة حتمية أو الزامية Imperative عند كل مجتمعات الأحياء ، وليس المجتمع البشرى استثناء من القاعدة • والانسان والأسد والنمر جميعها مخلوقات اقليمية • ويرى أردرى أن الحافز الاقليمى عند الانسان هو السند البيولوجى لظاهرة الملكية الفردية والوطنية الاقليمية • ويضيف أن ذلك سلوك فطرى لنظام بيولوجى قديم موجود فى طبيعتنا عن طريق الضرورات الانتقائية لتطورنا التاريخى •

٢ ـ الحفاظ على الهيبة والوضعية Status : وقد أسفرت الدراسات عن استعداد الحيوان لأن يقاتل عن أن يحرم من وضعيته داخل الجماعة • وأن تكرار نجاح هذا الحيوان فى القتال يمكن أن يجعل هذا الحيوان أكثر عدوانية •

(ب) الأسباب الداخلية Internal :

يتأثر السلوك العدوانى عند الحيوان بأسباب داخلية لدى الحيوان ، حيث تحدد هذه الأسباب درجة وأسلوب السلوك العدوانى ، وفيما يلى أهم النتائج التى توصل اليها البيولوجيون فى هذا الشأن :

١ ـ الافراز الهرمونى Hormonal : أثبتت التجارب التى أجريت على مجموعة من الطيور التى تنتمى الى نوع واحد ، فى أوقات متفاوتة ، عن تفاوت درجات العدوان لديها • فقد لوحظ أن الطيور تعيش فى فصل الشتاء فى شكل جماعات كبيرة ، ولا تهاجم الجماعات الأخرى الااذا اقتربت منها ، ويتحول هذا السلوك خلال فترة بناء العش وفصل التغذية Breeding Season الى هجوم على نطاق واسع على الجماعات الأخرى • وقد توصلت هذه الدراسات الى أن اختلاف السلوكين يرجع الى التغير فى الافراز الهرمونى داخل جسد الطير من فصل الى آخر • ويدرس البيولوجيون أثر التقلبات المناخية والموقفية على دائرة الميول العنيفة Oestrous cycle لدى الثدييات Mammals . وقد توصلت بعض الدراسات التى أجريت على مجموعة من الطيور ، أن مرتبة Rank الفرد داخل الجماعة تتأثر بنسبة افراز الهرمون النخاعى Pituitary • كما توصلت أيضا الى تأثر الوضعية Status

t.me/montlq

الاجتماعية للطير بنسبة افراز الهرمون الجنسى Sex • كما ساعدت الدراسات التى أجريت على الفئران لمعرفة تأثير الحمل والولادة على الحالة الداخلية للحيوان ومدى تأثيرها على السلوك العدوانى له • وقد تبين من التجارب اقدام الأناث الحوامل على سلوك عنيف أكثر من قريناتهن غير الحوامل • فقد لوحظ أن الأناث الحوامل يهاجمن الذكور والأناث غير الحوامل بينما تصبحن أكثر تسامحا مع الأناث الحوامل بل وتسعين للتعايش معهن • وهناك علاقة بين العدوان وانتاج الهرمون الذكرى Male Hermon فى معظم الحيوانات •

٢ ـ **الاحباط** Frustration : يوافق معظم علماء النفس على أن الاحباط الذى يتعرض له الانسان يؤدى الى ظهور سلوك عدوانى لديه مع الأخذ فى الاعتبار أن الاحباط عند الانسان يمكن أن يأخذ عدة صور حقيقية أو تخيلية • وقد درس البيولوجيون تأثير الاحباط على السلوك الحيوانى حيث أجرت مجموعة من العلماء تجربة على الحمام أوضحت زيادة نسبة عدوانيته عند تعرضه للاحباط • وقد طبق فون جودال Von Goodall عام ١٩٦٨ هذه النتائج على سلوك الشمبانزى المتوحشة فتوصل الى نفس النتيجة •

٣ ـ الألم : أثبتت التجارب أن تعرض الحيوان للألم يزيد من درجة سلوكه العدوانى • فقد أجريت تجربة على الفئران حيث تم تعريضها لصدمة كهربائية نتج عنها سلوك عدوانى وبدت الفئران التى تعرضت للصدمة فى حالة استعداد للهجوم على الأخرى التى لم تتعرض لها • ويفسر العلماء أن هذه الظاهرة تمت تحت تأثير موروثات اجتماعية وخبرة سابقة •

٤ ـ الخوف : ينشأ الخوف ـ عادة ـ من حدوث مهيج غير عادى • وقد أثبتت الدراسات التى أجريت على الشامبانزى أن تعرضها للخوف يؤدى الى تعرضها للشلل الفجائى خلال لحظات ثم يتحول سلوكها الى سلوك عدوانى • وينظر العلماء الى الاقتتال الدفاعى عند الحيوانات القرنية على أنه راجع الى زيادة العدوان لديها بسبب الخوف •

٥ ـ التركيب الجينى للفرد Genetic Constitution : يدرس علماء البيولوجيا العلاقة بين التركيب الجينى (الصفات الوراثية داخل الخلية الحية) للكائن الحى وسلوكه العدوانى • كما يدرسون اختلاف درجات العدوان لدى الأنواع والسلالات من هذه الاحياء وفقا للعوامل الوراثية • ومن التطبيقات العلمية لعلاقة العوامل الوراثية بالسلوك العدوانى نموذج « الأهداف الغريزية للعدوان » •

t.me/montlq

إشـــكالية الغـــريزة :

الغريزة باعتبارها المسئولة عن السلوك العدوانى فى الكائنات الحية لم تلق استجابة كاملة وغير مشـــروطة من علماء البيولوجيا وان كانوا جميعاً لا ينكرون أن السلوك العدوانى لدى الكائنات الحية يستند ــ كأحد الأسباب ــ الى العوامل الغريزية أو الفطرية ٠

لورنز والعدوان النوعى :

تعتبر النماذج السلوكية الحيوانية التى قدمها لورنز من أهم الانجازات العلمية منذ أن قدم مندل قانونه فى الوراثة ٠ ويعترف لورنز بأن هناك علاقة بين عاملين من عوامل التكيف التطورى وهما : السلوك الفطرى وعملية التلقين فى البيئة ٠ ويعتبر العدوان غريزة ككل الغرائز الموجودة فى طبائع الكائنات الحية والتى تساعد ــ فى الظروف العادية ــ تماما كالكثير من الغرائز الأخرى على تأكيد بقاء الفرد أو النوع ٠

وقد أجرى لورنز عدة أبحاث حول العدوان لدى أنواع وسلالات من : السمك ، الكلاب ، العصافير ، الفئران ، والأيائل ٠ وقد توصل الى أن العدوان يختلف تماما عن المبدأ التدميرى الذى عبر عنه الفرض الفرويد(Thanates) . وقد وجد لورنز أن العدوان يقع بين أفراد النوع الواحد ولا يحدث بين أنواع مختلفة ٠ ويضيف أن قيام حيوان من نوع بقتل حيوان من نوع آخر من أجل الطعام لا يعتبر ــ فى اعتقاده ــ سلوكا عدوانيا ٠ فالغريزة العدوانية الحقيقية ــ حسب لورنز ــ لا تعبر عن نفسها بين الأنواع ٠ ولكن تقع دائما داخل اطار النوع الواحد Intra-Specific ويتضح ذلك فى تشبث طير أو حيوان فى الدفاع عن أرضه تجاه أفراد من نفس نوعه ٠

ويعتقد لورنز أن الدافع العدوانى عند الكائن الحى يســـاعد على حفظ النوع وانتشاره على أكبر مساحة ، كما يشارك فى انتقاء الأفضل لاعادة انتاج السلالات الأقوى والأفضل من خلال القتال الذى يجرى بين الذكور من أعضاء النوع الواحد ٠ وتتقاتل الحيوانات ــ عادة ــ بهدف منع الاعتداء ، امتلاك الانثى وحماية النسل Brood ٠ ويذكر لورنز أن الغريزة العدوانية عند الحيوانات تعبر عن نفسها فى صورة طقوس أقرب الى أساليب السحر وقد أطلق عليها تعبير طقوس العدوان ٠ Ritualization of Agg. وهى قادرة ــ دائما ــ على الحفاظ على النوع ٠

t.me/montlq

ويخلص لورنز الى أن العدوان عند الحيوان والانســـان يبدأ غريزيا ٠ ويأمل أن يستطيع الانسان تنقية وضبط دافعه العدوانى كما فعلت بعض أنواع الحيوانات الأقل تطورا حتى لا يؤدى هذا الدافع الى تدمير نوع الانسان على هذا الكوكب ٠ ويرى لورنز أن المعضلة الحقيقية التى تحد من قدرة هذا الكائن (الانسان) على تحقيق الهدف تكمن فى ضعفه ٠ فالمخلوقات الضعيفة مثل : الحمام ، الشمبانزى ، والانسان تفتقر ـ عادة ـ الى القوة اللازمة لقتل عدو Foe فى مثل حجمها ، ولذا تكون دائما تحت ضغط اقامة وتطوير وسائل تأمينها ، وقد لجأ الانسان الى السلاح كوسيلة لتحقيق الهدف ٠

ويقدر لورنز أن مأساة البشرية تكمن فى اختراع أسلحة الدمار الشامل التى أخلت بالتوازن الذى ظل موجودا منذ فجر التاريخ بين امـــكانية القتل والموانع الاجتماعية ٠ وقد فقد الانسان آليات الحركة Mechanisms التى من شأنها منع المذابح الجماعية بلا حدود ، ولذلك فقد هذا التوازن ٠

لقد أدت نتائج الدراسات التى أجراها لورنز الى احياء اهتمام علماء النفس بنظريات الغرائز ٠ ولكن هذا الاهتمام يجىء من منطلق يختلف عن المنطلق الفرويدى القائم على حافز الاثارة الذاتية للتدمير ، حيث تكون الغريزة عند لورنز هدفها تحذير الآخر لأن يبقى بعيدا ٠ وهى غريزة تدخل حيز العمل عندما تستثار فقط بالرغم انها كانت فى البداية تعمل من خلال الحافز ٠

ســـكوت وتأثيرات البيئة :

ينكر جون بول سكوت Scott امتلاك الانسان لغريزة العدوان ويرى أن القائلين بذلك يعتمدون فى دعواهم على الحدس Presumably استنادا الى ميراثه البيولوجى وعضويته فى مملكة الحيوان ، ويضيف أن مذهب غريزة العدوان يواجه صعوبة فى الدفاع عن نفسه ٠

ويعتقد سكوت أن ما يعرف « بالأهداف الغريزية للعدوان » هى مسألة تعلم أكثر من كونها غريزة موروثة كما يمكن أن تكون تعبيرا عن غريزة حب السيطرة ٠ ويضيف أن التدخلات التجريبية على الحيوانات سواء بالوسائل الكهربائية ، الكيميائية أو الجراحية Surgical فى المخ قد أسفرت عن تغييرات فى مسار السلوك العدوانى عند الحيوان ٠ ومن الممكن أن تطبق هذه النتائج للتأثير على السلوك العدوانى ٠

t.me/montlq

ويرى سكوت أن السلوك العدوانى هو نتيجة لعملية التلقين Learninig حيث تتزايد الدوافع للقتال .. ومع النجاح فى القتال واستمراره لمدة طويلة تصـــبح الدوافع العدوانية قوية . ويقترح ســـكوت نظرية متعددة العوامل Multi-Factor theory بشأن العدوان . هذه النظرية تتكون من شبكة معقدة من العوامل التى تستجيب للاثارة الخارجية . فاذا كانت الاستثارة كبيرة بالقدر الكافى فمن الممكن أن تنشط المراكز المولدة فى اللاوعى فيقع القتال . أما فى غياب هذه الاستثارة لا يظهر السلوك العدوانى . ويعتقد فى امكانية ضغط السلوك العدوانى بالتدريب .

وتعتبر نماذج السلوك الموروث عن طريق الانتقال الجينى Genetic – فى رأى سكوت – ليست من قبيل الحتميات ولكن يمكن تعديلها عنطريق التفاعل بين الوراثة والبيئة . ويخلص الى تفضيل استخدام تعبير السلوك العدوانى الفطرى Innate بدلا من تعبير السلوك العدوانى الغريزى Instinct ايضاحا لأثر البيئة على تعديل وتحوير السلوك العدوانى لدى الانسان .

ثانيا : الصـــراع النفســـى :

ينشأ الصراع النفسى Psychological نتيجة الموقف Situation الذى يجد فيه الانسان نفسه مدفوعا للارتباط – فى نفس الوقت – بنشاطين أو أكثر ذات طبيعة تبادلية وتفرض عليه الاختيار . وتتزايد حدة الصراع بتزايد حجم الأنشطة البشرية والتقدم الحضارى . والصراع النفسى نتاج العلاقات الديناميكية الصادرة عن تفاعل الانســـان بميوله وحاجاته ونزعاته وحوافزه واتجاهاته ، مع امكانيات البيئة التى تؤثر – بدورها – فى سلوك الانسان .

لقد أصبح السلوك البشرى موضع اهتمام ودراسة علماء النفس ، وذهب الباحثون مذاهب شتى فى تفسيره . فالمدرسة السلوكية التى تزعمها وطســـن تفسر سلوك الانسان على أساس الفعل المنعكس ، أى على أساس فكرة المثير ورد الفعل ، مع انكار وجود حالة شعورية بينهما . وذلك دون شك تفسير عصبى يجعل السلوك متوقفا على تنمية مختلف المراكز العصـــبية بمؤثرات خارجية متجاهلين بذلك الأحوال النفسية التى تقع بين التأثير والاستجابة . واذا كانت النظرية النفسية قد عالجت الصراع البشرى باعتباره صـــراع بين الدوافع البشرية ، فقد ذهب علماء النفس فى تفسير ذلك الى عدة اتجاهات حيث افترض كل منهم فروضا نتج عنها نظريات مختلفة .

t.me/montlq

١ ـ نظـــرية الغـــرائز :

يعتبر كل من وليم جيمس (١٨٤٢/١٩١٠) ووليم مكدوجل (١٨٧١ ـ ١٩٣٨) من أبرز أنصار نظرية الغرائز فى علم النفس • فقد قدم جيمس فى أواخر القرن التاسع عشر قائمة بالغرائز البشرية عددها ٣٢ غريزة منها الخوف، الغيرة ، التنافس • وقدم مكدوجل عام ١٩٢٣ الغرائز فى ١٤ غريزة يصحب كل منها انفعـــال خاص • وفى مقدمة هذه الغـــرائز غريزة المقاتلة وانفعالها الغضب •

ويرى مكدوجل أن الغريزة عملية نفسية موروثة ، وهى ليست تلقينية وإن كان يمكن تعـــديلها عن طريق التلقين • ويعتقد مكدوجل أن الدافع العدوانى موجود دائما فى الانسان ويسعى باستمرار للتعبير عن نفسه • ويرجع الدافع العدوانى عند الانسان ـ فى رأيه ـ الى غريزة المخاصمة Pugnacity التى تكون جاهزة للعمل عندما تحرض بواسطة ظروف الاحباط • والعدوان البشرى لا يسعى للتعبير عن نفسه ما لم يحدث التحريض الاحباطى ، ومن ثم فقد وضع مكدوجل نفسه فى موضع وسط بين المدرسة الفرويدية ومدرسة العدوان الاحباطى •

٢ ـ مدرســـة التحليل النفســـى :

تعبر الغريزة عند فرويد (زعيم هذه المدرسة) ، عن قوة نفسية راسخة تصدر من صميم الكائن العضـــوى ، وتنبع من حاجات البدن التى تتأثر بما يجرى فى الجسد كله ، من عمليات بيولوجية لا يستغنى عنها الكائن الحى • ويعتقد (فرويد) أنه يمكن ارجاع جميع أفعال الانسان الى غريزتين ، هما غريزة الحياة Eros وغريزة الموت Thanatos • وغريزة الحياة فى نظره ، هى الغريزة الجنسية التى تهدف الى بقاء النوع ، وهى غريزة معقدة كثيرة العناصر تمر بعدة مراحل مختلفة حتى تصل الى النضج الذى تتميز به عند الانسان الناضج • أما غريزة الموت وهى تعبر عن نفسها فى الكراهية ، القسوة ، العدوان ومحبة الايذاء التى تنطوى عليها النفس البشرية • وهو يقرر أن «النزعة الى العدوان استعداد فطرى غريزى قائم بذاته فى نفس الانسان » •

وتقدم مدرسة التحليل النفسى نوعان من الصراع النفسى عند الانسان هما :

t.me/montlq

(أ) الصـــراع الشـــعورى :

هو ذلك الصراع الذى يقع فى دائرة شعورنا مع ادراك للمشكلة التى يدور حولها الصراع وكذلك أطراف هذا الصراع ٠ ولا يتسبب عن هذا النوع أى كبت أو عزل أفكار أو ميول ورغبات من الشعور الى اللاشعور ٠ وأنواع هذا الصراع هى :

١ ـ يتمثل فى وجود موقفين متعادلين من حيث الصفات التى تجذب رغبة الفرد نحو كل منهما ، ويسمى هذا النوع من الصراع (اقتراب ـ اقتراب) ٠

٢ ـ صراع يتمثل فى وجود الشخص فى حالة ينشأ عنها موقفان كلاهما يلحق به ضررا ما ٠ ويطلق على هذا النوع (احجام ـ احجام) ٠

٣ ـ صراع يتمثل فى وجود أمرين ، يود الشخص تحقيق أحدهما ، ولكن الأمر الآخر يمنعه من ذلك وينتهى الصراع بعدول الشخص عن الأمر الأول الى أمر جديد يحقق نفس الغاية دون الاصطدام بالأمر الثانى ٠

(ب) الصـــراع اللاشـــعورى :

يفترض فرويد أن الجهاز النفسى للانسان ينقسم الى ثلاثة أجزاء ينسب الى كل منها وظائف وخصائص معينة وهذه الأجزاء هى :

١ ـ **الأنا** EGO : يمكن أن يقال على سبيل الفرض أن « الأنا » هى الجانب النفسى الذى يواجه العالم الخارجى ويتأثر به ويكاد يكون صـــورة للواقع الذى تقره البيئة ٠

٢ ـ **الهو** Id : وهو يشـــمل مجموعة النزعات والرغبات والميول البدائية ، والتى كبتها الفرد (بطريقة لا شعورية) فى مستهل حياته فى أعماق النفس ، لانها لا تتفق مع العرف والتعاليم الدينية والاخلاقية ٠ وهى تحاول ـ من وقت لآخر ـ التعبير عن نفسها بالحيل اللاشعورية ٠ واذا كانت الأنا شعورية فان الهو لاشعورية لتنافيها مع تقاليد العالم الخارجى ٠

٣ ـ **الأنا العليا** Super EGO : وهى الرقيب الداخلى الذى يقف حائلا دون اندفاع الرغبات والميول غير المهذبة والمكونة فى اللاشعور ٠ وهى تختلف عن الأنا بأنها لاشعورية ٠

وينطلق فرويد فى تفسيره للعدوان ، باعتباره نتيجة للاحباط الذى يواجه الدوافع الجنسية . ويرى فرويد أن جميع الغرائز توجه نحو الاقلال من الاثارة والموت يعنى ازالة لكافة مظاهر الاثارة . ولكن الناس يتابعون الحياة بالرغم من غريزة الموت وذلك عن طريق قنوات خارج النفس تكفل القضاء على هذا الدافع بعيدا عن الذات ليوجه الى الآخرين . ويخلص فرويد الى أن السلوك العدوانى للانسان هو بمثابة المخرج للطاقات المدمرة داخل النفس البشرية التى يؤدى كبتها الى انتحار صاحبها .

ووفقا لهذا الفرض تصبح ظاهرة الصراع الدولى والحروب بين الجماعات والشعوب وتكرارها أمر ضرورى حتى تحفظ الدول والجماعات نفسها من التدمير الذاتى عن طريق تفريغ ميول تدمير الذات الى خارج حدودها . وهو ما عبر عنه « فرويد » من خلال رسالته التى بعث بها الى العالم الفيزيقى الأشهر اينشتين بأن الانسان يحوى داخله غريزة نشطة للكراهية والعدوان . ويتفق فرويد — الى حد كبير — مع أميل دوركايم Durkheim فى الاعتقاد الفرضى ، بأن المجتمع يحتوى على كمية من الطاقة التدميرية . وأنه اذا لم يسمح لهذه الطاقة بالخروج ، فسوف تمارس فعلها التدميرى داخليا سواء فى الفرد أو الجماعة .

ويعارض معظم علماء النفس المعاصرين فرض فرويد عن الرغبة فى الموت كأساس لنظرية العدوان . ويرى هؤلاء أن النظرية تفتقر الى التبرير العلمى ويمكن دحضها استنادا الى المنطق الوضعى والعلم التجريبى الحديث . فالنظرية الفرويدية ليست نظرية مفاهيمية بسبب طبيعتها الغائية Teleological حيث تعزو سبب السلوك الحاضر لظروف المستقبل ، أى انقاص أو ازالة التوتر والاثارة . ويرى العلماء المعاصرون ان دافع الغريزة فى نظرية فرويد لايمكن اخضاعه من الناحية السلوكية لنماذج نمطية ولذلك فان هذا الدافع يبدو وكأنه نوع من تطبيقات السحر الذى لا يتمشى وقواعد البحث العلمى الوضعى ، الذى يستند فى بنائه النظرى على الوقائع الصالحة لأن تشكل فيما بينها نموذجا فكريا وسلوكيا .

ويجادل بيركويتز Berkowitz أنه يمكن دحض نظرية فرويد على أساس البرهان التجريبى . فقد أثبتت التجارب التى أجريت على الحيوانات خلال العقد الأخير (القطط والفئران) عدم صحة فرض ان كل أنواع السلوك تهدف الى انقاص التوتر فى الكائن الحى . وقد أثبتت فروض فرويد عدم صلاحيتها فى فترات تزايد التوتر فى الحياة البشرية بسبب ميكانيزمات الرغبة فى الحياة

t.me/montlq

والمحافظة على الذات • وبالرغم من الانتقادات الموجهة الى نظرية فرويد فان مكانه فى التحليل النفسى مسيطر للغاية ، كما أن تأثيره على الفكر الغربى الحديث بعيد المدى وخاصة عندما يرتبط بالنظرة التشاؤمية للمجتمع •

٣ - فرض العدوان الاحباطى Frustration Ag. :

يميل معظم الثقاة فى علم النفس - خلال العقود الأخيرة - الى ارجاع العدوان الى عدة أشكال من الاحباط • وقد اهتم الفكر المعاصر بالمفهوم النفسى للاحباط نظرا لانتشار الافتراض بأن امكانات اندلاع الصراعات فى الدول المتخلفة والآخذة فى النمو ترجع الى الاحباط الناجم عن الحرمان الاقتصادى • ومن النادر أن يتعرض كاتب لظاهرة عدم الاستقرار فى الدول الآخذة فى النمو دون أن يتناول أثر الاحباط النفسى على مسار هذه الظاهرة •

وفرض العدوان الاحباطى ليس بجديد على الفكر النفسى فقد تناولته بالدراسة المدرسة التقليدية ومدرسة التحليل النفسى • ولكن الجديد أن التناول المعاصر للفرض لا يرتبط بافتراض وجود غريزة العدوان داخل الجهاز النفسى للانسان ، وانما باعتباره مؤشر نفسى يؤدى الى استجابة فى صورة عدوان • والاحباط عبارة عن الاستجابة النفسية للهدف المحرض Instigated-goal .

وقد ذهبت المدرسة الحديثة عدة مذاهب فى تفسير الاحباط • فقد افترضت مجموعة يال Yale (جون دولارد ، ليونارد دوب ونيل ميلر) ان العدوان ناتج لزومى للاحباط بمعنى حدوث السلوك العدوانى يفترض الوجود المسبق للاحباط كما أن الاحباط يقود دائما الى شكل من أشكال العدوان •

ويذهب آخرون الى أن الاحباط المفضى الى العدوان هو ذلك الذى يسبب حرمان الشخص من أهداف كبرى فى حياته أو يشكل تهديد لشخصيته • والعدوان يقع - فقط - اذا تم افشال نشاط موجه لتحقيق هدف وليس فى حالات الحرمان غير المدركة ، ومن ثم فليس لزوميا أن يتبع كل موقف احباطى سلوك عدوانى • فالسلوك العدوانى يمكن توقعه وفقا لمدى قوة التحريض للاستجابة الاحباطية وعدد الاستجابات المتتالية • والفرد عندما يواجه حواجز وعوائق لتحقيق هدفه المبتغى تعبىء لديه طاقة اضافية ، وهذه الطاقة « اذا استمرت فى التزايد نتيجة للفشل المتكرر ، تتجه الى الانسياب فى سلوك عام مدمر • »

واذا كان الخوف من العقاب يقلل من احتمال حدوث السلوك العدوانى ، فانه يؤدى الى مزيد من الاحباط الذى يمكن أن يعبر عن نفسه فى صورة أعمال

t.me/montlq

عدائية تجاه بعض الافراد أو الأشياء التى ليست لها علاقة أو مسئولية عن الاحباط . والعدوان غير المباشر يمكن أن يأخذ صورة العدوان على الذات حيث يعاقب الفرد نفسه بأحداث جروح فى جسده أو قد ينتحر فى الحالات المتطرفة .

وينكر بعض الكتاب أن يكون الاحباط هو السبب الوحيد للعدوان ويرون بوجود أسباب أخرى للعدوان بجانب الاحباط . ويستندون فى دعواهم على الدراسات التى قام بها سكوت ولورنز على السلوك الحيوانى . وقد أسفرت هذه الدراسات عن وجود أسباب أخرى منها : وجود حيوان غريب من نفس النوع ، الألم ، الخوف ، العزلة .. الخ .

وقد أجرى بعض العلماء تعديلات على نظرية العدوان الاحباطى فى محاولة لزيادة درجة صلاحية النظرية ومواجهة بعض الانتقادات التى وجهت لها مثل :

- أن العدوان ليس ـ دائما ـ استجابة أوتوماتيكية للاحباط .
- أن الاحباط عدة أنواع منها السلبى والايجابى وبالتالى هناك عدة أنواع من ردود الفعل العدائية .
- أنه من الصعب الربط بين عمل عدوانى واحباط معين بصفة مؤكدة .
- على الرغم من سهولة اكتشاف العدوان الاحباطى عند الأطفال فانه غامض عند البالغين .

وقد جرى هذا التعديل فى صورة تعديل للصفة الآلية بالنسبة للربط بين الاحباط والسلوك العدوانى ، وذلك عن طريق تقديم ثلاثة نماذج لردود الفعل فى مواجهة الاحباط على النحو التالى :

١ ـ الفرد يقبل الموقف كما هو ويحاول زيادة رضائه .

٢ ـ الفرد يرفض قبول الحدود المفروضة عليه ، ولكنه يوجه نشـاطه العقلانى نحو تغيير هذه الحدود دافعا اياها نحو المواضع المفضلة لديه . فالانسان الفقير يسعى للثراء ، والشخص الذى يعانى من احباط نتيجة الاحساس بالجهل يركز على وسائل الحصول على المعرفة .. وهكذا .

٣ ـ الفرد يرفض قبول الحدود المفروضة عليه ، ويرفض ـ أيضا ـ السعى لتغييرها وفى هذه الحالة يتسم سلوكه بالعدوانية غير العاقلة ، ضاربا رأسه فى الحدود المفروضة عليه ، ورافعا لمستوى توتره العاطفى الى حده الأقصى .

t.me/montlq

ثالثا : الصراع الانثروبولوجى :

اهتمت الدراسات التى أجريت ـ خلال العقدين الأخيرين ـ فى حقل علم الانثروبولوجيا ، بدراسة ظاهرة الصراع البشرى على صعيد الجماعات البشرية البدائية ، وقد اهتمت هذه الدراسات بتوضيح مسار الظاهرة داخل الجماعات ومدى تأثرها بالثقافة ، الحضارة ، الدين ... الخ .

والصراع الانثروبولوجى يتأتى من التنافس بين طرفين اثنين على الأقل . والأطراف المتصارعة يمكن أن تكون شخصا ، أسرة ، أنساب Alineage أو الجماعة بأثرها . ويمكن للصراع أن يحدث بين أفكار ومثل ، أو تنظيمات سياسية أو دينية . ويبرز الصراع فى الظروف التى توجد فيها رغبات أو أهداف متضادة ومتناقضة . ويميز الانثروبولوجيون الصراع عن نزاعات الغضب أو الخصام على أساس قيام الصراع على أسباب موضوعية يمكن أن تستمر لمدة طويلة، بينما تكون نزاعات الغضب متسببة عن المضاعفات الوقتية بين المتنافسين . ويعتقد بعض علماء الانثروبولوجيا أن أحد أسباب الصراع هو القاعدة العامة باشتمال جزء من سلوك الفقريات Vertbrates على العدوان وذلك من خلال عمليات التكيف التى تسعى لتحقيقها مع البيئات المحيطة بها .

وتعتبر المراجع الرئيسية فى دراسة البدائيات Primates ، أن العدوان صفة بشرية موروثة . فالعدوان والصراع صفة من صفات الأنواع الرئيسية التى تكتسبها من خلال سعيها للتكيف السلوكى وبالرغم من تغير الظروف وطرق الحياة تغييرا جذريا فى الوقت الحاضر بالمقارنة لهذه الظروف فى الماضى ، الا أن الانسان مازال يرث بيولوجية العدوان التى اكتسبها فى الظروف والعصور الغابرة .

ويحذر الانثروبولوجيون من تجاهل الميراث البيولوجى للانسان ، لأنه الاطار الذى تعمل من خلاله الثقافة وتتطور .. ويؤكدون من جانب آخر على قدرة الانسان على تطوير الثقافة ، من خلال قدرته على تغيير وتطوير العمل اليدوى . ويقدر الانثروبولوجيون أن فهم طبيعة السلوك العدوانى لدى البشر يستدعى ـ بالضرورة ـ اخضاع هذا السلوك لعمليات اختبار بيولوجى وثقافى . ومن ثم فانهم يدرسون ظاهرة الصراع كظاهرة متعددة العمليات الاجتماعية وتتم تحت ظروف متعددة ومختلفة . وتسفر هذه الدراسات عن نتائج متعددة أيضا . وتتم معالجة الصراع انطلاقا من جوانبه الوظيفية Functional على أساس الدور الذى يلعبه فى الأنشطة الانسانية ، الأفكار والقيم التى ترتبط به .

t.me/montlq

وبالرغم من اهتمام علماء الانثروبولوجيا فى دراستهم لظاهرة الصراع بموضوع علمهم (الجوانب الفيزيقية والقيمية) ، فقد جاءت نظرياتهم مفتقدة الى الصفة الذاتية • فقد تأثرت هذه النظرية بطريقة مباشـــرة بنظرية الهيكل الوظيفى فى التنظيم الاجتماعى ، كما تأثرت بطريقة غير مباشرة بنظرية التحليل النفسى للشخصية •

ويركز بعض الانثروبولوجيون على الجوانب الاجتماعية للصراع التى تنجم عن اختلاف النظرة والبناء القيمى للجماعات ، كما حاول بعض المنظرين ادخال فرض العدوان الاحباطى فى مفهوم صراع الجماعات •

وبينما يؤكد علماء الانثروبولوجيا أن الصراع فى جزئه الأكبر ناتج ثقافى فانهم لا ينكرون جوانبه البيولوجية والاجتماعية الموروثة عن البدائيـــات غير البشرية وهم بذلك يعتقدون انهم يتوصلون الى الصفات العامة والعالمية لمفهوم الصراع ، كما تدرس الانثروبولوجيا المعوقات التى تعترض عملية حل وانهاء الصـــــراع •

رابعا ـ الصراع الاجتماعى :

الصـــراع الاجتماعى هو ذلك النضـــال المرتبط بالقيم والمطالبة بتحقيق الوضعيات النادرة والمميزة ، القوة والموارد ، حيث تكون أهداف الفرقاء هى : تحييد ، ايذاء أو القضاء على الخصوم • والصراع الاجتماعى هو أحد العناصر الهامة فى عملية التفاعل الاجتماعى •

ولقد أولى علم الاجتماع ـ بمختلف مشاربه الفكرية خلال القرن التاسع عشر ـ أهمية كبيرة لظاهرة الصراع ، ابتداء من هيجل • وكان لظهور الفكر الماركسى فى الحقل الاجتماعى الأكاديمى أثرا بارزا فى اعطاء الصراع الاجتماعى بعدا ماكروكوزميا ، فلم يكتف هذا الفكر بجعل الصراع الاجتماعى (الطبقى) ظاهرة فرعية ـ كما ذهب الفكر الاجتماعى السابق واللاحق لماركس ـ وانما جعل من هذا الصراع المتمثل فى الصراع الطبقى ظاهرة كلية ومطلقة ، كما جعل منه التغير الأصيل والمفتاح الشارح للتطور البشرى •

لقد تأثر المفكرون الاجتماعيون فيما يتعلق بظاهرة الصراع ، بالاتجاهات التى سادت المدرســة الداروينية الاجتماعية وبصفة خاصـــة بكتابات هربرت سبنسر ولودفيج جومبلفيز فقد أكدت نظريات باريتو Pareto وموسكا Mosca ان النضال من أجل القوة والنفوذ هو أحد الملامح الرئيسية

t.me/montlq

للحياة البشرية • وقد سارت المدرسة الاجتماعية الألمانية التقليدية على نفس المنهاج • فقد أصبحت ظاهرة الصراع ابتداء من تونيز Tonnies وسيمل Simmel وحتى فيبر Weber ، ظاهرة اجتماعية كبرى • وأكد فيبر أن السلام لا يعنى شيئا سوى التغير فى صورة الصراع وتحوله من شكل الى آخر من أشكال العداء بين الفرقاء أو التغير فى أهداف الصراع وأخيرا فى فرص الاختيار •

وقد تلت هذه المرحلة مرحلة أخرى أهمل خلالها عنصر الصراع فى دراسة الظاهرة الاجتماعية • وركزت هذه الدراسات ، التى بدأت بكتابات لويد وارنر Liod Warner وحتى كتابات تالكوت Talcot ، على القيم المشتركة والتجانس المتوافر فى المجتمع والمفضى الى الانسجام فى النسيج الاجتماعى ، واعتبار الصراع حالة مرضية تصيب الجسد الاجتماعى •

ويشهد حقل الدراسات الاجتماعية خلال العقدين الأخيرين عودة الى الاهتمام بظاهرة الصراع • وينقسم علماء الاجتماع المعاصرون الى فريقين بالنسبة لطبيعة الصراع الاجتماعى ، وعما اذا كان من الواجب النظر اليه على أنه ظاهرة عقلانية ، مفيدة وذات وظيفة اجتماعية ، أم أنه ظاهرة لا عقلانية ، ضارة ومرضية •

كارل ماركس والصراع الطبقى :

تقوم الفلسفة الماركسية على أساس نظريتين هما :

١ ـ نظرية التطور الديالكتيكى •

٢ ـ نظرية التفسير المادى للتاريخ •

ويعنى ماركس بالتطور الديالكت ان كافة النواحى الفكرية ، الاجتماعية والسياسية تتشكل وتتكيف بظروف الانتاج وبعلاقات التبادل الموجودة فى المجتمع• فهذه النواحى المختلفة ليست مستقلة فى تكوينها وتشكيلها ، وانما تتأثر فى وجودها وصورها بالظروف الاقتصادية المتصلة بطرق الانتاج وبعلاقات التبادل التى تنشأ بين طبقات المجتمع نتيجة لهذه الطرق • فمجموع روابط الانتاج تكون الهيكل الاقتصادى للجماعة والأساس الذى يحدد الهيكل القانونى والسياسى • وقد رتب ماركس على ذلك ان الوعى (الفكر) الانسانى لا يحدد للانسان طريقة معيشته ، ولكن الأخيرة هى التى تحدد وعيه وفكره وان الأساس المادى هو

t.me/montlq

الأساس الأول ـ لا الأوحد ـ للانتاج العقلى ، ولا يمكن تصور هذه العلاقة من جانب واحد كعلة ومعلول بل كعلاقة افعال متبادلة · ذلك لأن كل درجة جديدة فى تطور الانتاج المادى تشمل كل التراث الروحى للانسان وتتحد معه ·

والنظرية الثانية التى تشكل واحدة من أساسى المذهب الماركسى هى نظرية الصراع الطبقى أو التفسير المادى للتاريخ · وتقوم هذه النظرية على فكرة ان كل نظام اجتماعى يحمل فى ثناياه عوامل فنائه وزواله · ففى كل نظام تتولد قوى تعمل حتى تقضى عليه فى النهاية ، ويأتى محله نظام جديد · وعندما يأتى النظام الجديد تتولد من داخله ، بدوره ، القوى التى تعمل حتى تقضى عليه ·· وهكذا · وبذلك ينتقل التاريخ من نظام اجتماعى الى آخر ، نتيجة لعوامل التطور · ويجادل ماركس « ان تاريخ كل مجتمع الى يومنا هذا لم يكن سوى تاريخ صراع الطبقات ·

ويجعل ماركس من صراع الطبقات حقيقة مطلقة تسيطر على جميع أبعاد الوجود الانسانى · وقد عمم ماركس وانجلس ظاهرة الصراع الطبقى عبرالتاريخ الأوروبى ـ اليونان ، روما والعصر الوسيط ـ الذى يتقدم تاريخها الحديث البرجوازى ·

« فالحر والعبد ، النبيل والعامى ، السيد الاقطاعى والقن ، المعلم والصانع أى باختصار المضطهدون والمضطهدون ، كانوا فى تعارض دائم ، وكانت بينهم حرب مستمرة تارة ظاهرة وتارة مستترة · حرب كانت تنتهى دائما اما بانقلاب ثورى يشمل المجتمع بأسره واما بانهيار الطبقتين المتصارعتين معا · أما المجتمع البرجوازى الحديث الذى نشأ على أنقاض المجتمع الاقطاعى فانه لم يقض على التناحر بين الطبقات ، بل أقام طبقات جديدة بدلا من القديمة وأوجد ظروفا جديدة للاضطهاد وأشكالا جديدة للصراع · الا أن يميز عصرنا الحاضر عصر البرجوازية هذا أنه جعل التناحر الطبقى أكثر بساطة ، فان المجتمع أخذ فى الانقسام أكثر فأكثر الى معسكرين فسيحين متعارضين الى طبقتين كبيرتين العداء بينهما مباشر هما البرجوازية والبروليتاريا » ·

ويرى ماركس أن البرجوازية قد لعبت فى التاريخ دورا ثوريا للغاية فحينما استولت البرجوازية على السلطة سحقت تحت أقدامها جميع العلاقات الاقطاعية والبطريركية والعاطفية · » وليس بين جميع الطبقات التى تقف الآن أمام البرجوازية وجها لوجه الا طبقة واحدة ثورية حقا ، هى البروليتاريا · وان جميع الطبقات الأخرى تنحط وتهلك مع نمو الصناعة الكبرى · أما البروليتاريا فهى ، على العكس من ذلك ، أخص منتجات هذه الصناعة » ·

t.me/montlq

والصراع الطبقى ، كما يرى ماركس ، ظاهرة عامة ومطلقة لا تقف عند الحدود القومية وانما تتعداها لتكتسب الصفة العالمية · فالصـــراع الطبقى يمارس وظيفته فى المرحلة الأولى داخل الحدود القومية عندما « تقضى البرجوازية أكثر فأكثر على تشتت وسائل الانتاج والملكية والسكان» · فهى قد جمعت السكان ومركزت وسائل الانتاج وركزت الملكية فى عدد قليل من الأيدى · وكانت النتيجة الحتمية لهذه التغييرات هى المركزية السياسية · فالمقاطعات المستقلة التى كانت لها ، بالرغم من اتحادها فيدراليا ، مصالح وقوانين وحكومات وتعريفات جمركية مختلفة ، قد جمعت فى أيد واحدة ، لها حكومة واحدة ، ومصلحة قومية طبقية واحدة ، خلف حاجز جمركى واحد · وتأتى المرحلة الثانية التى يمارس فيها الصراع الطبقى دوره على الصعيد الدولى أو العالمى · فالماركسية ترى أن : « البرجوازية مدفوعة بالحاجة الى منافذ جديدة دوما ، تغزو الكرة الأرضية قاطبة ، اذ لا مندوحة لها من أن تتمركز فى كل مكان وتستثمر فى كل مكان وتقيم علاقات فى كل مكان · وعن طريق استثمار السوق العالمية تضفى البرجوازية على الانتاج والاستهلاك فى كل الاقطار طابعا كوزموبوليتيا (عالميا) ·

ويعتقد الماركسيون ان البرجوازية ـ فى سـعيها لتجاوز الاطار القومى للانتاج والاستهلاك ، تنتهك الحرمة القومية للدول والأوطان ، وتحاول ان تموه الصراع الطبقى المتفاقم مع تطورها بخرافات فات أوانها عن « الوحدة القومية أو الوطنية » · وفى الوقت الذى تتجه فيه الى ان تكتسب هى نفسها طابعا عالميا ، تحاول ان تخدر العمال وان تمنع تضامنهم واتحادهم على صعيد عالمى عن طريق تأجيجها النزعة القومية والوطنية فى صفوفهم · والحال ان العمال لا وطن لهم ·

والصراع الطبقى فى المفهوم الماركسى واضح ومحدد ، اذ أن التاريخ ماهو الا تاريخ الصراع بين الطبقات · والماركسية تجعل من هذا الصـــراع حقيقة فلسفية لها نتائجها المحددة وهى :

١ ـ الصراع يتضمن تحطيما وبناء فى آن واحد فهو تحطيم لطبقة قائمة وبناء لمجتمع جديد ·

٢ ـ الصراع الطبقى يبرر ويفسر العنف ، ويجعل من الالتجاء اليه ليس أكثر من مسايرة لحركة التاريخ ·

٣ ـ ان التاريخ الذى هو صراع بين الطبقات لا يعرف الحركات الفردية والثورة لا يمكن ان تقودها أقلية وانما لابد وأن تكون كاملة شاملة ودائمة ·

t.me/montlq

٤ ـ الصراع الطبقى يضعنا امام الحقيقة كما هى ، لا كما يجب ان تكون ولذلك فان هذا المفهوم يفرض علينا ان نرى الأخلاقيات السياسية وقد تعرت من جميع المفاهيم المصطنعة ٠

٥ ـ الاضراب العام بهذا المعنى يصير أحد مظاهر التعبير الواضحة عن مفهوم الصراع الطبقى ٠

وهكذا يصير الصراع الطبقى ـ فى المفهوم الماركسى ـ مدخلا لتأكيد العنف فى التاريخ ٠

ولقد تعرض المفهوم الماركسى للصراع الطبقى لعديد من الانتقادات ، سواء من جانب الكتاب الذين حاولوا تفجير التحليل الماركسى فى جميع كلياته ، أو من جانب الذين توخوا الدقة فى نقد المفاهيم والنتائج المترتبة على الصراع الطبقى فى المفهوم الماركسى ٠ واذا كان المفهوم يتضمن قسطامن الحقيقة فانه يتضمن قسطا من المبالغة الذى يقود الى تشويه الحقيقة ٠ وفيما يلى أهم الانتقادات التى وجهت الى التحليل الماركسى بشأن الصراع الطبقى :

١ ـ الصراع الطبقى حقيقة نستطيع ان نستخلصها من متابعة الماضى ومشاهدة الحاضر ، ولكن لا نستطيع أن نطلقها بالنسبة للمستقبل الا على أنها نوع من التنبؤ بكل ما تعنيه هذه الكلمة من معانى ٠

٢ ـ ان الصراع الطبقى لا يقتصر على صراع العمال أو الطبقة العاملة فهو احد تطبيقاته وليس تعبيرا عن كلياته ٠

٣ ـ ان النظرية الماركسية قامت على فروض أهمها ان الفقر صفة ملازمة للعمال والثراء صفة ملازمة لأصحاب الأعمال وان العمل ماهو الا سلعة ٠ وهذه فروض غير صحيحة على اطلاقها اللهم الا فى نظام يسوده الرق من الناحية الاجتماعية أو اقتصاد تقليدى كالذى ساد فى القرن التاسع عشر الذى عاشه ماركس ٠

٤ ـ أن الصراع الطبقى فى المفهوم الماركسى لا يتمشى مع الاجراءات التى اتخذتها الاقتصاديات الحديثة ومنها وضع حد ادنى للأجور ، والتأمين ضد العجز والشيخوخة ٠٠ وما الى ذلك من القوانين التى تحمى مصالح العمال ٠ وهذا يجعل من الحتمية الماركسية فيما يتعلق بثورة العمال مجرد فرض نظرى ٠

٥ ـ ان الصراع الطبقى فى المفهوم الماركسى يقوم على أساس التوزيع النسبى للدخول مع اهمال التوزيع النسبى للسلع والخدمات مع ان المعيار

t.me/montlq

الأخير هو معيار الحرمان المفضى للاضطراب والثورات . ومن جانب آخر يهمل المفهوم البعد الثقافى للصراع والتكوين الطبقى للمجتمع وبصفة خاصة مركز الطبقة المتوسطة . وهذه عوامل حاسمة فى المواجهات الطبقية لا تقل أهمية عن تفاوت الدخول .

٦ ــ تقوم نظرية الصراع الطبقى فى المفهوم الماركسى على أساس الصراع بين الطبقة العاملة (البروليتاريا) والطبقة الرأسمالية (البرجوازية) ومع ذلك فان ماركس لم يحاول ان يقدم تعريفا دقيقا لأى منهما .

لقد تمسك الماركسيون على العموم ، بمكانة أو دور الجماعة فى سياق الانتاج ، كمعيار لتعريف الطبقة الاجتماعية . ان لينين ، مثلا ، يعلن أن الطبقة هى مجموعات بشرية كبيرة تتميز بوضعها ضمن نظام تاريخى معين للانتاج الاجتماعى ، وبعلاقاتها بوسائل الانتاج ، تلك العلاقات التى تحددها الحقوق فى الغالب ، وبدورها فى التنظيم الاجتماعى ، وبالتالى بقدرتها على أخذ شطر من الثروات وبمقدار هذا الشطر . أما « بوخارين » فهو يعرف الطبقة الاجتماعية على أنها وحدة اجتماعية تساهم فى سياق الانتاج ، فاذن يمكن القول ان معظم الماركسيين يعتبرون ان الطبقة العاملة : هى مجموعة كبيرة يحددها وضعها فى نظام للانتاج ، وهذا الوضع نفسه تحدده ، بصورة خاصة ، العلاقة بوسائل الانتاج ولكن هذا التعريف فيه التباس .

ذلك انه يتضمن بكل وضوح مغزيين ممكنين : أن المأجورين يؤدون دورا معينا فى سياق الانتاج ، من حيث انهم لا يملكون وسائل الانتاج ويتقاضون أجورا وهكذا يعرف دورهم بمعنى قانونى ــ اجتماعى . ولكن بوسعنا أيضا ان نتوقف عند المعنى التقنى للعبارة : ان العامل فى الصناعة أيا كان نظام الملكية ، يؤدى دوراً معينا ، ألا وهو كونه شغيلا يدويا يعمل على الآلة . فالمعنى القانونى الاجتماعى يرتبط بملكية وسائل الانتاج ، بينما المعنى التقنى يرتبط بتنظيم الانتاج . فاذا ما أضحت وسائل الانتاج ملكا للدولة تغيرت علاقة العامل القانونية بوسائل الانتاج ، لكن ذلك لا يغير علاقة العامل التقنية بالتنظيم الجماعى للعمل . وبالجملة يظل مفهوم الطبقة غير محدد بصفة قاطعة .

ومن جانب آخر فان كارل ماركس قد تحدث فى كتابه عن « الصراع الطبقى فى فرنسا » عن الطبقة البرجوازية العليا ، كما تناول نفس القضية فى البيان الشيوعى (البورجوازية الثورية) ورأس المال (البورجوازية الصغيرة) ويصف ماركس البورجوازى بأنه شخص وضيع ، ضيق الأفق ، وأنانى . لكنه لم يقدم

t.me/montlq

تحليلا علميا للظاهرة البورجوازية ولم يشر بطريقة وضعية للخصائص السلوكية البرجوازية .

غير ان الانتقادات التى وجهت الى الفكر الماركسى لا تعنى انكارا لظاهرة الصراع الطبقى . فهناك أحداث كثيرة يمكن تفسيرها على ضوء الصراع الطبقى ، ولكن هذا الصراع الطبقى أكثر تعقيدا من مجرد الصراع بين العمال واصحاب الأعمال . فالصراع ليس ظاهرة استاتيكية لكنه ديناميكى الحركة ومن الصعب تحديد مساره بصفة مطلقة . وهو أعقد من مجرد صراع للكلاب من اجل عظمة أحدهم يأخذها والآخر يخسرها ، انما هو أشبه بصراع الانواع والسلالات حيث تكون المميزات الآنية التى تملكها سلالة ، هى نفسها ، التى تقودها الى هزيمة ساحقة .

خامسا ـ الصراع الاقتصادى :

ينشأ الصراع الاقتصادى نتيجة الندرة فى الوسائل المادية والخدمية اللازمة لاشباع الحاجات الانسانية وتوزيعها . ويبدأ الصراع الاقتصادى عندما تصبح السلع والخدمات فى المجتمع غير كافية لمواجهة طلبات أفراده . ويمكن قياس درجة الصراع الاقتصادى ـ افتراضيا ـ عن طريق المنفعة الحدية Marginal Utility وذلك عن طريق حساب الزيادة أو النقص الذى يعترى الدخل الفردى الحقيقى . ولكن المشكلة الحقيقية فى هذا المعيار القياسى هى تفاوت احساس الفرد داخل المجتمع الواحد ويتفاوت ذلك عبر عدة مجتمعات مختلفة .

وتعتبر قضية توزيع الناتج القومى فى المجتمع هى القضية المركزية للصراع الاقتصادى . وتختلف هذه المشكلة فى الدول المتقدمة اقتصاديا عنها فى الدول المتخلفة فالمشكلة فى الاقتصاديات المتقدمة تتمثل فى تفاوت الغنى والثراء بين افراده وسرعة تحقيق هذا الثراء ، ولكن زيادة الثرى ثراء لا يعنى زيادة الفقير فقرا فى هذه الاقتصاديات . وتعرف الاقتصاديات المتقدمة نوعان من الصراع الاقتصادى . النوع الأول وهو الصراع داخل القطاع الاقتصادى الواحد كالصراع الواقع بين الشركات وبيوت المال على الاستئثار بالنشاط الاقتصادى . وتتحكم فى هذا الصراع عدة متغيرات هى : المنفعة ، مخاطر الاختيار ، عدم التأكد والمصالح المتصارعة .

والنوع الثانى من الصراع الاقتصادى هو الواقع بين قطاعات اقتصادية مختلفة ومن أمثلة ذلك :

t.me/montlq

١ ـ الصراع بين المزارعين وأرباب الصناعة ، نظرا لاختلاف المصالح بينهما • ومن مظاهر هذا الصراع تدخل الحكومات ـ تحت ضغط المزارعين ـ فى المواد الزراعية والتورط فى سعر السوق • ومن مشاكل الصراع الاقتصادى بين الزراعة والصناعة ، اتجاه معدل التبادل بينهما الى التدنى باستمرار فى صالح الصناعة ، مما أثار مشكلة العدالة الاقتصادية •

٢ ـ الصراع الصناعى ، وهو الصراع الواقع بين العامل وصاحب العمل وأطراف الصراع الصناعى (العامل ، صاحب العمل) يمكن ان تكون : فرد ، جماعة غير منظمة أو تنظيم •

ويظهر الصراع الصناعى بمجرد ظهور العلاقات بين العامل وصاحب العمل عبر التطور الاقتصادى • ولكن احتدام هذا الصراع نادر فى المجتمعات البدائية لأن التخصص الوظيفى لم يصل الى خلق التنظيمات التى تندرج تحت لوائها أطراف الصراع • وتعد ظاهرة الأجر النقدى بمثابة نقطة التحول الثورية فى طبيعة هذا الصراع ـ بالرغم من أن فكرة الأجر كانت معروفة فى العصور القديمة ، وقد ذكرت فى الانجيل ـ حيث أصبحت الأجور والمرتبات تمثل نسبة ما بين ٦٠ الى ٧٠٪ من اجمالى الدخل القومى ، وتعتبر عملية المساومة بشأن الأجر هى السبب المباشر للصراع الصناعى حيث يتحول العمل الى سلعة للتبادل وتصبح الجوانب الانسانية مفقودة فى هذه العملية بالاضافة الى وجود حاجز ثقافى بين البائع والمشترى لسلعة العمل • ولقد قضت معاهدة فرساى بشأن العمل « بأن العمل يجب الا ينظر اليه على أنه مجرد سلعة تجارية » •

وعندما يصل التوتر بين العمال وأصحاب الأعمال الى نقطة معينة ، ينفجر الصراع ـ عادة ـ فى صورة اضراب • والاضراب ظاهرة اجتماعية كانت محل دراسة مستفيضة أسفرت عن حصر أيام العمل المهددة بسببه الى ١٪ من أيام العمل فى الولايات المتحدة ، وهى نسبة أعلى من نسبة أيام المرض والبطالة • وتصل فى بعض المجتمعات الصناعية الى نسبة أعلى لدرجة تهدد الاقتصاد القومى لهذه المجتمعات •

وهناك جانب آخر من الصراع الصناعى هو ذلك الصراع الواقع بين النقابات والنزاعات حول الانتماء العمالى للنقابات المختلفة • وتقوم الدول بالتدخل فى الصراعات العمالية بأشكال عديدة كالتحكيم الأجبارى وانشاء أجهزة للوساطة فى المنازعات ، كما تضع بعض الدول قيودا على حق الاضراب ، وتحاول الحد من عملية المساومة على الأجر موضع حد أدنى للأجور •

t.me/montlq

الصراع الاقتصادى فى المجتمعات ذات الاقتصاد المتخلف أو الآخذ فى النمو يختلف من حيث طبيعته عن مثيله فى المجتمعات ذات الاقتصاد المتقدم • فبينما يكون الدخل الحقيقى للفرد فى الدول المتقدمة اقتصاديا فى اضطراد مستمر من حيث الحجم والنسبة ، نجد هذا الدخل ثابت أو يكاد فى الاقتصاديات المتخلفة الراكدة • واعادة التوزيع فى المجتمعات المتقدمة اقتصاديا يمكن ان تؤدى الى اعادة التوازن بين الطبقات الاجتماعية ، بينما لا تؤدى فى المجتمعات المتخلفة الا الى توزيع الفقر بالتساوى • فالاقتصاد المتخلف يقصر عن الوفاء بالحاجات الاقتصادية الفردية والجماعية ويعانى من الدوار داخل حلقة الفقر المفرغة •

وتضطر الدول الفقيرة للاعتماد على الرأسمال الأجنبى فى المدى الذى تقصر فيه المدخرات المحلية والضرائب عن الوفاء بالاستثمارات المطلوبة لتحقيق التنمية • ودخول الاستثمارات الأجنبية الى السوق المحلية يثير عدة صور من الصراع الاقتصادى ، كما يحمل مخاطر التبعية الاقتصادية • ولكن حل هذه المعادلة الصعبة ليس بالأمر اليسير فان توجيه الحكومات للموارد الاقتصادية صوب التنمية سوف يكون على حساب مستوى المعيشة ، وتضطر الدولة الى تحمل أعباء التضخم • كما أن الحد من برامج التنمية فى الوقت الذى يتزايد فيه عدد سكان هذه الدول بمعدلات كبيرة ، سوف يحكم على السكان باستمرار الفقر وتدنى مستويات المعيشة • كما ان نتائج التضخم من النواحى : الاجتماعية ، الاقتصادية والسياسية لا يمكن التكهن بها • ولكن الفقر والحرمان يخلق توترا يكاد يكون من غير المعقول ان يتحمله النسيج الاجتماعى وينفجر الصراع فى صورة عنف واسع النطاق •

والعلاقات الاقتصادية الدولية تحتل أكبر قسط من أذهان قادة الفكر الاقتصادى ، الاجتماعى والسياسى بحيث ان كل مشكلة أو صراع دولى مهما كانت الواجهة التى يطل على العالم بها ، لابد وأن يكون ضمن أسبابها باعث اقتصادى غايته تحقيق مصالح أو منافع أو حاجات ورغبات اقتصادية على الصعيد العام •

وتتعرض الدول فى عالم اليوم للضغوط الاقتصادية كأحد وسائل وأدوات ادارة الصراع الدولى • وهذه الضغوط تأتى فى شكل الأعمال ذات الطابع الاقتصادى التى تحاول بها دولة ما أن تعطل أو تمنع دولة أخرى من تنفيذ سياستها القومية أو الحصول على مزايا اقتصادية على الصعيد الدولى • ويصحب ذلك اتخاذ الدولة الضاغطة عدة اجراءات سيكلوجية تستهدف ارغام هذه الدولة الأخرى ــ تحت ضغط الحاجة الملحة ــ على تعديل موقفها السياسى ومسايرة اتجاهات الدولة الضاغطة •

t.me/montlq

وتتعدد صور الضغوط الاقتصادية على الصعيد الدولى . ومن أمثلة ذلك الامتناع عن تصدير مواد خام أو منتجات مصنعة تحتاج اليها الدولة المستهدفة سواء لمواطنيها أو تطوير صناعاتها . والامتناع عن شراء المنتجات الرئيسية لهذه الدولة لحرمانها من مصادر النقد الأجنبى . وقد يصل الضغط الى حد الامتناع عن تقديم المعونة المالية والفنية والتدخل لدى الدول والهيئات الدولية لقطع المعونة المالية والفنية التى تكون الدولة الواقعة تحت الضغط فى أمس الحاجة اليها .

ويعتبر صراع المصلحة أحد الخصائص والمميزات الرئيسية للصراع الدولى ، وهو فى نفس الوقت ، أحد مصادر الصراع الرئيسية داخل الدولة الحديثة ، ويمكن التعرف على صراع المصلحة داخل الدولة ، عندما تتصادم مصلحة الفرد ، جماعة أو تنظيم مع نظرائهم أو تبدو أنها فى طريقها الى التصادم . وتواجه الدولة العديد من أنماط الصراع المصلحى منها ما يلى :

- كيفية تأمين سلامة أداء الواجب الذى يضطلع به : رجل الحكومة الرسمى، رجل الأعمال ورجل المهنة ، فى الوقت الذى يتأثر هذا الواجب بمصالحه الاقتصادية الخاصة ؟ ويطرح الفقه مسألة التطبيع القانونى للمصلحة بمعنى وضع الضوابط القانونية الكفيلة بالتوفيق بين المصلحتين .

- كيفية تأمين السلام الدولى فى الوقت الذى تتناقض فيه المصالح القومية للدول أعضاء النظام الدولى . ويطرح الفقه الدولى القانونى مسألة الحل الشكلى للصراع كما يطرح الفقه السياسى مسألة ادارة الصراع الدولى وحله بالوسائل الموضوعية .

سادسا ـ الصراع السياسى :

علم السياسة « هو تلك المجموعة المنظمة من المعرفة التى ترمى الى دراسة ظاهرة السلطة فى وضعها المعاصر سواء من حيث عناصرها المكونة سواء من حيث استعمالها التطبيقى ، بغية استخلاص القوانين العامة التى تحكم الظاهرة لا فقط من ناحيتها الشكلية الرسمية بل وأيضا من الناحية الفعلية الواقعية » ومن ثم فان موضوع ومحور هذا العلم هو ظاهرة السلطة .

والصراع السياسى يستمد طبيعته من طبيعة علم السياسة باعتباره علم تلخيص وملتقى بمعنى أنه بدرجة ما تلخيص للعلوم الاجتماعية الأخرى وتلتقى فيه كافة العلوم الاجتماعية دون أن تتحدد به ، كما انه علم توجيه لأن جوهره

t.me/montlq

ـر ظاهرة السلطة . وتعتبر ظاهرة الصراع السياسى نتيجة منطقية للسمة البارزة
للعلاقات الانسانية التى تتأرجح بين عمليتين متلازمتين فى الجماعة السياسية
ـما : العملية التصارعية والعملية الاندماجية . وتحتم هاتين العمليتين اللقاء
بين شخصية أو أكثر داخل حلقة من حلقات الاتصال فى اطار الجماعة . وقد
يتولد عن هذا اللقاء تناقض فى المصالح أو الأهداف أو مجرد الاهتمامات بحيث
يتحول الى مواقف ايجابية تتجه الى انتزاع ما يقدمه الطرف الآخر من مزايا .
ومن الثابت أن هاتين العمليتين لن تختفيا الا فى حالة واحدة فقط وهى انسحاب
الأطراف المتصارعة وانقطاع العلاقة بينهم تماما .

ويقود الصراع السياسى الى خلق ظواهر ومؤسسات يمكن أن تبدو ولأول
وهلة متناقضة مع طبيعته ، ولكنها فى الواقع نتيجة حتمية له مثل : الاتفاقات
الجماعية ، التحالفات بين التنظيمات ، الأحزاب السياسية ، التوازن بين القوى
المحلية . ولقد شهدت ظاهرة الصراع فى الجماعة السياسية ـ اهتماما أكاديميا
ـ بدأه كارل ماركس بأن جعل الظاهرة السياسية تعبيرا عن القوى المادية فى
الجماعة ، وقد جعل الحركة السياسية بل وتطور الجماعة تعبيرا عن صراع
هذه القوى المادية فى صورة الصراع الطبقى . وقد حاولت مدرسـة داروين
الاجتماعية فحص الظاهرة لكنها فشلت فى ان تقدم نظرية متكاملة فى الصراع
السياسى .

ومن جانب آخر أدى تزايد مخاطر التهديد النووى فى التاريخ المعاصر الى
تزايد الاهتمام بالدراسات الخاصة بالصراع السياسى على الصعيدين المحلى
والدولى . كما أدى هذا الاهتمام الى ظهور عدة مفاهيم جديدة كالمنافسـة
السياسية ، أولوية الأهداف ، تكامل أجهزة الصراع .. الخ .. مما كان له
أثره فى اثراء منهاجية الصراع السياسى .

ومفهوم الصراع السياسى هو جوهر فكرة التطور السياسى التى تعنى
التفاعل الذى يترتب على صدام مستتر أو توافق ظاهرى ، ولكنه دائما مرتبط
بحقيقة التغير الاجتماعى والاقتصادى وما يتفرع عنه وما يفرضه من تنقلات
متتابعة من وضـع الى آخر تعبيرا عن قانون التوالد الذى هو طبيعة الوجود
الانسانى . ويعتبر الصراع السياسى تعبيرا عن ظاهرة التنمية والشخصية
القيادية فى الجماعة السـياسية وما يرتبط بها من قدرات ادراكية وصـفات
بشـرية .

والمجتمع السياسى أى كانت طبيعته ينقسم دائما الى فئتين ، الأولى حاكمة
والأخرى محكومة . والمواطن فى علاقته بالسلطة لا يعدو أن يكون واحدا من

t.me/montlq

ثلاث : اما حاكم يزاول السلطة فهو يريد أن يحتفظ بها • واما محكوم عليه أن يخضع طائعا أو مكرها لأوامر السلطة وتعاليمها • واما معارض ينتمى الى طائفة المحكومين ولكنه يتحين الفرص وينتظر اللحظة المناسبة لكى يثب على السلطة فينتقل من موقف المحكوم الى مقعد الحاكم • وفى جميع الأحوال تكون السلطة السياسية هى محور الصراع سواء كانت هدفا بالنسبة للمعارضة أو وسيلة بالنسبة للسلطة الحاكمة • غير أن ظاهرة الصراع السياسى لا تقع في شكل واحد فى كل المجتمعات ولكنها لا تخرج عن صور ثلاث هى :

(أ) الاكـــــراه

(ب) الاقنـــــاع

(جـ) الخـــــديعة

وتعتبر الأحزاب السياسية فى الديمقراطيات الغربية هى التعبير الوظيفى لظاهرة الصراع السياسى • وتبقى ظاهرة الصراع بين السلطة والمعارضـــة مرتبطة تماما بالاطار العام للصراع بين الأحزاب السياسية ويمكن التمييز في هذا الشأن بين أنماط ثلاث هى :

(أ) الصـــراع بدون مبـــادىء •

(ب) الصراع على مبادىء قانونية •

(جـ) الصراع على مبادىء أساسية •

والصراع السياسى فى المجتمع يمكن أن يكون ممزقا للبنيان الاجتماعى والوحـــدة الوطنية ، وفى هذه الحالة يطلق عليه تعبير الصـــراع اللاوظيفى Dysfunctional حيث يتولد عن أزمات يتعرض لها البنيان الاجتماعى العقائدى ، أى أنه نموذج يعكس الوضع الاجتماعى لأن الجذور والأصـــول العميقة للتركيب الاجتماعى هى التى أنجبته وبجملة واحدة : نموذج يتولد عن تفاعل قوى وطاقات داخلية وذاتية • ويتجه الصراع لأن يصبح صراعا ممزقا للجماعة السياسية عندما تفتقر هذه الجماعة الى القنوات والمؤسسات الكافية للتعبير عن الصـــراع ، مع تميز الهيكل الاجتمـاعى بالجمـــود • ومع تراكم الصراعات التى لا يمكن التعبير عنها يؤدى الى اختلال التوازن فى الهيكل الاجتماعى ومن ثم يندلع الصراع فى شكل مدمر وضار •

والصراع يمكن ان يمارس وظائف اجتماعية مرغوب فيها من ناحية العمل على تثبيت ومواءمة وتكيف العلاقات الاجتماعية وهياكل البنيان الاجتماعى •

ويقدم العالم الأمريكى لويس كوسر مجموعة من الوظائف يؤديها الصراع فى المجتمع هى :

١ ـ الصراع داخل الجماعة يمكن ان يساعد على اقامة الوحدة داخلها أو يعيد بناءها ويدعم الائتلاف والتماسك بين أعضائها ٠

٢ ـ الصراعات التى ترتبط بالأهداف ، القيم ، المصالح ولكنها لا تتناقض مع المسلمات الأساسية للجماعة تتجه لتأدية وظيفة ايجابية بالنسبة لهيكل الجماعة ٠

٣ ـ ان الصراع داخل الجماعة من الأمور التى لا يمكن تجنبها طالما بقيت المنافسة على الموارد ، الهيبة والقوة بين الأفراد ٠ وتتوقف طبيعة الصراع على مدى تسامح الجماعة فى التعبير عنه وتوافر المؤسسات النظامية للتعبير عنه ٠

٤ ـ ان الجماعات المنغلقة عادة ما يرتبط أفرادها بشخصية شمولية تميل بطبيعتها الى كبت الصراع وتمنع من تعبئة شعور الجماعة لادارة الصراع ٠ وكلما كانت الجماعة منغلقة كلما أضحى الصراع أكثر كثافة ٠ واذا قدر لهذا الصراع أن ينفجر فانه يهدد بتدمير الجذور الأساسية للعلاقات الاجتماعية والسياسية ٠

٥ ـ ان مرونة الهياكل الاجتماعية ، وقدرة الأفراد على المشاركة فى الصراعات العديدة داخل الجماعة يمثل ـ فى حد ذاته ـ ميكانيزمات التوازن داخل هيكل الجماعة ٠ ويؤدى الى حل وازالة التوترات بين الأفراد ، والعمل على تعديل ومواءمة التوازن داخلها ٠

ويحتدم الصراع السياسى خلال الفترات التى تعانى الجماعة فيها من أزمة المعتقدات ، وهى أزمة مرتبطة ومتصلة بالمظاهر المادية للمجتمع ٠ وتنعكس هذه الظاهرة على الصعيد الفكرى أو الروحى للأمة عن طريق هذه الأزمة ٠ وتؤدى الهوة ، أو الفاصل الزمنى ، بين نظام سياسى قديم من جهة ، ومختلف العناصر الجديدة للبنيان أو التركيب الاجتماعى للمجتمع ، من جهة ثانية ، الى أن عددا كبيرا أو قليلا من أفراد المجتمع ينسلخون عن النظام السياسى المذكور ٠ وهكذا يتولد الصراع حول مبدأ شرعية السلطة السياسية : اذ أن فئة صغيرة أو كبيرة ، من المواطنين تطرح مشكلة السلطة أو النظام السياسى القائم على بساط البحث والنقاش ، ولا تكتفى هذه الفئة بنقد الأساليب التطبيقية

t.me/montlq

لذلك النظام فقط ، بل يذهبون الى حد نقد الأصول الأساسية والمبادىء الأولية التى تستمد السلطة سلطاتها منها ٠

ويؤدى الصــراع السياسى اللاوظيفى أو الممزق الى اندلاع العنف فى الجماعة السياسية بدرجة لا يمكن السيطرة عليه أو اقامة دكتاتورية حاكمة ٠

التطور التاريخى لنظرية الصراع الدولى

خضعت ظاهرة الصدام بين الدول ، وتفسير وقوع هذا الصدام لتطور فكرى على مدى تاريخ الانســان ٠ فقد بذل الناس منذ بدء تكوين الجماعات البشرية محددة الهوية ، جهودا كبيرة للتوصل الى شرح نظرى للصراع والحرب ٠ والعلماء الاجتماعيون ينظرون الآن الى هذه الافكار على أنها بدائية وبسيطة وتنتمى الى فترة ما قبل العلم ٠ ولكن النظرة الفاحصة لهذه النظريات تجعل من بعض هذه النظريات المصادر الفكرية لنظرية الصــراع الدولى فى ثوبها المعاصر ٠ وهناك بعض النظريات القديمة ذات أبعاد ادراكية ومفيدة للوقوف على التفسير العقلانى للصراع والحرب بين الدول ٠ وتعتبر هذه النظريات مفيدة للانسان المعاصر فى توضيح بعض الدوافع والشــعور الكامنة وراء ظاهرة الصراع الدولى والتى غالبا ما يهملها الكتاب المعاصرون ٠

واذا كان غالبية العلماء المعاصرين يتناولون ظاهرة الصراع الدولى على أساس منهاج علمى من خلال النماذج الفكرية والرياضية ، فان معظم المفكرين الأوائل قاموا بفحص الظاهرة بأســلوب طبيعى من خلال الملاحظة البشــرية الفورية ، ومع ذلك فان النتائج التى توصل اليها القدماء ذات فائدة للاستقصاء المعاصــر وجديرة بالبحث والدراســة ٠ وقد تميزت المعالجة الفكرية لظاهرة الصراع الدولى عند القدماءبعدة خصائص منها :

١ ـ اهتم المفكرون والفلاسفة منذ العصور البشرية الأولى بالحرب بين المجتمعات ، ولم توجد معالجات فكرية ذات بال بالنسبة لأشكال الصراع الدولى الأخرى ، ويرجع ذلك الى بدائية عملية الاتصال الدولى ووسائل المواصلات فى هذه العصور ٠

٢ ـ ان المفكرون والفلاسفة تناولوا الظاهرة من منطلقات دينية وفلسفية أو ما يعرف بالتحليل القيمى فى الدراسات العلمية المعاصرة ٠

t.me/montlq

أولا ـ الصراع الدولى والحضارات القديمة :

اقتنعت الحضارات القديمة بأن السلوك الانسانى اما ان يكون انعكاسا للخير أو يكون انعكاسا للشر فى البشر وأن الحرب مصدرها ارادات الأفراد وهى نتيجة للاختلال المعنوى للانسان • وقد أكد الفكر اليونانى القديم ان الناس يذهبون الى الحرب لأنهم يرفضون العيش داخل حدود الضـــرورة ويطالبون دائما بالحياة المنعمة •

والأفكار المثالية التى قدمتها الحضارة اليونانية لم تستبعد وقوع الصراع الدولى ، فقد طالب افلاطون فى جمهوريته بأن يتوافر لدولته المثالية حراس من العسكريين يتولون الدفاع عن المدينة الدولة Polity ضد القوى الخارجية المعتدية •

وقد عرفت الحضارة الصينية القديمة المعالجات الفكرية والفلسفية لقضية الصراع الدولى • فقد أيد بعض الفلاسفة أمثال هان فى تسو ظاهرة الصراع الدولى واعتبروها ظاهرة طبيعية باعتبار أن جوهر الحياة البشرية هو القوة وأن هدف الانسان الدائب هو الاستحواذ على أكبر قدر منها • ومن ناحية أخرى حذر فلاسفة آخرون أمثال كونفوشيوس الحكام من دخول حرب عدوانية ، وطالب لاوتسو Lao Tsu أن يلتزم الناس حياة البســـاطة لأن هذه الحياة هى الكفيلة بمنع أى نوازع شخصية شريرة ومنها اللجوء للحرب وطالب لاوتسو بالقضاء على ظاهرة الصراع الدولى وتحريم الحروب بين الدول لما ينجم عنها من مآسى ، اما النصر الذى يفوز به أحد أطراف الصراع فهو فى نظره مدعاة للأسف أكثر منه سببا للابتهاج •

وعرفت الحضارة الهندية القديمة مذهب الهيمسا المؤسس على مقولة : عدم الاضرار بكل المخلوقات ، ويعتقد المفكرون المعاصرون ان هذا المذهب هو المصدر الفكرى لفلسفة غاندى فى العصر الحديث التى تقوم على اتباع طريق اللاعنف • ولكن هذا لا يعتبر دليلا على مثالية الهند فى معالجتها لقضايا الصراع الدولى فهناك بدون شك بعض المعلمين الهندوس والبوذيين احتجوا ضد الحرب من منطلقات براجماتية ، ولكن كل الحكام ـ وحتى البوذيين منهم ـ اعتبروا الحرب ظاهرة سياسية طبيعية •

ومن الناحية الواقعية تاريخيا سواء فى الصين القديمة أو الهند القديمة ، لم يحجم الحكام عن الحرب لأسباب اخلاقية • ومن المعروف أن الحكام فى هذه الحضارات غالبا ما اقتفوا سيرة وتعاليم كاوتيليا Kautilya « ميكيافيلى

t.me/montlq

الشرق » الذى نصح الحكام بضرورة حساب العناصـــر الاستراتيجية للقوة والسياسة الخارجيةقبل التحامهم فى صراع مسلح ٠

ثانيا ـ المسيحية والصـــراع الدولى :

وضع المسيحيون الأوائل خطا فاصــلا بين الدين والسياسة وبأســـلوب قاطع أكثر من تلك العلاقة المشتركة التى ميزت الثقافة اليهودية الثيوقراطية التى نظرت الى قادة الحرب القدامى أمثال يوشـــع ، جدعون وداوود باعتبـــارهم أدوات لهزيمة أعداء شعب الله المختار ٠ فقد نبذت المسيحية الحرب كلية ، ويرجع ذلك الى قول السيد المسيح عليه السلام الى القديس بطرس « أعد سيفك الى مكانه لأن كل الذين يأخذون السيف بالسيف يهلكون » ٠ وقد نبذت المسيحية كل ألوان العنف فى العلاقات البشرية حيث ورد نص فى انجيل متى ، «أما أنا فأقول لكم لا تقاوموا الشر ، بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضا ، ومن سخرك ميلا واحدا فاذهب معه ميلين » ٠ فاستنادا الى ماجاء فى الكتاب المقدس توصل المسيحيون الأوائل الى تحريم الحرب تحريما مطلقا ٠

وقد ساد الاعتقاد لدى الآباء المسيحيين الأوائل بأن الحاكم يجب أن يطاع لأنه أختير بواسطة العناية الالهية ٠ وقد احتج أنصار « الحق الالهى » فى الحكم بنص العهد الجديد « لتخضع كل نفس للسلاطين الفائقة ٠ لأنه ليس سلطان الا من الله والسلاطين الكائنة هى مرتبة من الله ٠ والمقاوم لترتيب السلطان يقاوم ترتيب الله ، والمقاومون سيأخذون لأنفسهم دينونة » ٠

ولم يستمر اجماع المسيحيين الأوائل على مبدأ نبذ العنف والحرب لفترة طويلة وانقسموا على أنفسهم الى فريقين ، الأول يعتنق مذهب السلام ويرى وجوب تطبيقه بصفة مطلقة استنادا الى تأكيد السيد المسيح على نبذ استخدام القوة ٠ والفريق الثانى ـ الذين تأثروا بالنزعة الوطنية ـ يرى بأن الانجيل لم يمنع صراحة قيام المهنة العسكرية وأن قانون الحب الذى جاءت به المسيحية لم ينسخ Abrogate قانون القوة فى الحياة البشرية ٠

وكانت وجهة نظر بعض آباء الكنيسة سواء فى الشرق أو فى الغرب بأن الحرب وجدت كعلاج لخطيئة الانسان تماما كوجود الحكومة ، الملكية الخاصة ونظام العبودية ٠ والحرب فى نظرهم أداة لاقامة العدالة بين البشر وفى هذا الاطار تصبح عملا خيرا وليس عملا شريرا ٠ واعتقد بعض آباء الكنيسة أن الفرد المسيحى اذا لم تتوافر لديه القوة التى تدرأ عنه العدوان سوف يرتد الى الفساد ٠ وان من حق الدولة ان تلجأ لاستخدام القوة اذا شعرت بوجود تهديد

t.me/montlq

ـا . وعلى الرغم من ان كثيرا من المسـيحيين رفضـوا الدخول فى الخدمة العسكرية للامبراطورية فان الكنيسة الأولى لم تعارض فى اندراج الأفراد فى المهن العسكرية على أسس دينية .

وقد حاول المسيحيون الأوائل التوفيق بين نص الانجيل وضرورات الدولة توصلوا الى التفرقة بين الحرب المشروعة والحرب غير المشـروعة . ويعتبر القديس اوجستين Augestine أول من كتب فى مشروعية الحرب خلال القرن الخامس الميلادى ، وأوضح شروط هذه الحرب . وقد رأى ان الانسان قد يواجه بموقف لا يجد خيارا آخرا سوى اللجوء للحرب « الحرب أو الهزيمة » وهى ضرورة محزنة فى نظر الناس ذوى المبادىء ولكنها أفضل من سيطرة الأشرار على انصار العدالة . وقدم سانت أمبروز فى نفس الفترة ــ العصور الوسطى ــ مبررات لجوء الدولة الى الحرب وأوضح ان الدولة ليس من حقها فقط اللجوء للحرب ولكن ــ فى ظروف معينة ــ عليها التزامات أخلاقية لتحملها .

وتطور الفكر المسيحى فى القرون الوسطى لتبرير الحرب على أساس مبدأ العدالة فقد نادى القديس توماس الأكوينى فى القرن الثالث عشر الميلاد بفكرة الحرب العادلة Just War . والحرب العادلة هى التى يعلنها الأمير صاحب السلطة العليا ويوجهها ضد شعب ارتكب ظلما نحو شعب آخر ، ولم يشأ أن يرفع هذا الظلم . ويرى بضرورة خلو الحروب من كل طمع ووحشية والا فسدت النية التى يجب ان تكون لانجاز السلام وقمع الأشرار . أما الحرب غير العادلة فهى التى توجه بقصد اغتصاب اقليم أو اعتداء على حق دولة .. ولقد عدتها الكنيسة خطيئة دينية .

وقد حاول الفلاسفة خلال العصور الوسطى مراجعة وتنقية مذهب الحرب العادلة ، فوضعوا معايير الالتزام بها فى هذا الشأن وهى :

١ ــ ان قرار اللجوء للحرب هو وظيفة السلطة العامة فى الدولة وليس وظيفة الفرد المسيحى العادى الذى يتوجب عليه الامتناع عن ممارسة العنف ضد البشر بصفته الشخصية ، ولكن يمكنه فعل ذلك باعتباره ممثلا للدولة فى حرب عامة .

٢ ــ ان العدالة فى الحرب مبعثها خرق الحقوق القانونية للدولة من جانب حكام الدولة المجاورة .

٣ ــ ان شن الحرب العادلة لا يتم الا بعد استنفاذ كافة الوسائل السلمية لتسوية الصراع بما فى ذلك اللجوء الى التحكيم .

t.me/montlq

٤ ـ ان هدف اللجوء الى القوة يجب ان يكون خيرا وليس شريرا وان يسفر عن استتباب النظام والعدالة ٠

وقد حاولت الكنيسة فرض رقابة أخلاقية على عملية ادارة الحرب للتخفيف من المآسى والويلات التى تصاحب الصـــدام المسلح بين الدول ٠ وتمثل هذا الجهد فى فرضها لعدة قيود يتوجب على الأطراف المتصارعة الالتزام بها وهى :

١ ـ تحديد مواقيت زمنية يحرم فيها القتال ٠

٢ ـ تحريم استخدام أنواع معينة من الأسلحة فى عملية القتال ٠

٣ ـ اعفاء نوعيات معينة من أفراد الشعب من الانضمام للخدمة العسكرية واعطاء فئة أخرى حصانة فى مواجهة الأعمال العسكرية ، بالاضافة الى مراعاة الظروف المعيشية للسكان ٠ والحقيقة لم تكن هذه المحاولات للتقليل من خشونة الحـــرب جديدة فى الثقافة الغربية فقد عرف الأغريق والرومان قواعد مماثلة كحظر التدمير للسكان والمدن ٠

وخلال المرحلة الانتقالية بين العصور الوسطى والعصور الحديثة ، شهدت نظرية الصراع فى أوروبا تطورا عكس الصـــراع الأيديولوجى الذى ميز هذه المرحلة من ثقافة العصور الوسطى ٠ واذا كان القرنان الثانى عشر والثالث عشر تعبيرا عن الحرب باعتبارها أداة لعقاب الحضارات المنحرفة وغير المخلصة من منظور دينى ، فان الحروب فى القرنين الرابع والخامس عشر خاصة بين فرنسا وانجلترا كانت انعكاسا للشعور القومى وبدأت تعالج الحرب باعتبارها ظاهرة وضعية تعكس سياسات الممالك النامية فى أوروبا ٠ وكان ذلك ايذانا ببداية اخضاع الصراع المسلح لقواعد القانون الدولى العام مع بداية سيطرة مفهوم الدولة القومية فى أوروبا ٠

ثالثا ـ الاســـلام والصـــراع الدولى :

جاء الاســـلام موجها لاستصلاح الناس فيما يتعلق بشئونهم فى دينهم ودنياهم ٠ فالاسلام عقيدة وشريعة يجمع بين الروحمانيات والماديات ، ولم يجعل العبادات مجرد شعائر وطقوس آلية ، واعتبر كل عمل من أعمال الخير عبادة ٠ فقد مزج الاسلام العقيدة بالحياة وعلم معتنقيه أن كل عمل من أعمال الدنيا من صـــميم الدين مادام الباعث عليه حب الخير والانتاج النافع ومصـــلحة الجماعة ٠ وقد أصبح التشريع الاســـلامى ـ وفقا لما تقدم ـ لا يعتمد على

t.me/montlq

الخوارق والمعجزات بقدر ما يقوم على المشاهدة والتأمل فى الكون وأسباب الحياة ، ولهذا قال الباحثون فى التشريع الاسلامى · انه يرجع الى ثلاثة نواح :

١ ـ الأحكام الاعتقادية ·

٢ ـ الأحكام الخلقية ·

٣ ـ الأحكام العملية ·

وقد تضافرت هذه الأحكام فيما بينها لتشكل دعائم العلاقات الانسانية فى الشريعة الاسلامية · فقد فضل الاسلام الانسان على جميع المخلوقات فى الكون وجعله سيدا لها « واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال انى أعلم مالا تعلمون » · واعتبر الاسلام أن الناس جميعا أمة واحدة ، واذا كانت الأهواء قد فرقت بينهم فان الأصل واحد « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام ، ان الله كان عليكم رقيبا » : والتعاون فى الاسلام مبدأ عام يميز العلاقات مع كل الجماعات الانسانية « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » · ودعا الاسلام الى التسامح غير الذليل وبناء العلاقات الانسانية بين الآحاد أو الجماعات دون استسلام للشر او تمكين للأشرار « ادفع بالتى هى أحسن ، فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم » · وتعتبر الحرية والفضيلة من بين دعائم العلاقات الانسانية فى الشريعة الاسلامية ·

ويعتبر مبدأ العدالة هو القيمة السياسية العليا Top Value فى الاسلام وتصاغ على أساس هذا المبدأ كافة القيم التى تحدد دعائم العلاقات الانسانية سواء ، الآحادى منها أو بين الجماعات وأخيرا على مستوى العلاقات الدولية · واذا كان لكل دين سمة يتسم بها فسمة الاسلام هو العدالة ، وهى شعاره وهى خاصته · والعدالة هى الميزان المستقيم الذى يحدد العلاقات بين الناس فى حال السلم ، وحال الحرب ، فهى القسطاس المستقيم الذى توزع به الحقوق ، وبه تحمى الحقوق ، وبه ينتظم الوجود الانسانى ·

وقد أجمع المصدرين الأعليين للشرع الاسلامى (الكتاب والسنة) على ان العدل هو أساس الأحكام الاسلامية المنظمة للعلاقات الانسانية على كافة مستوياتها · والعدالة الاسلامية حق للأعداء ، كما هى حق للأولياء ، ولا تجيز ان تحمل العداوة على الظلم ، وان العدل مع الأعداء أقرب للتقوى ، مصداقا

t.me/montlq

لقوله تعالى : « ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا ، اعدلوا ، هو أقرب للتقوى » · واعتبر النبى (صلى الله عليه وسلم) من يعاون الظالم على ظلمه خارجا عن الاسلام ، فقال عليه السلام « من مشى مع الظالم فقد خرج من الاسلام » ·

دعا الاسلام الى السلم فى كافة أحواله ، واعتبر الحرب من اغراء الشيطان والاسلام اذ يقرر السلم على أنه أصل من أصول العلاقات بين الدول فانه لا يسمح للمؤمنين ان يتدخلوا فى شئون الدول الا لحماية الحريات العامة ، وعندما يستغيث به المظلومون ، أو يعتدى على المعتقدين له ، ويكون التدخل حينئذ لمنع الفتنة فى الدين · ولا شك ان الحرب فى الاسلام ليست هى الأصل فى العلاقات ، لأن قواعد العلاقات الانسانية التى قررها الاسلام ـ آنفة الذكر ـ لا تسمح بابتداء المسلمين بالحرب من غير باعث من هذه القواعد كالاعتداء على العدالة أو الكرامة الانسانية ولا تكون حرب الا اذا كان من هذه القواعد ما يبررها ، فاذا قامت فهذه القواعد تحكمها وتقيدها ·

والاسلام لم ينكر ظاهرة الصراع فى العلاقات الدولية وأباح الحروب العادلة لمنع الحكام المارقين من الفساد فى الأرض « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ، ولكن الله ذو فضل على العالمين » · والحرب العادلة فى الاسلام هى الحرب الدفاعية · وأوجبت الشريعة على الحاكم المسلم أن يرد الاعتداء بالقدر الضرورى لرده · ولا يتجاوز المحارب المسلم حدود الدفاع ، فلا يقتل من لا يقاتل ، ولا يقتل الأطفال والشيوخ ولا العمال والمنصرفين للزراعة ونحوها ولا يباح دم انسان الا من يكون فى ميدان القتال ·

والحرب فى الاسلام حالة طارئة تقتضيها الظروف القهرية من أجل رد العدوان وتثبيت دعائم العدالة · ولكن الأصل فى العلاقات الدولية فى الاسلام هو السلم · « يا أيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين » · فاذا تبددت كل أسباب السلام وتعرضت الدولة الاسلامية للعدوان والظلم يصبح القتال فرض عين على المسلمين « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير » ·

ويعتقد بعض الكتاب الغربيين ان الاسلام بشر بالحرب المقدسة Holy War كواجب مقدس على المسلم وكضمان للخلاص · وان العالم ينقسم الى دارين الأولى دار السلام التى تضم المسلمين والخاضعين لهم والثانية دار الحرب التى تضم غير المؤمنين · ويضيفون أنه نظرا لأن الاسلام نظام كونى العقيدة فان الدارين كانتا فى حرب دائمة بين بعضهما البعض · غير أن مفهوم الجهاد باعتباره حالة حرب مستمرة ضد العالم غير المسلم قد أصبح

t.me/montlq

مفهوما مهجورا فى العصور الحديثة . وقد فشلت دعوة الخليفة العثمانى لشن حرب اسلامية مقدسة على قوى الحلفاء خلال الحرب العالمية الأولى .

والحقيقة أن مرجع آراء الكتاب الغربيين لم تكن من وحى خيالهم وانما من كتابات بعض فقهاء المسلمين أنفسهم . فلقد جاء بعد عهد الخلفاء الراشدين عهد ملوك بنى أمية ، وملوك بنى العباس ، ولم تبق الخلافة ذوية ، بل صارت ملكية . وكان الاجتهاد المذهبى والحروب ناشبة بين المسلمين وغيرهم . وهو العصر الذى دون فيه الامام محمد بن الحسن تلميذ أبى حنيفة آراءه وآراء فقهاء العراق فى العلاقات الدولية ، ودون الأوزاعى وأبو يوسف جزءا منها ، ثم دون بعدهم الشافعى وأحمد بن حنبل . والفقهاء الذين قالوا بأن الأصل فى علاقة المسلمين بغيرهم هى الحرب ، أخذوا قولهم من الواقع لا من أصل النصوص ، وليس أولئك هم الأكثرين . ويعتقد بعض الكتاب المعاصرين ان الصراع الدولى فى المفهوم الاسلامى لا يعنى مجرد الحرب الدولية لرد العدوان والظلم واقامة العدالة ، ولكن الأهم هو النضال الروحى الذى يستهدف قلب الانسان ونشر العقيدة دون عنف .

وقول بعض الكتاب بأن الاسلام يقسم العالم الى دارين هما دار الاسلام ودار الحرب واللذان يشتبكان معا فى حرب مقدسة مستمرة ، قول يجانبه الصواب اذ أن هناك دار ثالثة تسمى دار العهد . وهى تضم الدول التى كانت بينها وبين الدولة الاسلامية عهد عقد ابتداء أى ميثاق للصلح بين الطرفين . كما ان بعض الفقهاء المسلمين ومنهم ابى حنيفة الذى .أى ان كون الســلطان والمنعة لغير المسلمين لا يجعل الدار دار حرب بل لابد من تحقق شروط ثلاثة لتصير الدار دار حرب هى :

١ ـ الا تكون المنعة والسلطان للحاكم المسلم ، بحيث لا يستطيع تنفيذ الاحكام الشرعية .

٢ ـ انيكون الأقليم متاخما للديار الاسلامية بحيث يتوقع منه الاعتداء على دار الاسلام .

٣ ـ الا يبقى المسلم أو الذمى (أى غير المسلم الذى يعد من الرعوية الاسلامية) مقيما فى هذه الديار بالأمان الاسلامى الأول الذى مكن رعية المسلمين من الاقامة فيها .

والنصوص القرآنية تمنع الاعتداء وتنهى عنه ، بل أنها تأمر بالصبر ان امكن رد الاعتداء من غير قتال ، وهو ذلك الأمر المبغض فى الاسلام الذى لا يباح

t.me/montlq

الا لضرورة ملجئة اليه لا تقبل التأخير • وهى ان وقعت تكون ضد السلطان وعسكره وليست ضد الشعوب وحضاراتها •

لقد جاء الاسلام والعرب وغير العرب يشـــتبكون فى حروب لا تحصى ولأغراض لا طائل تحتها • ولم يكن رسول الاسلام (صلى الله عليه وسلم) يملك قوة مادية ، فكانت دعوته معتمدة على الاقناع والحجة ، دون عنف أو قسر « قل ان كنتم تحبون الله ، فاتبعونى » ، والمتابعة هى الآتيـــان بمثـل فعله والاسلام يعتبر قتل الانسان ـ بغير حق ـ شر مستطير ، فقدجعل منزلة الانسان من حيث هو نائب عن الله وخليفته فى الأرض وهى أعلى وأشرف من منزلة كل شىء فى السموات والأرض ، وما كل هذه الأشياء الا دونه حيث انها خلقت ليتمتع بها على ما تقتضيه ارادة مولاه • وليســـت النيابة عن الله عز وجل محصورة بفرد من أفراد البشرية ولا بطائفة من طوائفها وانما الجنس البشرى بمجموع أفراده وطوائفه •

وقد جعل الاسلام الايمان صنو الأمان والاسلام قرين السلام وتصدى لمطامع النفس والعدوان على حقوق الانسان « يا أيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين » • والاسلام يؤكد الصفة الدفاعية للحرب « يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا ، تبتغون عرض الحياة الدنيا ، فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا ان الله كان بما تعملون خبيرا » •

ان سلامه القانون المنظم لظاهرة الصراع الدولى واقرار السلم فى الشريعة الاسلامية ، لا تعنى ـ بأى حال ـ تبريرا للمخالفات التى طرأت عند تطبيقه • فالمخالفة للقانون لا تطعن فى قيمته • ولا ننكر أن هناك ملوكا مسلمين خلطوا أقبح خلط فى حروب شتى اشعلوها باسم الدين • ولم تكن الاخطاء التى ارتكبها هؤلاء الملوك مصدر مضايقة لغير المسلمين فحسب ، فالواقع ان المسلمين شقوا بها قبل غيرهم ، ودفعوا ثمن هذه الاخطاء المحزنة من كرامتهم فى الدنيا وسعادتهم فى الآخرة •

رابعا ـ نظريات الصراع الدولى فى العصور الحديثة :

شهدت أوروبا خلال القرن السابع عشر انتهاء الحروب الدينية ، وبدأ مفهوم الدولة القومية فى الانتشار ، وتميزت الحروب والصراع الدولى فى القرنين السادس عشر والسابع عشـــر بالتخلى عن الطابع الايديولوجى • وقد أقرت معاهدة صلح وستفاليا ١٦٤٨ م وكذلك معاهدة اوترخت ١٧١٣ م الســـيادة

t.me/montlq

الدولة القومية وعدم وجود أى سلطة دولية تعلو هذه السيادة . وأصبحت هذه الوحدات لها حق اطلاق يدها فى الشئون الداخلية والخارجية معا ، استنادا الى المفهوم المطلق للسيادة .

وقد أدى مذهب السيادة الى مبدأ اللامركزية التنظيمى فى العلاقات الدولية وأصبح سلوك الدولة يتم وفقا للتحديد الذاتى Self-Limitation أى ما تتمتع به كل دولة من سلطة ذاتية فى ان تقبل أو ترفض ما يرد على سيادتها من حدود . وأصبح للدولة وحدها سلطة التقدير الذاتى Self-Help أى تقرر بارادتها المنفردة ما تراه مناسبا ، والجزاء الذاتى أى أن تأخذ حقها بيدها - ولم يكن للمجتمع الدولى أية نظم حكومية مركزية ، ولا أية سلطة تفرض أى توجيه للدول أو رقابة على تصرفاتها . وتألف القانون الدولى من التزامات فرضتها الدولة على نفسها بمحض ارادتها . واختصت الدول القومية نفسها بحق الفصل فى المنازعات التى تنشب بينها وبين غيرها من الدول أى أن تكون خصما وحكما فى آن واحد . وقد أعطى مفهوم السيادة المطلقة للدولة الحق القانونى فى الالتجاء التعسفى لاستخدام القوة . وترتب على تغلب مبدأ السيادة من الناحية النظرية ، سيادة مبدأ الارادة المنفردة للدولة من الناحية التطبيقية ، الذى لا تحده سوى فنون الدبلوماسية .

وقدم عدد من المنظرين والفلاسفة ـ خلال هذه الفترة ـ الأساس النظرى للسلوك الدولى . وفى مقدمة هؤلاء جروتيوس Grotius الملقب بأبى القانون الدولى ، وآخرين أمثال : فيتوريا وسورايز .

وقام جروتيوس بتحديد ميدان ونطاق قواعد القانون الدولى الوضعى المتميزة عن قواعد الدين والأخلاق بما يتفق وروح العصر الحديث الذى انفصلت فيه الكنيسة عن الدولة ، وظهرت الحاجة الى قواعد تنظيم العلاقات بين أصحاب التيجان أو أصحاب السيادة من ملوك ورؤساء دول . وهو يرى ان العلاقات الدولية يحكمها قانونان هما :

١ ـ القانون الطبيعى ويجد أساسه فى سلامة الفكر والمنطق كما يوصى بها العقل السليم .

٢ ـ قانون الأمم ، أو الشعوب المستمد من قانون الطبيعة ، وهذا الأخير يجد قوته الالزامية فى ارادة مجموع الأسرة الدولية ، وأتفاقها على مبادىء معينة من خلال العرف والمعاهدات الدولية .

t.me/montlq

وقد استعاد مفهوم الحرب العادلة صلاحيته فى ظل كتابات المنظرين فى هذا العصر ، وأصبحت الحرب بمثابة اجراء قانونى تقدم عليه الدولة من أجل الدفاع عن حقوقها بسبب غياب سلطة قانونية دولية عليا قادرة على فرض النظام والعدالة . ودافع كتاب هذا العصر (القرنين السادس عشر والسابع عشر) عن مبدأ الحرب العادلة لكنهم فرقوا فى هذا الصدد بين العدالة الأخلاقية والعدالة القانونية .

واذا كانت الحرب - منذ بداية العصر الحديث - قد اضحت مظهرا من مظاهر السيادة للدولة ، تلجأ اليه حين شاءت ، وان من حق كل دولة ان تستبدل بمشيئتها حالة السلام بحالة الحرب فى علاقاتها مع الدول الأخرى ، فان المنظرين أمثال جروتيوس قد وضعوا معايير لمشروعية الحرب . وهذه المعايير هى :

١ - ان الحرب وان كانت ضرورة عملية ووسيلة لاقرار السلام فان اللجوء اليها يجب أن يكون لضمان الحقوق وصيانتها .

٢ - الحصول على تعويض عن الضرر من الدولة التى تشن الحرب .

٣ - أن تهدف الحرب الى عقاب المخطىء أو الدولة التى أوقعت الضرر بدولة أخرى .

وقد برزت خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر عدة عوامل كان لها تأثير كبير على اضعاف ارادة القتال المنظم والصراع الدولى فى القارة الأوروبية وتمثلت هذه العوامل التى أثرت فى طبيعة الصراع الدولى فيما يلى :

١ - اختفاء المضمون الايديولوجى ، ونمو الشعور الرافض للعنف .

٢ - نمو وارتقاء البرجوازية الأوروبية .

٣ - نمو مجموعة من القواعد القانونية الاتفاقية التى تنظم العلاقات بين الدول .

٤ - اتساع ونمو العلاقات التجارية .

٥ - ارتقاء الفنون وتزايد الجهود الرامية الى الارتقاء الاجتماعى .

وقد شهد هذا العصر كتابات بعض الفلاسفة الذين تشككوا فى عدالة الحرب والصراع بين الدول ، ووصفوا الحروب بأنها انتحار جماعى ، وضرب

t.me/montlq

من الجنون • فقد كتب ايراسموس خلال عام ١٥١٠ م فى معارضة الحرب وانكار حق الحاكم فى شنها ورفض الاعتراف بشرعيتها مهما كان الدافع اليها • وهاجم الحكام وقادة الحروب ورجال الكنيسة الذين يباركون الحرب أو يشجعون عليها • ويعجب من الذين يشنونها وأولئك الذين لا يكفيهم ما تصبه الطبيعة على العالم من ويلات كالزلازل ، السيول ، البراكين والأمراض الوبائية ليضيفوا اليها شرا جديدا هو الحرب التى تولدها المطامع وتؤدى الى شقاء البشرية •

وطالب القس سان بيير ـ فى أواخر القرن السابع عشر ـ باقامة سلام دائم فى أوروبا عن طريق اقامة اتحاد يجمع كافة الدول الأوروبية ، وليس للاتحاد حق التدخل فى الشئون الداخلية للدول الأعضاء ما لم يكن هذا التدخل بغرض القضاء على ثورة تهدد نظام الحكم فى دولة عضو فى ذلك الاتحاد • وقد رفض مفهوم توازن القوى واعتقد بأن السلام وليد اختلال القوى بحيث تكون كفة الدول المحبة للسلام أرجح من كفة الدول العدوانية • أما الفيلسوف ايمانويل كانت فقد تناول قضية السلام العالمى على أنها أحدى قضايا الفلسفة • واعتبر القضية مجرد صراع بين سلطان العقل الذى ينتصر للخير ، وسلطان النفس الأمارة بالسوء • ومن هذا الصراع الكائن بين العقل والنفس يتولد الخير ، لأن ما يعانيه الانسان من بؤس وفاقة بسبب الحرب يدفعه الى التماس حياة السلم التى تتيح له المدنية والرقى • ويرى ان الحرب ليست الا صراعا بين سلطان العدل وسلطان الدوافع الشريرة ، وان الطبيعة سوف تدفع الانسان للبحث عن الوسائل الكفيلة بتحقيق السلام •

ان أصول مذهب السلام الحديث ترجع الى فترة عصر النهضة والتنوير فى أوروبا • واستندت المدرسة السلامية التى قامت على أنقاض مذهب التبرير الأخلاقى للحرب ، على كتابات عديد من الفلاسفة أمثال : فولتير ، روسو ، بنتام •• الخ •• وقد تأسست هذه الكتابات على عدة مصادر : الفلسفة الرواقية، المواقف المسيحية الأولى ، المثاليات الأوروبية الحديثة لفكرة الوطنية العالمية أو الانسانية • وقد عارضت جميع هذه الكتابات أى شكل من أشكال الصراع بين الدول والحروب • وأسهب هؤلاء الكتاب فى الكشف عن نواقص ومآسى الحروب • وقارن البعض بين طبيعة حياة الجندى والتاجر فأوضحوا أن الأولى تدميرية مزهقة للأرواح والثانية نافعة ومنتجة ، وأصبحت القوات المسلحة تمثل النموذج البارز للانفاق غير المنتج • وأصبحت فكرة القضاء على استخدام القوة فى السياسة الدولية هدف نبيل لرجال الدولة •

وترتب على اتجاه الفكر الأوروبى ـ خلال القرن الثامن عشر ـ نحو تمجيد مبدأ السلام ونبذ الحروب ، أن أصبح مطلب السعادة البشرية للفرد والجماعة

t.me/montlq

هو هدف الحياة الأسمى . ولكن الفلاسفة اختلفوا فيما بينهم حول سبل تحقيق السعادة البشرية ، وما اذا كان من الممكن تحقيقها من خلال تطبيق الأساليب العلمية والتقنية على حياة الانسان، أم من خلال رجوع الانسان الى حياة البساطة . ومع ذلك فقد اتفق العقلانيون والرومانسيون فى ضرورة كسر قيود السلطة التقليدية فى المجتمع ورفض المسالك التاريخية للحياة للقضاء على الفقر والجهل والمرض . واتفق على صلاحية الانسان المطلقة فى ان يقرر سلوكه ومصيره وأنه لا حدود على هذه الارادة وذلك المسلك سوى بقائه على الكرة الأرضية التى وضعته الطبيعة فيها .

وتميز هذا العصر بالعداء الفكرى والوجدانى لمذهب الحرب العادلة الذى نظر اليه على أنه ليس سوى أداة دعائية لتبرير طموح الملوك وعدوانيتهم . وقد تهكم فولتير من الحرب وبواعثها ، كما جادل مونتسكيو بأن التحول من الملكية الى الجمهورية سوف يتبعه تحول مماثل من روح الحرب الى رغبة أكيدة فى تدعيم أواصر السلام بين الدول والشعوب . وشهدت هذه الفترة عدة مشاريع واقتراحات توضح أساليب القضاء على ظاهرة الحرب واقامة توازن دائم بين القوى الأوروبية .

وأدى قيام الثورة الفرنسية عام ١٧٩٨ م الى اشعال نيران الحرب فى أوروبا التى صاحبت اصرار نابليون على توحيد أوروبا تحت قيادة فرنسا وأدى ذلك الى تحطيم توازن القوى فى هذه القارة . ولكن هزيمة نابليون فى ووترلو عام ١٨١٥ م أدت الى حدوث ردة محافظة فى القارة الأوروبية . وقد تميزت هذه الفترة المحافظة بما يلى :

١ ـ العودة الى الشرعية الملكية وسيادة الرؤوس المتوجة .

٢ ـ ان مبدأ توازن القوى ـ المستند الى مفهوم نيوتن فى الفيزياء ـ هى الوسيلة الناجعة لتحقيق التوازن الدولى والسلام العالمى .

٣ ـ سيطرة مفهوم توازن القوى على فكر الكتاب وتفكير رجال الدولة فى أوروبا .

وساعدت هذه الخصائص فى الاقلال من أثر تطور تكنولوجية الحرب على مدى قرن من الزمان . وكان من أهم العلامات المميزة لذلك القرن سيطرة السلام البريطانى على الشئون الدولية ، مع ميل القوة البريطانية الى استخدام وسائل الدبلوماسية أكثر من الصراع المباشر والصدام الدامى . ولم يشهد القرن التاسع عشر صراعا دمويا على قدر كبير من الاتساع ، ولكن الجزء الأخير منه

t.me/montlq

شهد انتشار ظاهرة الخدمة العسكرية الاجبارية ، والانتاج الكبير لأسلحة الحرب الاوتوماتيكية وزيادة حجم التسلح • وجاءت هذه الظاهرة مصاحبة لانتشار الاستعمار التجارى والعداء بين القوى الاستعمارية وتزايد ضغوط الجماهير التى أصبح لها تأثير متزايد على القرار السياسى القومى فى أوروبا •

ومن جانب آخر تزايد الشعور لدى المفكرين من أنصار مذهب السلام بأن الحرب القادمة — لو نشبت — سوف تكون شاملة من حيث طبيعتها ومدمرة من حيث آثارها وستبتلع كل الطاقات المتاحة • وقد كتب المفكر الانجليزى جونثان ديموند Jonathan Dymond — فى منتصف القرن التاسع عشر — يؤكد ضرورة تعبير الشعوب عن معارضتها للحرب بطريقة ايجابية ، ذلك أن الحرب — فى تقديره — مثلها كمثل الرقيق سوف تبدأ فى الاختفاء عندما يرفض الناس القبول بالاذعان لها ، ويبدأون فى التساؤل عن ضرورتها • ويرى ديموند أن الضابط يندرج فى السلك العسكرى بغرض الحصول على دخل أكبر وأنهم يقاتلون لأن وظيفتهم هى القتال أو انهم يجبرون على ذلك • ورفض التفرقة بين الحرب العادلة وغير العادلة ، أو الحرب الهجومية والحرب الدفاعية وجادل بأن أى محاولة لايجاد تفرقة بين هذه الأنواع من الحروب سوف تذهب هباء •

والحقيقة أن مذهب السلام — فى القرن التاسع عشر — لم يكن يستند على أسباب دينية أو انسانية فحسب ، ولكن الجانب الاقتصادى لعب دورا كبير فى تحديد مسارات الفكر السلامى سواء فى اطار الفكر الليبرالى أو الاشتراكى •

ويعتبر المؤلف الانجليزى نورمان انجل Norman Angel ونظريته عن الحرب كخطأ تاريخى ، العلامة البارزة لفكر السلام فى الربع الأول من القرن العشرين • فقد اعتبر الحرب هى أكبر تهديد للحضارة الصناعية الحديثة • وأكد أنه من الخطأ الاعتقاد بأن الحرب تحقق مزايا اقتصادية وساق مثالا لذلك المزايا الاقتصادية التى اجبرت فرنسا عقب هزيمتها فى الحرب الفرنسية البروسية ١٨٧٠ — ١٨٧١ م على تقديمها لألمانيا فى صورة تعويضات ، والتى أدت الى احداث تضخما اقتصاديا مدمرا فى ألمانيا • ويضيف أنه لا توجد أمة قادرة على تنمية اقتصادياتها من خلال الحرب والانفاق العسكرى المكلف للعمليات الاستعمارية • ويفصل نورمان فصلا مطلقا بين العوامل المسببة للرخاء الاقتصادى وبين القوة العسكرية أو البحرية • وجادل نورمان بأن ظاهرة الحرب من الممكن القضاء عليها من خلال التركيز على زيادة النمو الاقتصادى ، وارتفاع درجة رفاهية المواطن والتقدم الاقتصادى الذى سوف ينتقل بدوره ليؤثر على الشئون الدولية •

t.me/montlq

ويعتقد أنجل ان الظروف الموضوعية للقضاء على ظاهرة الحرب تتوافر عندما تتوافر القناعة لدى الأفراد بأن الحرب ليست سوى شكل من أشـــكال الانتحار المتبادل وعندئذ يصبح نزع السلاح وتحقيق السلام ممكنان ٠

ولم تكن العصور الحديثة فى أوروبا وقفا على مذهب السلام ومنظريه ، ولكن هذه العصور شهدت بالتوازى الفكر التنازعى Conflictive وتأييد مفهوم الصراع بين الدول وقد حاول كل من الاتجاهين استقطاب الفكر الأوروبى خلال القرون الأربعة التى تلت بداية عصر النهضة الأوروبية ٠ وقد اكتمل الاستقطاب الفكرى السلامى والتنازعى للفكر الأوروبى فى القرن العشرين حيث بدا التنافس بينهما عال الوطيس كما بدا أن كلا منهما يتمتع بالحكمة والعقلانية ٠

شهدت بداية العصر الحديث انقلابا فكريا مدويا على يد نيقولا ميكيافلى الذى أصدر توصياته الى الحكام باستخدام الحرب كوســيلة لتحقيق أهداف الدولة ومصالحها ٠ وأكد على أن استخدام القوة بكل مكوناتها الاقتصــادية والنفسية والعسكرية هى احدى الضـــرورات لمواجهة النقائص الأخلاقية لدى البشـــر ٠

وتجدر الاشارة فى هذا الصدد الى ان النظريات الغربية فى الصراع الدولى والحرب فى العصر الحديث ، يتعذر فهمها دون الرجوع تاريخيا الى المظاهر التى تلت قيام الثورة الفرنسية ، ونشوء المدرسة العسكرية الغربية كرد فعل لمذهب السلام القائم على المثالية ٠ فقد نادى كلوزفيتس بأن هدف الحرب هو تحطيم ارادة العدو ، وأنكر وجود وسيلة أخرى لتحقيق هذه الغاية الا باراقة الدماء ٠

وقد ذهب بعض فلاســفة القرن التاســع عشر مثل هيجل ونيتشــه Nietzsche على الطريق الذى بدأه ميكيافلى وهوبز ووصلوا الى درجة من التطرف فى تمجيد الصراع الدولى والحرب حتى بدت ظاهرة القوة والصراع الدولى غاية فى حد ذاتها ٠ فقد قامت فلسفة هيجل على أن التاريخ ما هو الا نتيجة للصدام الديالكتيكى بين الأفكار ورأى ان الدولة واقع مطلق فى التاريخ وجاء تمجيده للحرب والصراع بين الدول بقدر ما تحقق هذه الظاهرة هدف الوحدة والقومية ٠ وقد جادل هيجل بأن الحرب والصراع الدولى تؤدى الى تدعيم الصــحة الأخلاقية للأمم ٠٠ تماما كما تحفظ الرياح للبحر نظافته ٠ فالهدوء المستمر لابد وان يظهر الشوائب » ٠

وركز الفيلسوف نيتشه ـ خلال القرن التاسع عشر ـ على ارادة القوة باعتبارها قاعدة للسلوك البشرى ٠ وهاجم القيم والحضارة المسيحية ، ونظر

t.me/montlq

الى القيم المسيحية الداعية الى انكار الذات ، التسامح واحترام الضعيف وحسن معاملته على انها تعبير عن الفشل فى مسعى الانسان لخلق السوبرمان Superman • وجادل نيتشه بأن الحرب بين الدول تقوم بدور لا غنى عنه فى تقدم وتطور الحضارات • وانتقلت أفكار نيتشه الى بعض المفكرين الغربيين امثال وليم جيمس الذى قدم ما يعرف بالتوازن الأخلاقى للحرب • وقد جاءت المدرسة الداروينية بمفهوم البقاء للأصلح الذى لعب دورا هاما فى صياغة الفكر الغربى عموما ، وانعكست فى كتابات المفكرين فى حقل الجغرافيا السياسية ، حيث جادل بعضهم بأن عملية الانتقاء تتم من خلال القوة العسكرية •

لقد شهد الربع الأول من القرن العشرين استقطابا فكريا حول محورين يمثل الأول الفكر السلامى الذى تميز بالاتجاه نحو اختصار التاريخ وعدم النظر مليا الى الماضى وانما بالنظرة المتفائلة للمستقبل ، وهو فكر ينطلق من المثالية الدينية فى غالبه الأعم ويقوم على الفلسفة الأخلاقية التى ترى صلاحية الانسان ومؤسساته الاجتماعية • ويمثل المحور الثانى الفكر التنازعى ، الذى يتميز بالنظرة التشاؤمية للانسان ويرفض المثالية الدينية وينطلق من أسس وضعية واقعية • ويمكن تلخيص هذه المذاهب التنازعية على النحو التالى :

١ ـ الواقعية الوضعية Realistic Positivism ، التى وضع أسسها الكاتب الايطالى فاليردو باريتو (١٨٤٨ ـ ١٩٢٣ م) ، وعمق أبعادها الكاتب جاتينو موسكا (١٨٥٨ ـ ١٩٤١ م) ، وأكد الكاتبان ان جوهر العلاقات الانسانية هو القوة وان حكم الشعوب هو دائما من نصيب النخبة الحاكمة • وجادلا بأهمية الأساليب القسرية لتأكيد الوحدة والنظام الاجتماعى • والنضال من أجل القوة والنفوذ هى السمة البارزة فى العلاقات الانسانية •

وقد اعتقد موسكا بأن الصراع الدولى والحرب تؤدى دورا هاما فى تحقيق صلابة الجماعة ووحدة المجتمع ، وحذر من ان القضاء على ظاهرة الحرب سوف يؤدى الى ان تنمو الأمم فى صورة هشة ومفككة •

٢ ـ الداروينية الاجتماعية التى تأسست على مفهوم الصراع والبقاء للأصلح •

٣ ـ النظرية العنصرية والفاشية •

٤ ـ المذهب الفوضوى

٥ ـ المذهب الماركسى •

t.me/montlq

وتعتبر الفوضوية والماركسية أكثر المدارس التى تناولت ظاهرة الصراع تطرفا . وقد فسر ماركس الصـــراع الدولى باعتباره امتدادا طبيعيا لظاهرة الصراع الطبقى وقدم لينين نظرية الاستعمار كأعلى مراحل الرأسمالية، باعتباره السبب المباشر والوحيد للصراع الدولى وجعل القضاء على الرأسمالية شرطا مسبقا لتحقيق السلام الدولى . والفوضوية مذهب يعارض السلطة السياسية فى كل صورها . ويعتبر الفوضويون وجود السلطة السياسية بمثابة مأســـاة أخلاقية لما يواكب هذه السلطة من صراع دائم بين الفرد وأدوات القهر فى الدول مثل : الحكومة ، البيروقراطية ، الشرطة ، القوات المسلحة ... الخ .. ويهدف هذا المذهب الى تحرير الفرد من كل القيود على حريته . ويعتقد الفوضويون بأن الطبيعة البشـــرية خيرة بالفطرة . والفوضـــوى مخلوق معـــاد للســـياسة Antipolitical ومن ثم فهو يعـــادى المذهبين الرأســـمالى والاشـــتراكى على حدسواء . فالفوضويون ينظرون الى الحكومة على أنها أداة الرأسمالية للحفاظ على مصـــالح البرجوازية وأداة للطغيان الشـــيوعى « ديكتاتورية البروليتاريا » التى تحل محل الطغيان الرأسمالى .

ويعتقد الفوضويون النقابيون بمبدأ الصراع الطبقى وان كانوا يرفضون الحتمية الميكانيكية فى المفهوم الماركسى ، ويرون أن النقابة هى الأداة التى تسمح باستيعاب كافة القوى الاجتماعية فى اطار النظام السياسى . وقد طالب الصحفى الفرنسى جورج سوريل Georges Sorel (١٨٤٧ ـ ١٩٢٢) ، باستخدام العنف للقضاء على الفواصل الطبقية . ومع ذلك فان بعض الفوضويين قد غلبوا قانون الحب على قانون القسوة .

t.me/montlq

خلاصـــــــة :

ظاهرة الصراع ظاهرة عامة ودائمة ، عرفها كل الأفراد ، والجماعات والدول فى كافة الأزمنة وعبر جميع الحضارات • فالفكر الصينى والهندى القديم تعرض للقضية والفكر الهيلينى عالجها ابتداء من بيركليس وحتى السفسطائيين باعتبارها الحقيقة الانسانية الأولى • وكان بوليب أول مفكر تناول بالدراسة الجدية ظاهرة الصراع باعتبارها الحقيقة الأساسية لتطور المؤسسات • وقدم الفكر الاسلامى العربى على يد ابن خلدون أول نظرية متكاملة فى الصراع تقوم على مفهوم العصبية والصراع بين البدو والحضر ، وكان فكر ابن خلدون هو الفكر الصراعى الوحيد خلال العصور الوسطى •

وافتتح ميكيافلى العصور الحديثة بفكر صـراعى يرجع أصـــل الدولة ومؤسساتها الى ظاهرة الصراع • واتسعت أفكاره على يد جان بودان الذى قدم مصدر النظريات الحديثة فى مفهوم السيادة • ثم طور هوبر أفكاره الى مادية عقلية وبعدها انتقلت نظرية الصراع من نموذج البحث القائم على التأمل العقلى الى النموذج الامبريقى على يد دافيد هيوم وآدم فيرجسون ، وأدت أفكارهما الى تأسيس نظرية الأحزاب السياسية المعاصرة • وقد شارك الاقتصـــاديون الكلاسيك فى تطوير نظرية الصراع حيث أصبحت تمثل القانون الأساسى للسلوك الاقتصادى على يد توماس مالتس • وقد استمد الاقتصاديون الكلاسيك مفهوم الصراع خلال التأمل العقلى والبحث الامبريقى • وهاجرت أفكارهم الى علم البيولوجيا حيث بنى داروين نظريته فى الصراع ؛ وجاء ماركس ليصنع من ظاهرة الصراع الطبقى ظاهرة مطلقة من حيث الزمان والمكان •

وتعتبر ظاهرة الصراع ظاهرة عامة ، تمارس آثارها على جميع الأصعدة وكافة المستويات • ولذلك تمت دراســـة الظاهرة عبر عديد من العلوم ابتداء من البيولوجيا وحتى العلاقات الدولية • والصراع ينشأ من ظروف خارجية موضوعية : اقتصادية ، اجتماعية ، سياسية •• الخ •• كما ينشأ من ظروف داخلية غير واضحة : بيولوجية ، انثروبولوجية ونفسية • وقد حاول بعض المفكرين تناول الظاهرة باعتبارها كلا لا يتجزأ فى شكل نظرية عامة •

ولقد خضعت نظرية الصراع الدولى ـ تماما كالظاهرة العامة للصراع ـ

t.me/montlq

لتطور تاريخى وعلمى عبر كل العصور والحضارات • وقد تنوولت هذه الظاهرة بأسلوبين الأول جزئى والثانى كلى • فقد تناول المفكرون ظاهرة الصراع الدولى منذ فجر التاريخ فى الحضارات الشرقية • وجاءت المسيحية فرفضت مبدأ الصراع بصفة مطلقة فى الفترة المتقدمة من الدعوة ثم لحق هذا المبدأ تعديل على يد المفكرين الذين أقروا الحرب العادلة المبنية على أسس أخلاقية • وكان الاسلام أول من قدم نظرية متوازنة للعدالة تفترض امكانية الصراع ويضع الحلول العادلة لاحتوائه • واستمرت مسيرة نظرية الصراع فى مواجهة نظرية السلام حيث وجد لكل مؤيديه • وبعد قيام الحرب العالمية الثانية لبست نظرية الصراع الدولى ثوبها المعاصر بالاستناد الى المناهج الحديثة التى كان أهمها المناهج النظامية والسلوكية •

t.me/montlq

الفصل الثانى

الأطار المفاهيمى لنظرية الصراع الدولى

CONCEPTUAL FRAMEWORK

مدخـــــل :

أدركت البشرية ، بعد اندلاع الحرب العالمية الثانية ، ان الحرب لم تعد تسفر عن منتصر ولكن عن درجات متفاوتة من الهزيمة · وقد لاقى هذا الفرض - لدى المفكرين وبعض الساسة - قبولا كبيرا خلال التاريخ المعاصر ، وتساءل رجال الفكر عن ماهية الصراع الدولى العضوى (الحرب) ، وعما اذا كانت هذه الظاهرة طبيعية كالزلازل والبراكين ومن ثم فهى أبعد من ادراك البشر ؟ وقد قبل هذاالمنطق فئة قليلة ورفضته الغالبية · ولكن الغالبية اعترفت بأن توافر رغبة السلام لدى الشعوب ليست - بأى حال - تعنى توافر السلام والأمن · ولقد انقسم المفكرون - فى سعيهم لتحقيق السلام - الى فرق ومدارس حول الوسائل الكفيلة بتحقيق السـلام · وأسـفرت التأملات العقلية والتعميمات الامبريقية عن عدة نظريات تفسر ظاهرة الصراع الدولى وتضع الأسـاليب الكفيلة بادارته وحله · وعلى الرغم من الاختلاف البين بين هذه النظريات من حيث المنطلقات والتفسير ووسائل الحل الا أنها انطلقت من واحد أو أكثر من المفاهيم التى تفسر ظاهرة الصراع الدولى ·

ان أى نظرية للصراع الدولى لابد وأن يتوافر لها الاطار المفاهيمى أو بتعبير أكثر دقة النسق التصنيفى للمفاهيم · وهذا النسق يحتوى على مجموعة من الكليات الفكرية التى تكون بمثابة المرجع التفسيرى لعديد من المفاهيم الأخرى المتوسطة والصغيرة المدى · والنسق التصنيفى للمفاهيم هو الأداة التى تمنح النظرية جسدها النظامى للمعرفة عن طريق متابعة قواعد البحث العلمى · وهذا

t.me/montlq

الجسد الذى يراجع بمستوى التحليل والنموذج السلوكى هو الذى يسمح للباحث بتفسير ظاهرة الصراع الدولى والتنبؤ بمسارها فى المستقبل ٠

والمفهوم عبارة عن اختراع عقلى أو فكرة مجردة تشير الى طبقة من الظواهر ـ طبيعية كانت أم اجتماعية ـ ويعكس مجموعة من الخصائص المشتركة فى عدد من تلك الظواهر ، والوظائف التى تؤديها هذه الخصائص ٠

لقد دخلت ظاهرة الصراع الدولى حيز العلمية عندما تم تناول الظاهرة بالمنهاج العلمى ، ابتداء من العقد السادس من هذا القرن ٠ وقد لحق التطور الكبير بدراسة الظاهرة فى العقد السابع عندما أخضعت الظاهرة للمناهج السلوكية والنظامية التى اخرجت الظاهرة بشكل كامل من حيز المضاربات الفكرية والايديولوجية ٠ ولم تعد ظاهرة الصراع الدولى موضوعا للاستقطاب الفكرى بين القطبين التقليديين المثالى والواقعى ، أو موضوعا للحكم المسبق بمعايير الخير أو الشر ، وانما ظاهرة تخضع للدراسة العلمية بالوسائل المنهاجية للوقوف على أسبابها ووضع الوسائل الكفيلة بمعالجتها ٠

ويعتبر التقدم العلمى الذى لحق بدراسة ظاهرة الصراع الدولى ، نتيجة مباشرة للمخاطر التى أضحت تنطوى عليها هذه الظاهرة خلال التاريخ المعاصر ٠ ولقد انعقد اجماع المفكرين على أن القرن العشرين يعد بحق العصر الدموى فى العلاقات الدولية ٠ فقد راح ضحية الحرب العالمية الأولى أكثر من ثمانية ملايين ونصف من البشر فى المعارك المباشرة وحدها ٠ وأسفرت الحرب العالمية الثانية عن مقتل خمسة عشر مليونا من العسكريين ، واذا أضيفت أعداد الضحايا بين المدنيين فى الحربين ، فان الرقم يرتفع ليصير أربعين مليونا من البشر خلال هاتين الحربين العالميتين ٠

ويقدر عدد الضحايا لكل الحروب التى اندلعت فى الفترة الواقعة ما بين عام ١٧٩٠ وعام ١٩١٤ بأربعة ونصف مليون نسمة منهم مليونان ضحايا الحروب الثورية النابليونية ومن ثم يكون عدد الضحايا فى الصدام بين الدول هو مليونان ونصف مليون نسمة خلال مائة عام أى من هزيمة نابليون فى موقعة ووترلو ٠ واذا تم مقارنة عدد الضحايا قبل القرن العشرين وخلاله فسوف نجد ان الحرب الكورية وحدها تكلفت ثلاثة ملايين قتيل أى أكثر من ضحايا العالم كله خلال قرن من الزمان ٠

واذا حاولنا تقدير العدد المحتمل من القتلى فى حرب نووية فانه من الصعب وربما من المستحيل تقدير أو تصور عدد الضحايا ٠ فلقد شهد القرن العشرين

t.me/montlq

ازديادا مخيفا فى أرقام الضحايا الفعليين والمحتملين فى الحروب التى وقعت أو المحتمل وقوعها . وقد أرجع بعض المفكرين ظاهرة الخسائر الرهيبة التى ترتبت على ظاهرة الصراع الدولى فى القرن العشرين الى عدة خصائص ميزت هذا القرن وهى :

١ ـ تبنى جميع الدول لأسلوب الخدمة العسكرية الاجبارية لكافة مواطنيها وتحوله عند الاقتضاء الى تعبئة عامة بحيث تصبح الأمة تحت السلاح بعد ان كانت خلال القرون الماضية عبارة عن جيوش ملكية محترفة .

٢ ـ زيادة حجم الصدام فى المواقع الحربية الحديثة فى القرن العشرين .

٣ ـ كفاءة وقدرة الأسلحة الحديثة (التقليدية والنووية) من الناحية التدميرية .

٤ـ تعاظم حجم وكمية العتاد العسكرى المستخدم فى الصراع العضوى بين الدول .

وقد أدت هذه الظاهرة التى ميزت القرن العشرين الى تكثيف الجهود العملية والفكرية بهدف التوصل الى تفسير علمى لها ، ووضع الوسائل الكفيلة للقضاء عليها أو على الأقل الاقلال من مخاطرها المحتملة . واذا كان الصراع الدولى فى جوهره لا يعدو أن يكون ذلك التناقض الذى يقع بين دولتين أو أكثر فى مجالى المصالح والقيم ، فان النظريات العلمية التى عالجته ذهبت الى مناحى شتى فى تفسير نشأته ووسائل حله . ويرجع الاختلاف بين النظريات الى اختلاف الفروض والمنطلقات لكل منها . وبالرغم من اختلاف النتائج العلمية التى تسفر عنها النظريات ، فان هناك مجموعة من المفاهيم تمثل الاطار المفاهيمى لنظرية الصراع الدولى فى ثوبها المعاصر الذى أضحى يعتمد على أحدث منجزات العلوم الاجتماعية فى المناهج الحديثة والتقدم الذى أحرزته فى النصف الثانى من القرن العشرين .

وهذه المفاهيم هى :

١ ـ الدولة القومية

٢ ـ النظام الدولى .

٣ ـ القوة القومية

t.me/montlq

٤ ـ المصلحة القومية

٥ ـ القيم القومية العليا

٦ ـ الشرعية ، التدخل والعدوان ٠

ومن الجدير بالذكر أن بناء الاطار المفاهيمى لنظرية الصراع الدولى قد اقتضى التعرض الى عدة مفاهيم هى : الشـــرعية الدولية ، التدخل الدولى والعدوان وذلك نزولا على مقتضيات التحليل النظامى الذى يجعل من هذه المفاهيم الثلاثة ظروفا لازمة لنشأة الصراع وارتباطه بالصراعات البشرية على جميع الأصعدة ابتداء من الصراع بين الأفراد وانتهاء بالصراع الدولى ٠

t.me/montlq

مفهـــوم الدولة القـــومية

تعتبر كلمة أمة Nation أحد مشتقات الفعل اللاتينى NASCI الذى يعنى « مجموعة من الناس ولدوا فى مكان واحد ، تتراوح مساحته ما بين عشرات وبضع آلاف من الأميال المربعة » • واستخدمت الكلمة فى الدراسات الجامعية خلال العصور الوسطى بمعنى « مجموعة من الدارسين ينتمون الى اقليم واحد أو دولة واحدة » • وقد استعملها الكتاب الراديكاليون فى فرنسا خلال القرن التاسع عشر بمعنى « شعب دولة معينة » ، كما استعملت كشعار لدعاة الدستورية العلمانية داخل الجمعية الوطنية الفرنســـية خلال الفترة ١٧٨٩ ـ ١٧٩٣ • وقد كانت ـ أيضا ـ وسيلة أولئك الذين قادوا حملة التحديث وتطوير هيكل الدولة •

لقد أصبح مفهوم الأمة ـ فى التاريخ المعاصر ـ يشكل المفهوم المركزى فى النظرية السياسية • وأصبحت الأمة تعبر عن وجود مجموعة بشرية ترتبط فيما بينها بوشائج المساندة المشتركة ، ويضع اعضاء هذه المجموعة ولاءهم لهذه الجماعة فوق أى من الولاءات المتصارعة الأخرى • وتطور المفهوم ـ على يد رجال القانون والدبلوماسيين ـ ليصبح مرادفا لمفهوم الدولة ذات السيادة •

وقد اختلف المفكرون منذ بداية عصر النهضـــة فى أوروبا ومولد ظاهرة الدولة القومية ، حول شروط تكوين الأمة • فقد تصور ستيوارت ميل الأمة بأنها « قسم من البشرية وحدت بينهم العاطفة المشتركة بحيث جعلت التعاون بينهم يتمتع بقبول أكثر من أى تعاون مع الآخرين ، كما تولدت لديهم الرغبة فى ان يندرجوا تحت لواء حكومة واحدة • وأن يحكموا أنفسهم بأنفسهم أو عن طريق فئة منهم باختيارهم » •

وتصور الفيلســـوف الانجليزى جون لوك ان الدولة القومية تتكون عن طريق العقد الاجتماعى بين الناس الذين يشكلون شعب هذه الأمة • ولما كان جميع الناس أحرارا أو متساوين ومستقلين ، فلا يمكن انتزاع أى شخص من حالته واخضاعه للسلطة السياسية لشخص آخر الا برضاه • ويتم ذلك باتفاقه مع أشخاص آخرين على أن ينضموا الى بعضهم البعض ويتحدوا فى مجتمع

t.me/montlq

لراحتهم وسلامتهم وعيشهم فى سلام • كل واحد قريب منهم قريب للآخرين ، يتمتع بما يملك مطمئنا وبقدر أكبر من الأمن ضد أى اعتداء من الخارج •

ودعا الفيلسوف الألمانى نيتشه الى قيام الأمة الألمانية فوق رؤوس الأمراء الألمان ، وطالب مازينى Mazzini بالوحدة الايطالية لتوافر صفات الأمة للامارات الايطالية • وقد ولدت الدولة القومية على أنقاض النظام الاقطاعى والملكيات المطلقة التى تحكمت فى مساحات اقليمية شاسعة عن طريق البيروقراطية والجيش المحترف • وقد تحول نظام العصور الوسطى الى النظام الحديث نتيجة الصراع بين الأباطرة والبابوات ، البابوات والملوك ، وبين الملوك والأباطرة • وبدأت الدولة القومية تأخذ شكلها الحديث وأصبح الملك امبراطورا فى مملكته وتحول استقلال الأمر الواقع الى سيادة قانونية •

١ ـ عناصـــــر مفهوم الأمة :

أسهب الكتاب الذين تعرضوا لدراسة مفهوم الأمة ، فى شرح تاريخ وأصول الأمة التى هم بصدد دراستها ولم يلقوا الا قليلا من الضوء على ماذا يقصدون بالأمة ؟ حدث ذلك بالنسبة للألمان والايطاليين خلال القرن التاسع عشر ولكثير من الحركات القومية فى القرن العشـــرين • وبمراجعة غالبية الدراسات فى هذا الشأن فان من الممكن تصنيفها الى نوعين من الدراسات ، الأولى تقليدية تقوم على أساس الأدوات المنهاجية التقليدية التى تعتمد على المقولات المنطقية ، والثانية الدراسات الحديثة التى تقوم على أساس الأدوات المنهاجية المعاصرة وتدور رحاها على النظرية الاتصالية بصفة رئيسية •

(أ) المدرسة التقليدية :

وتستمد هذه المدرسة مصادرها الأولية فيما يتعلق بعناصر مفهوم الأمة اما من الميتافيزيقية الألمانية أو التحليل الاجتماعى الماركسى • وترى هذه المدرسة ان المفهوم يتشكل من عناصر ستة هى :

١ ـ اللغــــة •

٢ ـ الجغرافيا •

٣ ـ التاريخ

٤ ـ البنيان الاقتصادى

t.me/montlq

٥ ـ الضـــمير ٠

٦ ـ الولاء ٠

وقد ركزت هذه الدراسات اهتمامها الرئيسى حول ظاهرة الشعور بالقومية والرغبة فى الحكم الذاتى ، ولم تستأثر خصـــائص الأمة الا بقدر ضـئيل من اهتمامها ٠

والواقع ان العناصر التى أوردتها المدرسة التقليدية تلعب دورا كبيرا فى نشأة الشـــعور القومى لدى الجماعة ، ولكن هذه العناصـــر منفردة لا تعكس بالضرورة شعورا قوميا كما أن الشعور القومى لا يتوقف ظهوره بالضرورة على توافرها مجتمعة ٠ ومن ثم نشأت المعضلة المنهاجية لهذه المدرسة ، كما تعرضت لانتقادات عديدة ٠ فالولاء وتطابق حدود الدولة مع حدود الضمير القومى أمر لا يمكن اثباته علميا ٠ وتعدد اللغات فى الدولة لا ينفى عنها الصفة القومية ، فدولة سويسرا يتحدث شعبها ثلاث لغات ، ومن الصعب انكار صفتها القومية ٠

واذا كان البعض يعتبر الحدود الطبيعية عاملا مميزا للأمم ، فان البعض الآخر يرى فى مفهوم الحدود مفهوما غير علمى ٠ فاذا كانت جبال البرنيز قد فصلت بين فرنسا وأسبانيا فان جبال الألب ساعدت السويسريين فى تشكيل هويتهم القومية ٠ واذا كان نهر الراين قد فصل وميز بين الفرنسيين والألمان فان نهر النيل هو قاعدة الوحدة المصرية ٠

وقد حاول أنصار المدرسة التقليدية مواجهة المعضلات الفكرية التى واجهت تحليلاتهم باللجوء الى ما يعرف بالارادة الشعبية عن طريق الاستفتاء الشعبى ٠ وهذا يعنى ان تقرير حدود الأمة يتم على أساس الارادة الشعبية ٠ وهذه الارادة الشعبية تتبلور ـ بلا شك ـ فى حدود الوضع السياسى والقوة المتاحة ٠

(ب) المدرسة الحديثة :

تعارض هذه المدرسة التفسير الذى قدمته المدرسة التقليدية لمفهوم الأمة ، وتطرح ـ فى المقابل ـ تفسيران بديلان هما :

١ ـ نظرية التحديث :

وتعتمد هذه النظرية فى تحديد أبعاد مفهوم الأمة على استنباط النماذج الفكرية والســلوكية من خلال الدراســة المقــارنة للتاريخ ٠ والتحـديث

t.me/montlq

Modernization ـ فى تقدير هذه النظرية ـ هو العنصر الذى يحدد نشوء وتبلور الأمة فى واقع مادى كدولة ذات سيادة . ويقصد بالتحديث « التوسع والنمو المطرد فى السيطرة على الطبيعة من خلال التفاعل الوثيق بين الناس » .

وترى هذه النظرية ان ظاهرة التحديث بدأت فى أوروبا مع عصر النهضة Renaissance ، ثم انتشرت فى قارات العالم الأخرى كنتيجة للتأثير الأوروبى على هذه القارات . وبالرغم من ان لكل من مفهومى الأمة والتحديث أصولا تاريخية مستقلة الا ان الارتباط بينهما أكثر من كونه ارتباط عرضى طارىء . فقد ظهر تعبير « أمة » منذ نهاية العصور الوسطى وبداية العصر الحديث ، وانتشر بين الشعوب الأوروبية ثم انتقل الى الشعوب الأخرى مع انتقال النفوذ الأوروبى الى هذه الشعوب .

وتقدر النظرية بأن نمو ظاهرة التحديث أفرزت ظاهرتى الحدود الاقليمية والولاء القومى Loyality . وقد كان هذا التطور نتيجة منطقية للتحولات العميقة التى لحقت بالنظام الاقطاعى الذى أثبت عدم قدرته على تثبيت دعائم النظام الملكى والامبراطوريات الاستعمارية . وعلى النقيض برزت الدولة القومية متماسكة ومتوازنة ، فهى دولة متوسطة المساحة تمتلك أطر اقتصادية ، اجتماعية وسياسية محددة . وساعد التحديث على ظهور التخصص وتقسيم العمل ونمو الصناعة وتقدم العلم الحديث .

ولقد أدى ظهور التحديث الى تمكين الدولة القومية من الاستحواذ على ولاء مواطنيها . وتسعى الدول حديثة الاستقلال فى آسيا ، أفريقيا وأمريكا اللاتينية الى تحقيق تكاملها القومى من خلال ثورة التحديث .

٢ ـ نظرية الاتصال الاجتماعى :

قدم كارل دوتش ، تعبير الاتصال الاجتماعى Social Communication كمفهوم سياسى اجتماعى داخل اطار النظرية السياسية . ويرى دوتش ان الظاهرة القومية ليست ظاهرة فطرية وغريزية ، لكنها نتيجة لعملية التلقين الاجتماعى والتشكيل الذاتى لعادات الجماعة . فالتلقين الاجتماعى فى أوروبا وأمريكا الشمالية حدث من خلال نمو وتكثيف واستمرار عملية الاتصال عن طريق التجارة ، السفر ، المراسلة وما شاكل ذلك . وهذه الظاهرة أدت الى حدوث اتصال بين المدن من خلال أساليب ومسالك عديدة .

وهذه العملية الاتصالية ـ فى تقدير دوتش ـ هى التى منحت الجماعة داخل كل وحدة قومية طابعها القومى من خلال ما حققت من تعبئة اجتماعية ذات

t.me/montlq

طراز مميز داخل هذه الوحدات القومية · ولما كانت عملية الاتصال الاجتماعى القائم على التحديث ، تؤدى الى ظهور قيم وأفكار ومخترعات داخل الجماعة التى جرت بها العملية الاتصالية ، فان النتيجة المنطقية هى ظهور معارضة الكيانات الاجتماعية الخارجية لهذه الأفكار ، القيم والمخترعات · وقد أصبحت هذه الظاهرة بمثابة الوسط الكيمائى التعادلى Catalyst الذى بلور الشعور السياسى بالانتماء القومى ·

وعقب تكوين الدولة القومية تظهر الحاجة الى الاندماج السياسى نتيجة الاختلال فى المستوى التحديثى لمختلف الأقاليم فى الدولة · وتستدعى عملية الاندماج توزيع المزايا وتقديم التضحيات من جانب أقليم لآخر حتى تتحقق عملية الاندماج · وتظهر الحاجة الى تصفية كافة المخططات المعادية لتحقيق هذه الغاية ، ومن ثم تلوح فى الأفق ظاهرة استخدام القوة ·

وتعتبر عملية بناء المجتمع القومى عملية معقدة وبطيئة · فالحقائق الاجتماعية بطيئة الحركة بطبيعتها ولا يمكن انجازها فى فترة وجيزة وقد تستمر لعدة قرون · وعدم الاستقرار السياسى الذى يبدو فى الانقلابات العسكرية ، حرب العصابات والعنف الداخلى ·· الخ ·· ليس سوى تعبير متعدد الأوجه لمشكلة مركزية واحدة ألا وهى مشكلة المجتمع القومى ومفهوم الأمة فى التاريخ المعاصر ·

والواقع الدولى يشير الى التلازم ــ فى غالبية الاحوال ــ بين الاعلان عن قيام أمة جديدة والاعلان عن ظهور بؤرة جديدة للتوتر الدولى · وعملية التحول من الخضوع للاستعمار الى الاستقلال القومى ، يواكبها بعض مظاهر العنف لتصفية آثار الامبراطورية الاستعمارية على الصعيد القومى ، على نحو ماحدث فى الهند الصينية ، شبه القارة الهندية ومنطقة الشرق الأوسط ، ويرى بعض كتاب السياسة الدولية فى قيام الدولة القومية الحديثة ، بمثابة عامل اضطرابى للنظام الدولى ·

ويرتبط قيام دولة قومية حديثة داخل اطار النظام الدولى المعاصر باعتبارات السياسة الدولية واستراتيجيات الدول العظمى فى العالم · وترتبط هذه الظاهرة ــ أيضا ــ بقضية التوازن الاقليمى والأمن القومى ·

t.me/montlq

٢ ــ طبيعة الدولة القومية :

نشأت الدولة القومية على أنقاض نظام العصور الوسطى الذى تميز بسيطرة الأمراء الفعلية على أقاليم من امبراطوريات ذلك العصر ٠ وقد تحول استقلال الأمر الواقع فى نهاية العصور الوسطى الى سيادة قانونية De Jure فى مطلع العصر الحديث ٠ وقد استندت فكرة التعايش بين الامارات الاقطاعية على أساس القوة الأقليمية للأمراء ، التى حافظت بشكل نسبى على التوازن بعد أن ضعفت الامبراطورية الرومانية المقدسة فى نهاية القرون الوسطى وتشتتت قواها وأثبتت عدم قدرتها على فرض السلام ٠

فالدولة القومية نشأت واستمرت على أنها ذات طبيعة اقليمية Territorial وهى السمة الرئيسية التى تتفرع عنها كافة الخصائص الأخرى ٠ وقد أعقب حرب الثلاثين عاما فى أوروبا انعقاد مؤتمر وستفاليا Westephalia ١٦٤٨ م الذى منح الدول القومية حق السيادة ، وبذلك أصبحت الدولة القومية قوة فاعلة وان بقيت اشكالية طبيعة علاقة هذه القوى الفاعلة بالامبراطورية المقدسة والتى انتهت بفصل الدين عن الدولة حيث أصبحت الدولة القومية صاحبة السيادة المطلقة التى لا تعلوها سيادة ٠ وأصبحت الدولة القومية عبارة عن قوة سيادية تسيطر على اقليم بما تملكه من قوة عسكرية قادرة على فرض السيطرة على اقليم جغرافى ٠ وأضحت الدولة القومية ــ عبر التطور التقنى والاندماج الاجتماعى ، الاقتصادى والسياسى ــ عبارة عن قلعة أو مدينة محصنة باعتبارها وحدة حصينة من العسير النفوذ داخلها ٠ وبهذا التطور نشأت القواعد الهيكلية للنظام الدولى الحديث ومفاهيم العلاقات الدولية ٠

واذا كانت السيادية والأقليمية هما الخصيصتان المعبرتان عن طبيعة الدولة القومية ، فان هاتين الخصيصتين اللتين تعتمد عليهما الدولة فى مواجهة أى صراع مع الدول الأخرى ٠

(أ) الطبيعة السيادية للدولة القومية :

توصف الدولة القومية الحديثة بأنها دولة ذات سيادة ٠ والسيادة هى السند القانونى الذى تستند عليه لمباشرة صلاحياتها الداخلية والخارجية ٠٠ واذا كان مفهوم سيادة الدولة مفهوما مطلقا من الناحية القانونية ، فانه يرتبط من الناحية السياسية بكافة المفاهيم والقيم السياسية فى الدولة حيث يمثل ضوابط الممارسة لكافة المفاهيم والقيم ٠

t.me/montlq

ويعتبر جان بودان أول من صاغ المبادىء الأولى للسيادة • وقد تأثرت جمهورية بودان ـ مثل كافة كتابات النظرية السياسية ـ تأثرا عميقا بالظروف السياسية فى فرنسا وبشعور كاتبها تجاه أحداث عصره • فقد أرجع بودان كل مآسى فرنسا فى عصره الى افتقارها الى حكومة قوية تستطيع القضاء على الصراعات الاقطاعية وعدم التسامح الدينى ، وأعتقد ان المخرج الحقيقى من الأزمة هو تقوية الملكية الفرنسية • والسيادة فى مفهوم بودان هى القوة القانونية العليا غير المسئولة التى لا تحدها قيود سوى القانون الطبيعى •

وبالرغم من أن مبدأ السيادة قد شهد تطورات فكرية وجرت بشأنه اختلافات فقهية ، فان هناك اتفاقا حول ان الدول هى الوحدة التى تمتلك السيادة فى مواجهة مختلف المؤسسات الداخلية : المؤسسات الاقتصادية ، الاجتماعية ، السياسية ، الدينية •• الخ وكذلك المؤسسات الدولية •

والدولة القومية ـ باعتبارها ذات سيادة ـ تتمتع بعدة حقوق يمكنها ممارستها فى المجالين الداخلى والخارجى • ويمكن حصر الحقوق السيادية للدولة داخليا فيما يلى :

١ ـ فرض الضرائب على كافة فئات الشعب ، وبالمقدر الذى تراه •

٢ ـ فرض التجنيد الاجبارى والتعبئة العامة للمواطنين •

٣ ـ ادانة المواطنين ـ بناء على القواعد القانونية التى تضعها ـ وتقرير العقوبات للجرائم والتى يمكن ان تصل الى حد الاعدام •

٤ ـ حظر مغادرة مواطنيها ـ عند الاقتضاء ـ من اقليمها الى الدول الأخرى •

٥ ـ تحديد أماكن تجمع المواطنين •

٦ ـ تحديد مناهج وصيغ وأساليب التعليم لمواطنيها •

٧ ـ توصيف ديانات المواطنين •

والدولة تمارس حقوقا سيادية فى المجال الخارجى تتمثل فى :

١ ـ حق عقد المعاهدات الدولية الثنائية والجماعية •

٢ ـ حق اقامة العلاقات الدبلوماسية والقنصلية مع الدول الأخرى •

t.me/montlq

٣ ـ حق اعلان الحرب على الدول الأخرى : ويجدر بالذكر ان هذا الحق السيادى قد ألغى من الناحية القانونية وفقا لما نص عليه ميثاق الأمم المتحدة «من وجوب امتناع أعضاء الهيئة جميعا فى علاقاتهم الدولية عن التهديد باستعمال القوة أو استخدامها ضد سلامة الأراضى أو الاستقلال السياسى لأية دولة أو على أى وجه آخر لا يتفق وأهداف الأمم المتحدة » • ولكن ذلك لا يعنى الغاء الحق من الناحية الواقعية • فالدول لا تعدم الحجة القانونية فى لجوئها لاستخدام القوة • وليس فى ميثاق الأمم المتحدة ما يضعف أو ينقص من الحق الطبيعى للدول « فرادى أو جماعات فى الدفاع الشرعى عن النفس » • ويترتب على ذلك انه وأن ألغى حق الدولة فى اعلان الحرب من الناحية القانونية ، فقد بقى من الناحية الواقعية •

٤ ـ اقامة العلاقات التجارية والاقتصادية مع الدول الأخرى •

٥ ـ وضع القيود التى تراها فى مواجهة دخول الأفراد ، البضائع والأفكار الى اقليمها •

وبالرغم من وجود فرق شاسع يفصل بين قدرات الدول المختلفة فى مجال الممارسة السيادية ، الا أنه لا توجد دولة واحدة تعترف بأن هناك سيادة تعلو سيادتها • وقد انعكست رغبة الدول وحرصها على امتلاكها السيادة المطلقة فى تقرير مبدأ المساواة القانونية بين الدول بصرف النظر عن حجمها ومدى قوتها فى ميزان العلاقات الدولية •

ويرجع حرص الدول على تأكيد مبدأ المساواة الدبلوماسية الى عدة أسباب هى :

١ ـ حرص الدول على استقلالها ومعارضتها المطلقة لكل ما من شأنه تهديد هذا الاستقلال ، ولن يتسنى ذلك سوى بالاعتراف لها بالسيادة المطلقة •

٢ ـ المراقبة التى تمارسها مؤسسات الدولة الأدنى على سلطات الدولة السيادية للتأكد من محافظة الدولة على استقلالها وسيادتها •

٣ ـ رغبة الدول الكبرى فى ان تمتلك الدول الصغرى ما يسمى بالمظهر العام للسيادة •

(ب) الطبيعة الاقليمية للدولة القومية :

توصف الدولة القومية بأنها دولة اقليمية ذات رقعة جغرافية تحيط بها تخوم واضحة أو حدود مرسومة بدقة • وقد نتج عن الطبيعة الاقليمية للدولة

t.me/montlq

الحديثة ، عدة مفاهيم ومؤسسات تعكس طبيعة العلاقات بين هذه الوحدات الاقليمية المستقلة ذات السيادة . ولم يمض وقت طويل على استقرار مفهوم الدولة القومية الحديثة ، حتى انفجرت مشكلة التدخل من جانب دولة فى شئون الدولة الأخرى . وقد ظهر مبدأ عدم التدخل فى الشئون الداخلية للدول ، كانعكاس للطبيعة الاقليمية والسيادية للدولة الحديثة .

وقد انعكست الطبيعة الاقليمية للدولة الحديثة على قواعد النظام الدولى الذى يضمها وكذلك قواعد القانون الدولى العام الذى ينظم العلاقات بين هذه الوحدات الاقليمية . فالقانون الدولى لا تتمتع قواعده وأحكامه بخاصية النفاذ الاقليمى Impenetrability ، وأضحت وظيفة هذا القانون هى مجرد تأكيد الطبيعة الاقليمية والسيادية للدولة الاقليمية بدلا من أن ينظم علاقات هذه الوحدات بصفة الزامية . وأصبح هذا القانون من الناحية الواقعية مجموعة من الاحكام التى تستند على مبادىء السيادة القومية والاستقلال الاقليمى .

ويقرر معظم علماء الصراع الدولى أن ظاهرة الحدود الأقليمية للدولة الاقليمية تعد القضية المحورية لظاهرة الصراع الدولى . فبدون المعرفة الدقيقة والرضاء الكامل عن الحدود التى تفصل بين الدول ، فان الصراع سوف يندلع حتما بين هذه الدول من خلال ممارسة كل دولة لسيادتها واستقلالها . والحرب الدولية تندفع — فى معظم الأحوال — من أجل تأكيد نفاذ واستتباب مبدأ الاقليمية للدولة الحديثة .

والطبيعة الاقليمية للدولة القومية هى الحقيقة الكامنة خلف الخصائص التى ميزت النظام الدولى الكلاسيكى حتى قيام الحرب العالمية الثانية فظاهرة توازن القوى وحرص السياسة الدولية على الابقاء عليه ، كانت لمنع الطاقة التوسعية الاقليمية لدى بعض الدول من أن تكون السبب فى تدمير النظام الدولى القائم . والتحالف لم يكن يقدر له تلك الأهمية فى القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين لولا غياب الضمان لدى الدولة القومية فى استمرارها وعدم تعرضها للفناء . وقد أدى انتشار هذا الاحساس لدى الدول الى اعترافها المتبادل بمبدأ الشرعية Legitimacy فى العلاقات الدولية الذى يقضى باعتراف كل دولة بشرعية الدول الأخرى وسيادتها على اقليمها .

واذا كان مبدأ الشرعية قد أتاح نوع من الاستقرار للأوضاع الاقليمية فى القارة الأوروبية خلال القرن التاسع عشر ، فان المشكلة الاقليمية زادت حدتها فى صراع هذه الدول على المستعمرات . ولكن تطور السياسة الدولية خلال القرن العشرين وبداية تحرك مراكز القوى الدولية من القارة الأوروبية أسفر

t.me/montlq

عن فقدات أوروبا لسيطرتها العالمية التقليدية . وكان من نتائج هذا التطور تعرض الدولة القومية لمشكلة الأمن وظهور الحاجة الى وسيلة ناجعة للحماية التى تمثلت فى مفهوم الأمن الجماعى Collective Security خلال الحرب العالمية الأولى . وقد حرصت الدول الأوروبية على تضمين هذا المفهوم فى عهد عصبة الأمم . وأصبح لزاما على مجلس عصبة الأمم ان يقدم توصياته إلى الحكومات المعنية التى وقع عليها العدوان ، بشأن « القوات الحربية ، البحرية والجوية الفعالة التى يساهم بها أعضاء العصبة لحماية تعداتها » .

٣ - الدولة القومية فى التاريخ المعاصر :

أثبتت الحرب العالمية الثانية وما تلاها من أحداث على الساحة السياسية الدولية ، فشل الدولة القومية فى حماية طبيعتها الاقليمية . فقد أسفرت هذه الحرب عن عدة عناصر بدأت فى الظهور تدريجيا بحيث أنها أدت الى تغيرات تراكمية أكسبت النظام الدولى الجديد عدة خصائص . ويمكن تلخيص هذه العوامل فيما يلى :

١ - التطور الكبير فى العلاقات الاقتصادية والتجارية بين الدول ، مع بداية ظهور دول قومية حديثة أدى الى تأكيد ظاهرة الاعتماد الدولى المتبادل .

٢ - الثورة التى لحقت بأدوات الاتصال ووسائل المواصلات أدت الى انسياب لم يسبق له مثيل للأفراد ، البضائع ، والأفكار عبر الحدود القومية . وكان ذلك بمثابة ضربة قاصمة لخاصية الهيكل الصلب الذى تمتعت به الدولة القومية عبر عدة قرون .

٣ - اختراع الأسلحة النوية وحساسية التوازن النووى أدى الى احلال سياسة القوة والأمن الجماعى محل مفهوم الاقليمية الجامدة .

٤ - ظهور خصائص جديدة لممارسة سياسات القوة مثل : النفوذ ، الوضعية Status ، الحدود الايديولوجية ، الأساليب الاقتصادية وحماية المصالح وقد أضعفت هذه الخصائص من القدرات الدفاعية للطبيعة الاقليمية للدولة القومية .

٥ - الثورة العلمية الضخمة والسريعة جعلت من العسير على التخطيط العسكرى أو السياسى مواجهة حقائق المستقبل ، وأصبح هناك ظاهرة تعرف بعدم ثبات الجديد . وهذه الظاهرة تعتبر أحد السمات الرئيسية للعلاقات الدولية المعاصرة .

t.me/montlq

وتعتبر التغيرات التى اعترت الطبيعة الاقليمية للدولة القومية الحديثة ليست وليدة الحرب العالمية الثانية فحسب ، ولكن هذا الحدث العالمى كان نقطة حاسمة لهذا التحول • فقد بدت منذ القرن التاسع عشر بعض الاتجاهات المرئية التى تشكل خطورة على ممارسة النظام القديم لوظائفه •

وقد كانت هذه الاتجاهات الجديدة متعلقة بظاهرة الحرب والطريقة التى تدار بها • فقد تميز الصراع الدولى فى القرن الثامن عشر بالنموذج الثنائى الذى يتطور بدرجة كبيرة أو صغيرة الى حرب محدودة • وتميز القرن التاسع عشر بتزايد القدرة التدميرية للسلاح ونشأة ظاهرة « الأمة تحت السلاح » ومن ثم تعاظمت الوظائف الكلاسيكية للحرب • ووضعت الدول اقتصادياتها عند اقدام الحرب لحماية أمنها •

وتمخض القرن العشرين عن ميلاد ظاهرة الحرب العامة التى مكنت من اختراق الهيكل الصلب لدفاعات الدول ، ومن ثم تغيرت العلاقة التقليدية بين الحرب من جهة والقوة الاقليمية والسيادة من جهة أخرى • فالحرب الاقليمية التقليدية قد تم استبدالها بحروب حديثة لا قبل للدفاع الاقليمى بمواجهتها ، ومثال ذلك : الحرب الاقتصادية ، الحرب النفسية ، الحرب الجوية والحرب النووية وهذه التغيرات الجذرية جعلت بعض علماء السياسة الدولية يتوقعون أفول الدولة الاقليمية •

وقد برزت الحرب الاقتصادية كعامل مؤثر فى الصراع الدولى المعاصر بسبب التغير الذى اعترى الوضعية الاقتصادية للدول الصناعية المتصارعة • فقد تمتعت الدولة القومية قبل عصر الثورة الصناعية بدرجة كبيرة من الاستقلال الاقتصادى ولكن الوضع تغير بدخول هذه الدول عصر الصناعة • فقد أدت الثورة الصناعية بدول مثل بريطانيا وألمانيا للاعتماد الكبير على الواردات • وهذه السمة دفعت هذه الدول لمحاولة تحقيق الاكتفاء الذاتى عن طريق التوسع الاقليمى خوفا من الحصار الاقتصادى فى زمن الحرب ، ومع تعاظم التقدم الاقتصادى أصبحت القوى الرئيسية فى العالم المعاصر تشعر بضرورة سيطرتها على قارات بكاملها لكى تستطيع مواجهة المستلزمات الاقتصادية لحرب عامة •

والحرب الاقتصادية ـ وحدها ـ لا تستطيع تمكين أحد الأطراف المتحاربة من اجبار الطرف الآخر على الاستسلام بالرغم من تمكن الطرف الأول من اختراق الهيكل الصلب للعدو وتعريض الطرف الثانى لمخاطر جسيمة كما حدث فى الحربين العالميتين الأولى والثانية • وتبقى الحرب الاقتصادية أداة أولية للصراع الدولى فى حاجة الى أدوات أخرى لتحقيق الهدف •

t.me/montlq

والحرب النفسية ـ التى هى محاولة لتخريب معنويات شعب العدو أو تدمير ولاءاته ـ تشترك مع الحرب الاقتصادية فى اضعاف النسق الدفاعى الاقليمى للدولة القومية . ومع ظهور النظم السياسية العقائدية تعرضت الدولة القومية لتهديد خطير فى ولاءات مواطنيهـــا . ولم تعد الخطوط الاقليمية هى الخطوط الفاصلة بين الدول انما خلقت خطوط ايديولوجية تقسم المجموعات الاقليمية داخل الحدود القومية ذاتها . وأصبح على الدولة القومية أن تتولى مهمة دفاعية جديدة داخل جسدها فى مواجهة استراتيجيات الطابور الخامس «Fifth Columm» .

والحرب الجوية والنووية ، أثرت الى حد بعيد وبطريقة أكثر حدة على اقليمية الدولة القومية حيث اختصرت الأمن الاقليمى الى حدود دنيا . فلم تعد الحرب والصراع العضوى بين الدول قاصرا على الجبهة العسكرية ، وتم توجيه الحرب الجوية والنووية الى قلب الاقليم « وتحولت الحرب المعاصرة من مجرد الاقتتال بين العسكريين الى عملية تدميرية شاملة » .

لقد نقلت الحرب الجوية القتال من الجبهة الى قلب الدولة القومية . وأضعفت الى حد بعيد من مفهوم القوة الاقليمية بمضامينها التقليدية للحماية والأمن . وقد طالب بعض الكتاب باعتبار قذف المدن ومراكز التوطن السكانية والأدوات الانتاجية حربا غير مشروعة واعتبار المقاتلين فى الجو مجرمى حرب .

واكتملت عملية تحطيم الهيكل الصلب التقليدى للدولة القومية بالاكتشافات العلمية والتكنولوجية المعاصرة ، والتى لم تسفر عن اكتشاف الأسلحة النووية (الانشطارية والالتحامية) فحســـب ، ولكن أيضا اختراع وســـائل نقل هذه الاسلحة داخل الجســـد الاقليمى للدولة القومية بما فى ذلك الطائرات النفاثة والصواريخ عابرة القارات . وقد أضافت هذه المخترعات بعدا جديدا للسلاح وهو الفاعلية غير المحدودة فى مجال الدمار الشامل . وأصبح الدمار ذو صفة مطلقة لكافة الوحدات الاقليمية ، فمهما بعدت هذه الوحدات عن مركز الخطر فهى ليست فى مأمن منه . ولقد قضت التطورات الحديثة على كافة الاستحكامات الاقليمية للدولة القومية وأصبحت حكمة ميذسن Mencins باقامة الأسوار وحراستها غير مجدية فى تاريخنا المعاصر .

t.me/montlq

مفهـــوم النظــــام الدولى

نظرية النظام الدولى جزء من النظرية العامة للنظم · وقد اســـتعار علم العلاقات الدولية ـ مثله مثل العلوم الاجتماعية ـ نظرية النظم من علم البيولوجيا · ويعتبر أى نظام عبارة عن هيكل مفتوح Open لاستقبال مدخلات Inputs من العالم الخارجى · وتميل المدخلات الىخلق ظروف ثباتها داخل النظام ويطلق على حالة الثبات داخل النظام تعبير Homeostasis ، وهى نفس العبارة التى تطلق على محاولة الجســد البشـــرى حماية نفســـه ذاتيا من الاضطرابات التى تصحب المدخلات فى الجسد البشـــرى كالجراثيم ، اختلاف درجات الحرارة ، الجروح ·· الخ · والتفاعل داخل النظام يسفر عن افراز الجسد لعناصر ومتغيرات تعرف بالمخرجات Outputs

والنظرية العامة للنظم تفترض وجود خصائص عامة للعلاقات بين النظم سواء كانت هذه النظم فيزيقية ، بيولوجية ، سلوكية ·· الخ·· وان وحدات النظم تتزايد من خلال التفاعل والتطور · وان كل نظام يشتمل على خصائص النظم السابقة التى تفرع عنها أو النظم الفرعية Sub-Systems المرتبطة به والمتفرعة منه · وتعتبر نظرية النظم أحد أساليب الاقتراب المنهاجية الرئيسية لدراسة السياسة الدولية المعاصرة · وقد أفاد هذا الأسلوب الدارسين فى كشف النقاب عن العلاقات الارتباطية والخصائص البالغة التعقيد للنظام الدولى وهو الطابع المشترك لكل النظم المتطورة ·

ويقدر بعض علماء العلاقات الدولية أن المنهاج النظامى هو المنهاج الوحيد المتاح الذى يستطيع الالمام بمختلف المتغيرات التى تؤثر فى الحركة السياسية الدولية من خلال دراسة التفاعل والاعتماد المتبادل بين الدول أعضاء النظام الدولى · ويوفر هذا المنهاج المعيار القياسى اللازم لشـــرح السياسة الدولية والذى من شأنه زيادة فهم الظاهرة محل البحث وزيادة قدرة الباحث على التنبؤ والضبط نتيجة للشمول والدقة فى صياغة القوانين ·

t.me/montlq

١ ـ نماذج النظم :

يعد مفهوم النظام من المفاهيم الواضحة نسبيا . فالنظام عبارة عن مجموعة من الوحدات ترتبط فيما بينها بعلاقات . ووحدات النظام هى بمثابة مرتكزات النظام وهى تتميز بخصائص مشتركة وهذه الخصائص ـ بدورها ـ تؤدى الى وجود علاقات بين هذه الوحدات . وأن العلاقات بين الوحدات تتيح امكانية الاتصال بينها والتأثير المتبادل للوحدات داخل الهيكل النظامى . والنظام يمكن أن يوصف بأنه بسيط أو قاعدى Basic لأن وحداته قليلة وعلاقاتها محددة وبسيطة ، ولكن الفحص يؤدى الى اكتشاف ارتباط هذا النظام البسيط بنظام أكبر وأكثر تعقيدا حيث تتزايد العلاقات والتفاعلات بين وحداته . وهذه الظاهرة أتاحت لعلماء العلاقات الدولية دراسة مستفيضة وتحليلا أعمق للأزمات الدولية والمتغيرات المرتبطة بها بصرف النظر عن الاطار الموقفى لحالة التأزم .

ويوجد نوع من النظم يسمى بالنظام العملى Operational ، وهى نظم وظيفية ذات طابع مهنى وتقام لتأدية أغراض محددة . فالمؤسسات الاتصالية الدولية العاملة فى المجالات الصحية ، الزراعية ، العمالية .. الخ تمثل هذا النوع من النظم على الصعيد الدولى . وعادة ما تتوقف هذه النظم بمجرد انجاز مهامها . أما النظم السلوكية فانها تملك قدرة النظم القاعدية والعملية مضافا اليها قدرتها على الاستجابة لمحيطها . وتتحدد قدرة هذه النظم الوظيفية بمقدرتها على الاستجابة للمحيط . ويمكن أن تكون هذه النظم غير بشرية ، فالطائرة ذات التشغيل الذاتى يستطيع نظامها السلوكى أن يستجيب ذاتيا للمحيط وفقا للهدف المحدد لها .

والنظم الغرضية Purposeful تمتلك ـ بالاضافة الى تحديد الأهداف ـ القدرة على تغيير هذه الأهداف ووسائل احتوائها أيضا . وتعتبر النظم الثقافية والاقتصادية فى المجتمع نظما غرضية اذ تستطيع وضع الاحكام القيمية واعادة صياغتها ورسم استراتيجية لمتابعة تنفيذها . وتعتبر هذه الصفة من الصفات المميزة للنظم المتطورة اجتماعيا . والنظم الضابطة Controlling هى النظم التى تمتلك قدرة محدودة على تغيير الوسط المحيط بها وذلك بدلا من الاستجابة للتغيرات التى تعترى هذا الوسط ، وكوسيلة لتحاشى التغير فى بنيانها الذى يفوق قدرة الاستجابة عند هذه النظم ، وترتبط قدرة هذه النظم على تغيير الوسط بقدرتها على التأثير على النظم الفرعية المرتبطة بها ومدى أهميته بالنسبة لهذه النظم الفرعية . فنفوذ الكنيسة فى بريطانيا وقدرتها على ضبط المحيط الاجتماعى أكبر من نفوذها العقلى على الشعب البريطانى . وتوجد بعض

t.me/montlq

المؤسسات فى بعض المجتمعات يمكنها ممارسة نفوذ كبير على السلطة التشريعية بالمقارنة بمؤسسات أخرى فى نفس الدولة . فقد نجد فى بعض الدول نفوذا للمؤسسات الرياضية يفوق نفوذ مؤسسات الرفاهية الاجتماعية .

واذا نظرنا الى العلاقات الدولية من خلال نموذج فكرى يشتمل على نماذج النظم السلوكية ، الفرضية والضابطة ، فان هذا النموذج سوف يغطى مساحة من الأنشطة الدولية فى المجالات : الاقتصادية ، السياسية ، الاجتماعية والثقافية فى شكل نسيج متكامل . ويمثل هذا النسيج نظاما مستقلا عن التقسيم الاقليمى العالمى . فانسياب التجارة ، حركة السياحة خطوط الطيران الدولية ، حركة السكان بين الدول ، تفاعل الافكار .. اللغات .. الثقافات والأديان يجعل من النظام العالمى نظاما بلا حدود جغرافية لأن النظم لا تعرف مثل هذه الحدود .

والنظم الارتباطية Linked التى تتميز بوجود هيكل ادارى وبيروقراطى يحقق الربط بين أجزاء النظام وتسمح بالعملية الاتصالية . فالأجهزة المحلية ، أجهزة الاقليم والحكومة المركزية فى الدولة كلها أجهزة تمثل فروعا لنظام واحد له شعاراته الثقافية والايديولوجية . وعلى الصعيد الدولى نجد العديد من هذه النظم الارتباطية التى لا تتطابق بالضرورة مع حدود وقيم الدول الاعضاء فيها . ويشهد العالم المعاصر العديد من هذه النظم وفى مجالات متعددة ووظائف متباينة كما تطورت النظم الدولية حتى أصبحت بعض المؤسسات الدولية تستقل بقيم نظامية والتى قد لا تتطابق مع تلك التى لكل دولة عضو فى النظام . فالكومنولث ، التحالفات الأقليمية والأمم المتحدة ، تعد من الأمثلة لمثل هذه النظم . وقد انحسرت العوامل الجغرافية الى حد كبير نتيجة لهذه الطبيعة الارتباطية .

٢ ـ التعريف بالنظام الدولى :

يتفق علماء العلاقات الدولية على أن هذه العلاقات يحكمها نظام ، لكنهم يختلفون فى تعريف هذا النظام بقدر اختلافهم من حيث المنطلقات الفكرية وكذلك رؤيتهم لطبيعة هذا النظام . فالنظام الدولى فى تقدير كينيث بولدنج هو :

« مجموعة من الوحدات السلوكية المتفاعلة التى تسمى أمما أو دولا والتى يضاف اليها أحيانا بعض المنظمات الفوق قومية Supra- National مثل الأمم المتحدة . ويمكن أن توصف كل وحدة من هذه الوحدات السلوكية بأنها مجموعة من المتغيرات . ويفترض وجود علاقات معينة بين هذه المتغيرات» .

t.me/montlq

ويرى هولستى أن النظام الدولى هو :

« أى تجمع يضم هويات سياسية مستقلة ـ قبائل ، مدن ـ دولة ، أمما أو امبراطوريات ـ تتفـــاعل فيما بينها بتواتر معقول ووفقا لعمليات منتظمة » · وينصب اهتمام المحلل للنظام الدولى على دراسة الخصائص الســـلوكية لهذه الوحدات السياسية كل منها تجاه الأخرى وكذلك توجهات السياسة الخارجية لهذه الوحدات · ويرى أن مفهوم النظام الدولى هو عبارة عن طريقة منهاجية لدراسة وتحليل النظم الاجتماعية ويستخدم اصطلاح « نظام دولى » بطريقتين همـــــا :

١ ـ وصف نماذج التفاعل بين الوحدات السياسية المستقلة ·

٢ ـ يساعد ـ كمتغير Variable ـ فى شرح سلوك الوحدات التى يتكون منها النظام للتفرقة بين الاستخدامات المختلفة لمفهوم « نظام » حيث يعد النظام الدولى واحدا من هذه الاستخدامات ·

ويصف العالم الامريكى مورتون كابلان النظام الدولى بأنه نظام حركة System of Action ويفسر كافة أحداث العلاقات الدولية من خلال هذا النظام الحركى الذى يراه عبارة عن :

« مجموعة من المتغيرات المرتبطة فيما بينها والمتميزة عن محيطها وتستند هذه المتغيرات على قواعد سلوكية تميز العلاقات الداخلية القائمة على مجموعة من المتغيرات الفردية عن تجمع المتغيرات الخارجية » ·

ويرى تشارلز مكليلاند أن مفهوم النظام الدولى عبارة عن أداة لتطوير وتنمية العلاقات بين الدول فالاستيراتيجية هى ـ أولا وقبل كل شىء ـ ادراك بوجود عديد من الظواهر تعمل من خلال وجود علاقات تبادلية فيما بينها · وهى بذلك تكون نظاما بحيث أن أى مشكلة تطرأ على جانب من هذه العلاقات يمكن فهمها ـ فقط ـ على ضوء الفهم لبقية أجزاء النظام · وأن فهم النظام الدولى يستوجب الفحص الدقيق للعلاقات القائمة بين المدخلات والمخرجات ، والتحديد بمستويات النظام عن طريق الربط بين النظام ونظمه الفرعية ، والتعرف على حدود النظام والتفـــاعل بين النظام والنظم الفرعية · وتعتبر نظرية النظم فى دراسات مكليلاند بمثابة أداة للتعريف القياسى والتفاعل داخل النظام ونظمه الفرعية ·

t.me/montlq

أما جورج مودلسكى ينظر الى النظام الدولى على أنه « نظام اجتماعى له مطـالب هيكلية ووظيفية » • وأن النظم الدولية تتكون من مجمـوعة من الهويات التى ترتبط فيما بينها بعلاقات • وتحتوى على نظم للحركة والتفاعل بين الحركة الجماعية والحركة الفردية التى تمارس باسمها •

ويؤكد ريتشارد روزكرانس أن أهم ما يميز النظام الدولى هو اشتماله على مدخلات اضطرابية ومنظمات للحركة Regulators تتحمل التغييرات وتعمل على مواجهة التأثير الاضطرابى فى النظام • ويواجه النظام قيودا على حركته من الوسط الذى يحيط به ، وتتوقف حالة النظام من حيث الاستقرار أو الاضطراب على مدى تكيف النظام مع الوسط •

لقد اكتسب المنهاج النظامى فى دراسة العلاقات الدولية عددا كبير من علماء هذا الحقل العلمى • وقد أسفرت الدراسات التى أجريت داخل الاطار النظامى عن ايجاد هيكل مقبول لتنظيم المادة العلمية والقدرة على ربط المتغيرات التى تؤثر فى الموقف الدولى • كما مكنت علم السياسة الدولية من الاســتفادة من النتائج التى توصلت اليها علوم أخرى تستخدم نفس المنهاج • وساعد هذا المنهاج على ربط الأطر المفاهيمية بالواقع التجريبى عن طريق البحوث الأميريقية •

٣ ـ متغيرات النظام الدولى :

اكتشف العلماء من خلال دراســتهم لمختلف النظم الدولية التى عرفها العالم أن كافة هذه النظم تشتمل على خمسة أبعاد هى :

١ ـ وحدات النظام Units فكل نظام دولى يشتمل على قوى فاعلة Actors تسمى وحدات النظام • وقد تكون وحدات النظام هى المدينة ـ الدولة كما عرفها النظام الاغريقى خلال القرون الخمس قبل الميلاد ، وقد تكون الدولة القومية كما عرفها النظام الأوروبى اعتبارا من القرن السابع عشر أو الدولة القومية الحديثة كما يعرفها النظام الدولى المعاصر •

٢ ـ التفاعل Interaction بين وحدات النظام : ان كل نظام دولى يحتم التفاعل بين وحداته فى صورة نماذج سلوكية • وتتمثل هذه النماذج فى : الاتصالات ، التجارة ، الدبلوماسية ونماذج أخرى عديدة من الصراع ، العنف والحـــرب • وتجرى التفاعلات بين وحدات النظـام الدولى وفقا لمجموعة من القواعد تحكم هذه التفاعلات • وهذه القواعد يمكن أن تكون محددة وواضحة، كما يمكن أن تكون ضمنية أو تتبلور من خلال العادات •

t.me/montlq

٣ ـ الوسط Environment الدولى : وهو ذلك الوسط الذى توضع وتدار على أساسه السياسة الخارجية للوحدات أعضاء النظام الدولى . ويشتمل هذا الوسط على كافة العوامل المحددة والجو العام الذى يميز العلاقات الدولية والذى يحتم على النظام الدولى ـ من خلال وحداته ـ التفاعل معه والتكيف مع ظروفه .

٤ ـ حدود Boundaries النظام : والحدود النظامية هى الخط الذى يفصل بين التفاعلات التى تتم بين وحدات النظام والوسط الذى يحيط بهذا النظام . ويتميز كل نظام دولى بوجود حدود جغرافية ، ثقافية .. الخ تحدد طبيعة النظام وأطرافه وتميزه عن النظم الأخرى ومثال ذلك النظام الصينى القديم والنظام الاغريقى.

٥ ـ هيكل Structure : ويقصد بهيكل النظام الدولى خصائص ومكونات القوة والنفوذ داخل النظام وكذلك طبيعة وخصاص العلاقات القائمة بين وحدات النظام . والدراسة العلمية لهيكل النظام الدولى تقتضى دراسة طبيعة أقطاب Polars القوة داخله ، وتحديد القوى الكبرى وتفاعلها وتحديد مراكز القوة فى النظام الدولى وطبيعة وأساليب التفاعل بين وحداته . ويتوجب على هذه الوحدات أن تضع هذه الطبيعة وتلك الأساليب فى اعتبارها عند التعامل الدولى .

٤ ـ طبيعة النظم الدولية :

النظرية العامة للنظم تفترض الاعتماد المتبادل لاجزاء النظام . وتتقرر على أساس هذه الظاهرة ـ الاعتماد المتبادل ـ العلاقات التى تربط بين أجزاء النظام . ويعتقد المنظرون النظاميون أن المنهاج النظامى هو الوحيد القادر على تحليل المواقف الدولية وامداد الباحث بامكانيات كبيرة فى مجال التقدير والتنبؤ . ويفترض هؤلاء المنظرون أن السياسة القومية الخارجية ليست سوى نتيجة لطبيعة النظام الدولى أو على الأقل تتحدد فى ضوء هيكل القوة فى هذا النظام . ويترتب على هذا الفرض أن حركة أية دولة من الممكن شرحها بدقة من خلال النماذج النظامية للعلاقات الدولية .

ولم تقتصر الدراسات النظامية فى مجال السياسة الدولية على معالجة النظم الدولية الواقعية وانما قدمت أيضا دراسات حول نظم افتراضية Analytical لاستخدامها كأداة تحليلية . فالنظام الواقعى يصف نموذجا سلوكيا للتفاعل بين البشر وهو نظام موجود على أرض الواقع . والنظام

t.me/montlq

الافتراضى ـ على عكس ذلك ـ هو مجرد استنباط فكرى بشأن النظم التى يمكن تواجدها فى المستقبل ، ويستخدم هذا النظام كأداة للدراسة المقارنة مع النظم الواقعية ٠ واذا كانت النظم الواقعية قد وجدت من الكتاب من تعرض لدراستها فان النظم الافتراضية قد وجدت من تعرض لدراستها أيضا وجادل بفوائدها العلمية ٠

فقدقدم ريتشارد روزكرانس نماذج نظامية من خلال دراسته للمادة التاريخية عن القارة الأوروبية ، ومستندا فى بلورة هذه النماذج الى أحداث ووقائع تاريخية ثابتة وبالتالى فقد جاءت دراسته النظامية دراسة واقعية ٠ ونجد فى المقابل دراسة جورج مودلسكى عن النموذجين الزراعى والصناعى للنظام الدولى عبارة عن نماذج افتراضية تحليلية فحسب ٠ واذا كانت النظم الواقعية تضم مجموعات بشرية وترصد الحركة الواقعية لهذه المجموعات فان النظم الافتراضية عبارة عن نظم تجريدية تولى اهتمامها وتركيزها على عينات مختارة من السلوك البشرى ٠

وأهتم الكتاب الذين تناولوا بالدراسة النظام الدولى بطبيعة هذا النظام ٠ وأولوا تركيزا مميزا للموضوعات التالية :

١ ـ المستويات المتعددة للنظم الدولية وداخل كل نظام دولى ٠

٢ ـ العوامل التى تشارك فى اكساب النظام الدولى صفة الاستقرار ٠

٣ ـ عوامل عدم الاستقرار فى النظام الدولى ٠

٤ ـ تحديد الضوابط التكيفية Adaptive Controls التى عن طريقها يبقى النظام على توازنه ٠

٥ ـ دراسة القوى الداخلية فى الوحدات القومية والتى تمارس دورا أساسيا على استقرار النظام الدولى ٠

٦ ـ دراسة قدرة النظام الدولى على احتواء الاضطراب الناجم عن تفاعل الوحدات القومية والفوق قومية (القوى الفاعلة) ، ويهتمون فى هذا المجال بما يلى :

ـ دور النخبة القومية ـ دور الموارد

ـ منظمات الحركة Regulators Mechan. ـ الوسط الدولى

t.me/montlq

والواقع أن الدراسات التى أنصبت على فحص النظم الدولية بصفة عامة وطبيعة هذه النظم على وجه الخصـــوص مدينة بالكثير لمبادىء السبرنطيقا Cybrenetics التى طورها نوربرت ويذر Norbert Wiener وطبقها فى حقل العلاقات الدولية عدد من العلماء أمثال كارل دوتش ·

لقد أصبحت البنية اعتبارا من منتصف العقد السادس من القرن الحالى سيدة العلم والفلسفة بلا منازع فى العالم المعاصر · فعلى حين أعلن نيتشه ـ فى نهاية القرن الماضى ـ « موت الاله » ، جاء فلاسفة البنيوية ـ فى هذا العصر ـ لكى معلنوا « موت الانسان » بعد أن أصبح « الربوط » Rabot أو الانسان الآلى « الموهبة » جديدة تتناسب مع روح هذا العصر · والبنية هى كل مكون من ظواهر متماسكة ، يتوقف كل منهما على ماعداه ولا يمكن أن يكون ما هو الا بفصل علاقته بماعداه · والبنية ـ أى بنية ـ تتســـم بالخصائص الثلاثة الآتية : الكلية ، التحولات والتنظيم الذاتى ·

فهى كلية Totalité لأنها لا تتألف من عناصر خارجية تراكمية مستقلة عن الكل بل تكون من عناصر داخلية خاضعة للقوانين المميزة للنسق من حيث هو « نســـق » · أما التحولات تعنى أن المجاميع الكلية تنطوى على ديناميكية ذاتية تتألف فى سلسلة من التغيرات الباطنة التى تحدث داخل «النسق» أو « المنظومة » خاضعة فى الوقت نفسه لقوانين « البنية الداخلية » دون التوقف على عوامل خارجية · والبنية لا يمكن أن تظل فى حالة سكون مطلق ، بل تقبل دائما التغييرات بما يتفق مع الحاجات المحددة من قبل « علاقات » النســـق و « تعارضاته » ·

والمقصود بالسمة الثالثة وهى « التنظيم الذاتى » Autoréglage أن فى وسع البنيات تنظيم نفسها بنفسها ، مما يحفظ لها وحدتها ، ويحفظ لها بقاءها ويحقق لها « الانغلاق الذاتى » ومعنى هذا أن للبنيات قوانينها الخاصة التى لا تجعل منها مجرد مجموعات ناتجة عن تراكمات عرضية ، أو عن تلاقى بعض العوامل الخارجية المستقلة عنها بل هى « أنسقة » مترابطة ، تنظم ذاتها ، سائرة فى ذلك على منهج مرسوم وفقا لعمليات منتظمة ، خاضعة لقواعد معينة ، الا وهى قوانين « الكل » الخاص بهذه البنية أو تلك ·

وعلى الرغم من أن كل « بنية »مغلقة على ذاتها ، الا أن هذا « الانغلاق » لا يمنع البنية الواحدة من أن تندرج تحت « بنية » أخرى أوسع على صورة بنية تحتية Sous-Structure والمهم أن عملية التنظيم الذاتى لابد من أن تتجلى

t.me/montlq

على شكل ايقاعات ، تنظيمات وعمليات • وهذه كلها عبارة عن «آليات نظامية» تضمن للبنيان ضربا من الاستمرار أو المحافظة على الذات •

٥ ـ النظام الدولى المعاصر :

النظام الدولى المعاصر يشبه فى بعض صفاته سلفه الذى ساد فى القرن التاسع عشر • فالقضايا الرئيسية وأشكال التفاعل ليست متناقضة بشكل جذرى عن تلك التى ميزت نظام الدول الأوروبية ، أبان القرن الماضى • ونجد أن المشاكل الايديولوجية تجد أصولها فى القرن التاسع عشر ، ومشكلتى القومية والاستقلال القومى مازالتا تمثلان أهم المشاكل الدولية المعاصرة • ومشكلة تحديث البنية الاقتصادية ورفع معدلات التنمية وانتشار التصنيع التى ميزت القارة الأوروبية فى القرن الماضى أضحت تمثل المشكلة الكبرى للدول الحديثة على نطاق واسع فى العالم المعاصر • وحتى وسائل الاتصال الدولى وفى مقدمتها الدبلوماسية انتشرت من أوروبا الى ارجاء العالم قاطبة •

وليس من الصعب التعرف على أسباب تأثر النظام الدولى المعاصر بخصائص السياسة الدولية الأوروبية • فقد استطاعت الدول الاستعمارية الأوروبية خلال العقود الثلاثة الأخيرة من القرن التاسع عشر الاستيلاء على ٩٠٪ من مساحة القارة الأفريقية بالاضافة الى معظم أقاليم القارة الآسيوية •

واذا كان هناك تشابه بين نظام الدول الأوروبية خلال القرن التاسع عشر والنظام الدولى المعاصر فان ذلك لا يعنى اتفاقهما فى الطبيعة والأسس وأساليب التعامل • وهناك اختلافات جذرية تميز النظام الدولى المعاصر عن النظام الأوروبى وهى :

١ ـ الارتفاع الهائل فى عدد الدول أعضاء النظام الدولى المعاصر بالاضافة الى الارتفاع المماثل للقوى الفاعلة الأخرى كالمنظمات الفوق قومية •

٢ ـ تعاظم القدرة التدميرية التى فى حوزة القوى الفاعلة الرئيسية للنظام الدولى المعاصر سواء من ناحية التسلح التقليدى أو التسلح النووى •

٣ ـ امكانية تعرض أى من الوحدات أعضاء النظام الدولى المعاصر للتدمير الشامل نتيجة تعاظم القدرة التدميرية للاسلحة المعاصرة •

٤ ـ امكانية تعرض وحدات النظام لظاهرة التخريب بكافة أوجهه ووسائله •

t.me/montlq

٥ ـ انتقال مراكز القوة الرئيسية فى النظام (الولايات المتحدة ـ الاتحاد السوفيتى) الى خارج القارة الأوروبية ٠

وعلى الرغم من التغييرات الهيكلية التى لحقت بالنظام الدولى المعاصر فمازالت الخاصية الأولى لوحداته السياسية هى اقليمية هذه الوحدات ٠ فالوحدة السياسية للنظام (الدولة) عبارة عن كيان نظامى وادارى يقوم بمهمة الضبط على شعب يعيش فوق رقعة ـ محددة تماما ـ من الأرض ٠ والحدود الاقليمية لوحدات النظام الدولى لا تتمشى بالضرورة مع الحدود القبلية ، العرقية ، الثقافية ، الدينية واللغوية للجماعة السياسية ، بل نجد أن معظم حدود الدول الحديثة ـ الأفريقية بصفة خاصة ـ ليست سوى حدود مصطنعة رسمتها الادارة الاستعمارية قبل الاستقلال ٠ ويرجع معظم الكتاب الصراعات الدولية المحلية الى هذه الظاهرة ومع ذلك تظل الحقيقة الكبرى التى تميز النظام الدولى المعاصر ٠

ويتميز النظام المعاصر بصرامة وقدسية الحدود الاقليمية لوحداته وهى سمة لم تعرفها النظم الدولية القديمة (الصين ، اليونان) ، أو حتى نظام الدول الايطالية فى عصر النهضة الأوروبية ٠ والى جانب هذه السمة يوجد تباين كبير من حيث الطبيعة لوحدات النظام المعاصر بالمقارنة مع النظم السابقة ، وفيما يلى الخصائص الرئيسية لهذا التباين ٠

١ ـ التنوع والتفاوت الشاسع بين وحدات النظام الدولى الراهن من حيث المساحة وعدد السكان ٠ فبينما نجد أن تعداد سكان جزر المالاديف لا يتعدى مائة ألف نسمة ، نجد تعداد الصين الشعبية يقارب المليار نسمة ٠ وبينما لا تتعدى مساحة لوكسمبورج بضع آلاف من الكيلومترات المربعة ، تصل مساحة الاتحاد السوفيتى الى سدس مساحة المعمورة ٠

٢ ـ التنوع والاختلاف بين وحدات النظام من حيث النظم الاجتماعية ، الاقتصادية والسياسية ٠ فالنظام يتضمن وحدات مستقرة اجتماعيا وأخرى تعانى من الصراعات الاجتماعية والعرقية ٠ وتوجد وحدات تختفى فيها ظاهرة الأمية ويرتفع نصيب الفرد من الدخل القومى ، وأخرى تشكل الأمية صفة الغالبية العظمى من السكان ولا يتعدى نصيب الفرد فيها من الدخل القومى ٥٪ من نصيب مثيله فى الدول المتقدمة ٠ كما نجد وحدات تتميز بمشاركة غالبية السكان فى الحياة السياسية مع كثافة فى عملية الاتصال الجماهيرى ، وأخرى مصابة بشلل فى الحياة السياسية ٠

t.me/montlq

٣ ـ التفاوت والتناقض بين وحدات النظام من حيث المنطلقات الايديولوجية وطبيعة نظم الحكم فيها • فنجد مجموعة من الوحدات تعتنق الايديولوجية الليبرالية وتقوم نظم الحكم فيها على تصارع القوى السياسية فى شكل أحزاب سياسية ، وعلى النقيض مجموعة أخرى تعتنق الايديولوجية الماركسية وتقوم نظم الحكم فيها على دكتاتورية البروليتاريا وسيطرة حزب واحد هو الحزب الشيوعى على الحياة السياسية ومجموعة ثالثة تفتقد الأساس الايديولوجى ومازالت نظمها السياسية فى حيز التجربة •

٤ ـ يتميز النظام الدولى المعاصر بوجود عديد من المؤسسات الفوق قومية وتهدف هذه المؤسسات الى اشباع حاجات معينة أو تحقيق أو الدفاع عن أهداف مشتركة فى الوسط الدولى • ويمكن التمييز بين الدولة القومية والمؤسسات الفوق قومية باعتبارهما وحدات فى النظام الدولى على أساس أن الأخيرة عبارة عن أجهزة وظيفية صممت وفقا لبرامج محددة من أجل تحقيق أهداف ثابتة ، وهى لا تملك وسائل مستقلة لتنفيذ سياساتها كما لا تملك وسائل التهديد واستخدام القوة •

ويذهب بعض كتاب النظام الدولى الى وضع شرط مسبق لبناء نظام عالمى مستقر هو انقاص أهمية ومحورية الدولة القومية لهذا النظام وان فشل العالم فى التخلص من طبيعة الدولة القومية سوف يجعل السياسة الدولية تدور فى حلقة مفرغة دون أن تصل الى حالة الاستقرار • ويرفض هذا الاتجاه تعبير السياسة الدولية ويضع السياسة العالمية بديلا عنه ، ويرجع ذلك الى اعتقاد هؤلاء الكتاب بأن التطورات العلمية ، التكنلوجية ، الاقتصادية والثقافية بين المجتمعات السياسية قد أسقطت مفهوم الدولة القومية وان كانت لاتزال حقيقة مادية فانها فى طريقها للزوال •

والسياسة العالمية ـ فى اعتقادهم ـ هى النظام الذى مازال فى طور التكوين والذى يسعى لمعالجة كافة القضايا المتعلقة ببناء المجتمع الانسانى على الكرة الأرضية • وتتحدد وظيفة النظام System العالمى فى فرض النظام وتحقيق العدالة بين الوحدات أعضاء النظام •

٦ ـ مكونات النظام الدولى المعاصر :

ينقسم الفقه الدولى بشأن التعريف بمكونات النظام الدولى الراهن الى قسمين : الأول وينظر الى المكونات من ناحية تصنيف وحدات النظام على أساس القوة التى تستحوذ عليها هذه الوحدات • وينظر هذا الاتجاه الى مكونات النظام الدولى على النحو التالى :

t.me/montlq

١ ـ القوتان الأعظم

٢ ـ القوى العظمى

٣ ـ القوى المتوســـــطة

٤ ـ القوى الصــــــغرى ٠

ويشوب هذا التصنيف أحيانا عدم الوضوح ٠ فاذا كان تصنيف الولايات المتحدة داخل اطار القوتين الأعظم ، وتصنيف كوســـتاريكا داخل اطار القوى الصغرى من الأمور الواضحة فان تصنيف دولة كالهند أمر بالغ الصعوبة وبعيد عن الوضوح ٠ واذا كان تأثير الولايات المتحدة كقوة أعظم فى أمريكا اللاتينية تأثير غلاب ، وتأثير الاتحاد السوفيتى فى أوروبا الشرقية تأثير كاسح فان الأمر يختلف بالنسبة لهما فى القارة الأفريقية مثلا فقد نجد دولة أقل قوة مثل فرنسا لها تأثيرها على سلوك الدول الفرانكفونية بدرجة تفوق تأثير القوتان الأعظم ٠

والاتجاه الفقهى الثانى يختلف عن الاتجـاه الأول حيث يجعـل القــوة العســكرية متغير تابع للقوة التكنولوجية حيث تتخطى الأخيرة اطار الهيمنة العسكرية الى رحاب أوسع من التعاملات الدولية التى تحقق السيطرة الاقتصادية والثقافية ٠ وينظر هذا الاتجاه الى مكونات النظام الدولى على أنها الدول القومية وقد تم تصنيفها بناء على المتغيرات الثلاث التالية :

١ ـ مستوى التقدم التكنولوجى الذى بلغته الدولة ٠

٢ ـ القدرات العسكرية المتاحة للدولة ٠

٣ ـ الهيبة التى تتمتع بها الدولة على الصعيد الدولى ٠ وهذه الهيبة هى وليدة السلوك الاجتماعى والسياسى الداخلى بالاضافة الى أنماط سلوكها المتبعة فى المجالات الدبلوماسية ، الاقتصادية والسياسية ٠

والواقع أن التصنيف الثانى هو أقرب الى الوضوح خاصة فيما يتعلق بالتفرقة بين وحدات النظام الدولى التى تنتمى الى دول العالم الثالث حيث يصعب اقامة التفرقة على أساس القوة العسكرية لأنها ليست بالضرورة معبرة عن قوة الدولة القومية ٠

٧ ـ هيكل النظام الدولى المعاصــــــر :

يتفق الفقهاء على أن الفترة التى تلت الحرب العالمية الثانية وحتى بداية الستينات قد تميزت بظاهرة استقطاب القوة **Polarized** ٠ فقد تميز هيكل

t.me/montlq

النظام الدولى بالتمركز حول قطبين رئيسيين هما الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى . وقد تميزت هذه الفترة بسيطرة القطبين سيطرة تامة على حركة وحدات الدولية الحليفة . وابتداء من حقبة الستينات طرأ تغير على هيكل القوة فى النظام الدولى بعد التطور الذى طرأ على قوة بعض وحدات النظام وتوصلت بريطانيا وفرنسا ثم الصين الى اختراع السلاح النووى وتعاظم القوة الاقتصادية لغرب أوروبا واليابان واندلاع الصراع الصينى السوفيتى . وانتقل النظام الدولى من نظام القطبين الى تعدد الاقطاب .

وقد أدى تغير هيكل القوة فى النظام الدولى المعاصر ـ بالاضافة الى ظاهرة الشلل النووى فى صـــراع القوى العظمى ـ الى تزايد تأثير التجارة الدولية والامدادات التكنولوجية على هيكل القوة والنفوذ فى النظام الدولى . وأصبحت القوى المشترية أو البائعة للجزء الأكبر من المواد الأولية والمصنعة قادرة على ممارسة تأثيرها على هذا الهيكل . ويمكن التوصل بناء على ما تقدم ، الى أن هيكل القوة والنفوذ فى العالم ليس ظاهرة استاتيكية كما أن تأثيرات القوة والنفوذ ليست بنفس القدرة فى كل المواضع الجغرافية وخلال كل الفترات الزمنية . وتمارس النظم الفرعية الدولية تأثيرات متزايدة على هيكل القوة فى نظم متعددة الاقطاب .

والواقع أن هيكل القوة فى النظام الدولى الراهن بالرغم من تحوله من ثنائية الاقطاب الى تعدد الاقطاب فان الولايات المتحدة والاتحاد الســـوفيتى مازالتا تمارسان تأثيرا كبيرا على كافة الصراعات الدولية . وتضع العلاقات الأمريكية السوفيتية ظلالها على كثير من مناطق العالم الأكثر حساسية ، بحيث لا يعد من قبيل المبالغة ، القول بأن مصـــير الملايين فى أوروبا والعالم الثالث يرتبط الى حد كبير بقرارات تتخذ فى واشنطن وموسكو وربما فى بكين مستقبلا . ولا تقتصر سيطرة القوتين الأعظم على النواحى العسكرية فحسب ، فالمنظمات الدولية تعتمد فىحركتها الفعلية وربما فى بقائها علىتوافق ارادتى القوتين الأعظم والأمم المتحدة تجد نفسها عاجزة ازاء اتخاذ أى موقف تتنكب احدى القوتين عن مساندته . والمظهر المسيطر لكل من القوتين الأعظم على الصراعات الأقليمية هو من الصفات الرئيسية للنظام الدولى المعاصر .

٨ ـ طبيعة التفاعل بين وحدات النظام الدولى المعاصر :

أثبتت كافة المؤشرات العلمية التى استخدمت لقياس درجة وحجم التفاعل بين وحدات النظام الدولى الراهن ، أن هذا النظام يشهد تفاعلا بين وحداته لم يقدر لأى نظام دولى سابق أن شهد مثيلا لها سواء من حيث الكثافة ، الوسائل

t.me/montlq

والأساليب والحجم · وتميز هذا النظام باتساع الرقعة التى يتم فيها التفاعل بين وحداته فلم تعد قاصرة على الاتصالات الحكومية الرسمية وانما تعدتها الى صعيد الأفراد وعلى مستوى واسع ·

وقد تشعبت عملية الاتصال الدولى وبالتالى عملية التفاعل بين وحدات النظام الدولى لدرجة يصعب تحديد أوجهها ومساراتها على وجه الدقة · وفيما يلى أهم موضوعات التفاعل بين وحدات النظام الدولى الراهن :

١ ـ انتشار ظاهرة التمثيل الدبلوماسى والقنصلى والتزايد المطرد لعدد البعثات مع تزايد عدد الدول المستقلة من العالم الثالث · كما تزايد حجم هذه البعثات وعدد العاملين فيها بالاضافة الى تزايد حجم العلاقات بين الدول ·

٢ ـ انشاء مئات من المنظمات الدولية الحكومية وغير الحكومية ، والتى تضم آلافا من الخبراء والعاملين من جنسيات لمعظم دول العالم · وتعمل هذه المنظمات على تحقيق أهداف وحل مشاكل مشتركة للوحدات الدولية الاعضاء فيهـــــا ·

٣ ـ ارتفاع حجم التجارة الدولية بين وحدات النظام بدرجة لم يسبق لها مثيل · وتشير الاحصاءات الى تزايد حجم التجارة الدولية العالمية فى الفترة من ١٩٣٨ الى ١٩٦٢ بنسبة ٦٠٠٪ كما أنها تشهد أطرادا مستمرا وفى أحجام تصل الى أرقام فلكية · وقد أدى تزايد حجم التجارة الدولية الى جانب تعدد أساليب الاتصال الدولى الى بروز ظاهرة دولية ميزت النظام المعاصر وهى الاعتماد المتبادل للوحدات أعضاء النظام ·

٤ ـ التزايد المتعاظم لحجم وحركة الطيران المدنى الدولى ، وتقدر الزيادة فى حجم البضائع وعدد المسافرين بثلاثة آلاف ضعف منذ عام ١٩٤٨ ·

٥ ـ بالرغم من تزايد حجم الاتصالات الدبلوماسية والمعاملات التجارية والاقتصادية بين وحدات النظام ، فقد تميز النظام المعاصر بزيادة واتســـاع أساليب تجنيد واستخدام العملاء السريين فى أغراض التخابر على الوحدات الأخرى · وصاحب ذلك استخدام أساليب التخريب Subversion داخل الوحدات السياسية كوســـيلة لزيادة النفوذ أو اجبار الوحدة السياسية على تعديل خطوط سياستها الخارجية ·

٦ ـ انتشار ظاهرة الحرب الداخلية أو المدنية أصبحت السمة البارزة من سمات التفاعل بين وحدات النظام المعاصر ٠ فلم يعد بمقدور أى نظام سياسى أن يعزل نفسه عن تأثيرات الوسط الدولى ٠ كما أصبحت هذه الظاهرة تعبيرا رمزيا عن ارتباط الصراعات الداخلية بالصراعات الدولية كما هى أيضا تعبيرا عن الصراعات العظمى للعصر ٠

t.me/montlq

t.me/montlq

مفهوم القــوة القوميــة

الصراع على الوصول الى « مركز القوة » كان وسيظل عاملا حاسما فى تاريخ المجتمع الانسانى ٠ وتعتبر القوة ـ عند البعض ـ نتيجة مباشرة للصراع الذى تكشف عنه الاختلافات الاقتصادية ، الاجتماعية ، الثقافية والعقائديه ، وموقف القوى المؤثرة فى المجتمع منها ٠ وسواء عولج هذا الصراع من منظور حركة التاريخ أو منظور المجتمع الواحد فى وقت معين من تطوره ، فان كثيرا من التنظيمات التى أصبحت علامة المجتمع الحديث تضع فى قمة أهدافها اذابة الصراع وتوجيه طاقاته نحو أهداف تنموية محددة من خلال تقنين « بناءات القوة » وايجاد الصلات المتوازنة بينها ٠

لقد كانت القوة ومازالت محور التفكير البشــرى عبر كل العصــور ٠ فالسفسطائيون القدامى أكدوا « أن العدالة هى مصلحة الأكثر قوة » بينما أكد هوبز ـ فى العصر الحديث ـ أن القوة هى أعلى الدوافع المحركة للانسان ٠٠ وركزت العلوم الطبيعية فى القرن الســابع عشــر على مفاهيم « الحــركة » و « الجاذبية » التى لم تكن الا مظهرا من مظاهر القوة فى عصر احتدم فيه الصراع بين الأمم على القوة التى كانت فيه ومازالت الضمان الوحيد فى مواجهة الفناء ٠ ولذلك اهتم فريق كبير من الكتاب فى كل العصور بمعالجة قضية القوة ، فأفلاطون وأرسطو فى العصر الأغريقى ، وشيشيرون فى العصــر الرومانى ، وميكيافلى فى عصر النهضة ، وماركس ولاسكى فى العصر الحديث ، وروسيل ، لاسويل ، كابلان ، ميلز فى الفترة المعاصرة ٠

والقوة الفعالة أو المؤثرة هى محصلة الاشكال المختلفة للقوة ـ الاقتصادية ، الاجتماعية ، الدينية والعقائدية ٠٠ الخ ٠٠ ـ والتى يطلق عليها البعض اسم « القوة السياسية » وهذه القوة تعنى ادارة شئون المجتمع بشتى مناحيها ٠ والقوة السياسية تتخطى وتعلو كافة أنواع القوة فى المجتمع وان كانت محصلة لهذه القوى جميعا ٠ وهذه القوة القادرة على صنع القرار فى شتى مناحى الحياة ووضعه موضع التنفيذ ، قادرة على اعادة ترتيب بناءات القوة فى المجتمع بصفة مستقلة ٠

t.me/montlq

وقد عالج الفكر الانسانى مفهوم القوة فى الجماعة البشرية من خلال مدرستين فكريتين . المدرسة الأولى هى المدرسة التعددية Pluralist التى ترى أن القوة موزعة فى عدد من الجماعات المنظمة داخل المجتمع وتنتقل السيطرة بينها حسب الظروف الأحوال ، وتولى هذه المدرسة مكانا كبيرا لجماهير الناخبين فى المجتمع السياسى . والمدرسة الثانية هى المدرسة الصفوية Elitiat وترى أن المجتمع السياسى يديره ويسيطر عليه دائما جماعة صغيرة نسبيا وهذه الجماعة هى التى توجه وتتخذ القرارات ذات التأثير الفعال على الجسد السياسى Body Politic . وقد تنعدم مشاركة المواطن أو تنحصر فى حدود ضيقة من الروابط الاختيارية .

وتتركز القوة فى المجتمع السياسى فى الصفوة السياسية ، وهى عند موسكا قلة أو فرد . وان هذه القلة دائما هى « الطبقة السياسية أو الطبقة الحاكمة » . ويرى روبرتو ميشلز أنه يمكن ازاغة أو التخلص من الصفوة الحاكمة فى آخر الأمر باسم الكثرة ، القلة أو الفرد . ولكن ما يحدث فى الواقع هو أنها تستبدل بصفوة سياسية أخرى تمسك بمقاليد الأمور وتتحكم فى مقدرات المجتمع السياسى .

وقدم باريتو Parreto — من خلال دراسته للتاريخ — ما يسمى « دورة الصفوة » وهى العملية التى تتم فيها استبعاد جماعة حاكمة قديمة ومتهاوية بواسطة جماعة جديدة لها من الصفات والمهارات الأساسية ما يتلائم والموقف الاجتماعى الجديد . وقد اعتقد باريتو أن عملية احلال صفوة سياسية محل أخرى تتم من خلال الصراع الطبقى . لكن — على خلاف ماركس — قرر أن أى صراع يدار دائما لحساب صفوة معينة تريد أن تحل محل الصفوة الأخرى . والجماهير فى تقدير باريتو توجه فى كل الأحوال نحو تحقيق أهداف القلة التى تقودها .

وبالرغم من اعتراف باريتو بصحة ماذهب اليه ماركس من أن الصراع الطبقى كان عبر التاريخ حقيقة جوهرية ان لم يكن الحقيقة الأولى ، فانه يخطىء ماركس فى مقولتين . الاولى حول اعتبار ماركس استحواذ البروليتاريا على السلطة بمثابة سيطرة للأغلبية وقد عد ذلك أساسا لصراع جديد بين الصفوة البروليتارية والجماهير . والثانية اعتقاد ماركس أن الصراع الطبقى فى العصر الحديث هو ذاته فى العصور القديمة وقد اعتبر باريتو الصراع الطبقى الذى ينتهى باستيلاء البروليتاريا على السلطة ما هو الا مرحلة سيخلفها أخرى من صراع بين الصفوة التى تتحدث باسم البروليتاريا وبين صفوات أخرى فى المجتمع .

t.me/montlq

وخلص باريتو الى تشكيل قاعدة عامة أطلقها من حيث الزمان والمكان فقد رأى حركة التاريخ عبر كافة العصور ما هى الا محاولة القلة صاحبة القوة السياسية للاستمرار فى امتلاكها لهذه القوة • وهى تحاول ، من أجل هذه الغاية ، ابتكار الوسائل التى تمكن لها من ذلك سواء بالوسائل الفكرية والنظرية أو بالوسائل التكنولوجية • والتاريخ ـ فى نظره ـ ماهو الا صراع بين القلة والكثرة من أجل امتلاك القوة السياسية •

ويجادل برتراند رسل ، بأن غالبية الحكومات كانت عبر التاريخ فى أيدى جماعة أو طبقة حاكمة وأن العبودية كانت الظاهرة المميزة لغالبية الحضارات المبكرة وبين غالبية الشعوب حتى أصبح من اليسير امتلاك القوة بواسطة الجماعة المسيطرة • وهو يرجع هذه الظاهرة الى الطبيعة البشرية التى تنزع الى أن تصارع شيئا ما • وقد بدأ صراع الانسان مع الانسان ، الذى أخذ يتطور بأساليب صراعه سعيا للسيطرة على الطبيعة وعلى الآخرين من بنى جنسه عبر التاريخ مستخدما شتى الوسائل وعلى رأسها السياسة والحرب •

والقوة السياسية تعنى سيطرة الانسان على عقول الآخرين وأفعالهم ويجب التمييز بين هذه القوة والعنف السياسى • ولا ريب أن التهديد باستخدام العنف البدنى أو السجن أو عقوبة الموت أو الحرب ، يعتبر عملا كامنا فى السياسة• ولكن عندما يتم ممارسة ذلك فان هذا التحول يرمز الى التخلى عن القوة السياسية لصالح القوة العسكرية وشبه العسكرية • فالقوة السياسية هى علاقة نفسية بين الذين يمارسونها والذين تمارس بالنسبة لهم • وهى تمنح الأولين سيطرة على بعض ما يقوم به الآخرون من أعمال عن طريق النفوذ الذى يملكونه على عقولهم • وقد يمارس هذا النفوذ عن طريق الأمر أو التهديد أو الاقتناع أو مزيج من اثنين أو أكثر من هذه الوسائل •

١ ـ القـوة والسـلوك الدولى :

تأسست المدرسة الواقعية على مفهوم القوة • وهى تنظر الى السياسة الدولية كغيرها من السياسات ليست الا صراعا على القوة • فالقوة هى هدفها الآنى مهما كانت أهدافها النهائية البعيدة • والصراع من أجل القوة ظاهرة شاملة زمانا ومكانا وأن التجربة أقامت الدليل على صحة وجودها كحقيقة • ويعتبر الميل للسيطرة هو العنصر الماثل فى جميع الترابطات الانسانية ابتداء من الأسرة وعبورا بالترابطات الأخوية والمهنية والمنظمات السياسية المحلية وانتهاء بالدولة • وكل هذه مسارح للصراع المستمر على القوة ، بين من يريد أن

t.me/montlq

يحتفظ بما لديه منها وبين تلك التى تنشد الحصول على المزيد منها من خلال السيطرة على عقول وحركة الآخرين ·

القوة هى احدى الكلمات المستخدمة فى العلوم السياسية بصفة عامة وفى العلاقات الدولية على وجه الخصوص ونظرا لغياب المؤسسات والاجراءات المناطة بحل الصراع بين الدول ـ بالمقارنة لما عليه الحال فى النظم الداخلية للدولة ـ فان مفهوم القوة يتخذ شكلا صريحا على الصعيد الدولى · ونظرا لأن « النظام الدولى يفتقر الى حكومة مشـــتركة ، فان كل وحدة سوف تبحث عن الأمان بالاعتماد على قوتها الذاتية منظورا اليها على ضوء قوة جيرانها » ·

ويجادل نيقولا سبيكمان بأن « كل حياة حضارية تعتمد فى النهاية على القوة » ويعرف القوة بأنها « القدرة على تحريك الناس لاقتفاء النمط السلوكى المرغوب فيه من خلال الاقناع ، الشراء ، المقايضة أو القسر » ·

والسياسة الدولية ـ كما يراها روبرت ستروز ـ هى « السيطرة عن طريق البحث عن القوة » · والتاريخ البشرى على امتداده يشهد بأن أى فترة زمنية من التاريخ المعروف كانت هناك عدة دول تشتبك فيما بينها فى صراع مميت وكان هدف هذه الدول هو دعم وزيادة أو الحفاظ على قوتها ·

أما أرنولد وولفيرز فيعرف القوة القومية بأنها « هى قدرة الدولة على تحريك الدول الأخرى أو جعل هذه الدول تقدم على السلوك الذى يراد لها أن تقدم عليه لا السلوك الذى تريده هذه الدول » · وقد ميز بين القوة والنفوذ · فالأولى هى القدرة على تحريك الآخرين باستخدام : التهديد أو فرض الحرمان · والثانية تعنى القدرة على تحريك الآخرين من خلال : الوعود ، المنح ، والفوائد ·

والقوة القومية كمقرر للســـلوك الدولى هى محور تفكير ولب النظرية الواقعية فى السياسة الدولية · وقد ســـيطرت المدرســـة الواقعية على نظرية العلاقات الدولية ابتداء من العقد الرابع وحتى منتصف السادس على أثر انتشار الفكر السلوكى والنظامى فى هذا الحقل · والواقع أن فكر المدرسة الواقعية قد أفرز كثيرا من النظريات فى العلاقات الدولية ومع ذلك يظل هذا الفكر معتمدا على المنطلقات الايديولوجية أســـاسا كالفكر الطوباوى وعلى عكس الفـــكر السلوكى والنظامى الذى ينطلق من الوقائع أكثر من كونه توجه سياسى ·

والمدرسة الواقعية تفترض عدم وجود انسجام بين مصـــالح الدول وأن أهداف الدول غالبا تكون فى حالة صراع ويقود بعضها للحرب وأن قدرات الدول

t.me/montlq

هى عامل حاسم بالنسبة لنتائج الصراع الدولى وقدرة دولة ما على التأثير على سلوك دولة أخرى • ونظرا لصعوبة تحقيق السلام من خلال القانون والتنظيم الدولى – كما يعتقد الطوباويون – فمن الضرورى استنباط ترتيبات أخرى لادارة القوة ونظرية توازن القوة أحد استنباطات هذه المدرسة • ويرى الواقعيون أن السياسة ليست وظيفة اخلاقية وأن رجل الدولة ليس مجرد رجل أخلاقى وأن كانوا يهتمون بآثار العوامل المعنوية على ادارة السياسة الدولية •

(٢) نظريات القوة فى السياسية الدولية :

يعتبر الكاتب الامريكى البروتستنتى رينولد نبهر (١٨٩٢ – ١٩٧١) هو مؤسس نظرية القوة فى السياسة الدولية وقد لقبه جورج كينان بأبى الواقعيين • ويبنى نبهر نظريته على مفهوم الانسان فى الانجيل وهو الموصوم بالخطيئة الأولى وهذا يعنى أنه قادر على فعل الشر • والانسان آثم لأنه ينكر نهايته ويتظاهر بأكثر مما هو عليه واقعيا ومن ثم فهو يظلم الآخرين خلال محاولته اخضاع حياتهم لارادته • والانسان يملك ارادة الحياة التى تقود بالضرورة الى ارادة القوة « فطالما أن ارادة الحياة تترجم رغبة الانسان فى تأمين بقائه العضوى ، فانه من المحتم أن يسعى الى تحقيق الأمن ضد شرور الطبيعة والتاريخ وذلك بزيادة قوته الفردية والجماعية الى حدودها القصوى •

والسياسة الدولية – فى اعتقاد نبهر – تماثل فى طبيعتها العلاقات بين الجماعات الصغيرة وجوهرهما الصراع من أجل القوة • والقوة القومية ما هى الا انعكاس لارادة القوة الفردية • والفرد عندما يعمل كعضو فى الجماعة يفقد هويته ويصير جزءا من الجماهير ومن ثم فان رغبات القوة تتضخم على الصعيد القومى • وقد انتقد فكرة اقامة حكومة عالمية بسبب أن اقامة مثل هذه الحكومة لا يعنى بحال اقامة المجتمع العالمى • فالحكومة – فى نظره – لا تمارس فى الواقع سلطة القانون أو سلطة القهر ولكنها تمارس سلطة المجتمع الذى تحكمه • والقوانين قطاع – فقط – لأن المجتمع يقبلها ككل متكامل باعتبارها تجسيدا لمفهوم هذا المجتمع للعدالة •

ونظرا لاختلاف مفهوم العدالة لدى كل دولة وفقا لمصالحها القومية يقترح نبهر ضرورة المحافظة على القوة بين الدول حتى تتحقق العدالة • فاختلال التوازن بين القوى المتصارعة يجعل من المطالب الأخلاقية والعقلية غير قادرة على تحقيق العدالة •

t.me/montlq

وكان فكر رينولد نبهر سيما فى فترة ما بين الحربين ، انعكاسا للازمة التى كانت تعانى منها مدرسة السلام الامريكية فى مواجهة النازية • فقد تميزت هذه الفترة بالصراع الفكرى بين مذهبين ، الأول يرى بالسلام المطلق المستند الى طبيعة السلام الدينى المطلق • والمذهب الثانى هو ما عرف باسم السلام البرجماتى Pragmatic والذى يقوم على أساس التفضيل السياسى أكثر من استناده الى خلق الانجيل Gospel ethic •

ويعتبر سبيكمان من أوائل الكتاب الواقعيين الذين تبنوا سياسة القوة فى العلاقات الدولية • والدول – فى تقديره – توجد لأنها قوية أو تتمتع بحماية دول أخرى • والدول فى سعيها لتأمين بقائها « يجب أن تحافظ أو تعمل على تحسين مركز قوتها كهدف رئيسى لسياستها الخارجية » • والقوة القومية – فى تقديره – تتجسد فى مدى قدرة الدولة على شن الحرب ومن أجل هذا كان ومايزال اهتمام الدول الأول هو اقامة المنشآت العسكرية •

وتعتمد نظرية سبيكمان فى القوة القومية على مفاهيم الجيوبوليتكا وتوازن القوة بصفة رئيسية • وقد اهتم بالدراسة الجغرافية للدولة وأثرها على السياسة الخارجية لها ، بمعنى بحث قوة الدولة بالنسبة للأرض وصراعها المميت من أجل حصولها على مجالها الحيوى • ويعتقد سبيكمان أن الدولة تسعى دائما لاحتلال أراضى جديدة ، وبعد أن يتحقق لها الاستيلاء على هذه الأرض تزمع فى دمج واذابة الرقعة الجديدة داخل أراضيها ثم تكون هذه العملية بمثابة نقطة بداية لوثوب جديد من أجل التوسع • وهناك علاقة طردية بين التوسع وسهولة الحركة • فتوسع الدولة محدود بالحواجز الطبيعية مثل المحيطات ، البحار ، الأنهار والجبال •

والحدود الدولية كانت دائما – وعبر كل عصور التاريخ – انعكاسا لعلاقات القوة بين الدول المتجاورة • وتتزايد احتمالات الصراع الدولى بتزايد الكثافة السكانية فى العالم التى تؤدى الى صراع بين الأهداف ثم صدام بين الدول •

ويتفق سبيكمان مع علماء الجيويولتيكا عندما يقرر أن الموقع الجغرافى للدولة يحدد المشاكل التى تواجهها ومن ثم فان الجغرافيا هى العامل المحدد لسياسة الدولة الخارجية وقد أكد أن الطريقة الوحيدة لاستمرار السلام هو اقامة أمن جماعى أو حفظ التوازن الدولى بين القوى الدولية • وأعاد سبيكمان تأكيد نظرية ماكندر Mackinder عن الهارتلاند ومضمونها ما يلى :

t.me/montlq

تستحوذ عليها . والدولة تستطيع تحقيق ذلك من خلال استخدام وسيلتين رئيسيتين هما :

(أ) **الدبلوماسية**

(ب) استعراض القوة العسكرية

وهذه السياسة تسعى لتحقيق هدفان هما :

(أ) الحصول على المكانة فى حد ذاتها .

(ب) تحقيق الهيبة دعما لسياسة الوضع الراهن أو السياسة الامبريالية .

وتحقق سياسة الهيبة نصرها الحقيقى عندما تضفى على الدولة التى تتبعها سمعة كبيرة بأنها ذات قوة ، بحيث تتمكن من تجنب استخدامها واقعيا لتحقيق أغراضها .

ويعتبر جورج كينان أحد مؤسسى المدرسة الواقعية فى السياسة الدولية الذى أقام نظرية العلاقات الدولية على مفهوم القوة . وقد توصل الى هذه النتيجة من خلال تحليل المادة التاريخية عن القرنين الثامن عشر والتاسع عشر . ويعتقد كينان أن الطبيعة البشرية « لا عقلانية ، أنانية ، احتكاكية ، وتميل الى العنف » . وأنه من الصعب ان لم يكن من المستحيل احداث تغييرات أساسية فى الطبيعة البشرية . ويعتقد أن دور الرأى العام القومى دور هامشى فى السياسة الخارجية طالما بقيت العلاقات الدولية مجرد علاقات بين الحكومات .

ويرى أن هناك أسبابا عديدة تؤدى الى الصراع الدولى . وأن هذه الأسباب ليس من السهل ازالتها عن طريق الحركة البشرية ، ويرجع هذه الأسباب الى الافتقار للتطابق فى درجة التطور الثقافى ، الاقتصادى ، السياسى والاجتماعى بين الدول ، والتى يؤدى التصادم فى المصالح بينها الى مشاركتها فى اندلاع الصراع .

اما آرنولد ولفيرز Arnold Wolfers ، فقد عالج قضية القوة القومية فى اطار النظام الدولى باعتبار الدول قوى فاعلة فى هذا النظام الذى يستند أيضا على هيكل أساسى للقوة . والسلوك الدولى هو نتيجة لخليط من الضغوط المتصارعة ، وأن القوى الفاعلة فى النظام الدولى بمختلف أنواعها : التحت قومية، القومية والفوق قومية تفرض نفسها على السياسة الدولية ، يجب أن تكون موضوعا للتحليل المنهاجى . ويرجع ـ ولفيرز ـ سبب التباين فى سلوك الدول القومية ما بين الصداقة والعداء ، الى تباين الأهداف القومية للدول . وقد حدد هذه الأهداف من حيث طبيعتها فى نوعين هما :

t.me/montlq

١ ـ الأهداف الحيازية Possession goals :

وتدخل عدة أهداف للدولة فى حيز هذا النوع مثل : الاستقلال الوطنى ، البقاء العضوى والسلامة الاقليمية ٠

٢ ـ الأهداف الوسطية Millieu goals :

وهى تلك الأهداف التى تصمم للتأثير على الوســـط فيما وراء حدود الدولة ٠

ويميز ولفيرز بين أهداف الدولة التى تستدعى استخدامها لقوتها القومية أو احجامها عن هذا الاستخدام ٠ وقد وضع هذه الأهداف داخل أنماط ثلاثة هى :

١ ـ الامتداد الذاتى القومى ٠

٢ ـ حفظ الذات القومية ٠

٣ ـ انكار الذات القومية ٠

والنمطين الأولين من الأهدافيحتم استخدام القوة أو التلويح بها ٠ بينما تحجم الدولة فى النمط الثالث عن استخدام هذه القوة وتلجأ الى مفاهيم القانون الدولى والتضامن الدولى ٠ ويعترف ولفيرز بأن الأنماط الثلاثة من الأهداف تتداخل فيما بينها من خلال متابعة الدولة لسياستها الخارجية ، لكنه يؤكد أن أهداف الحفاظ على الذات تعلو أى هدف آخر ٠ وتتركز حولها كافة عناصر القوة القومية ٠

ويولى ولفيرز أهمية كبيرة لظاهرة توازن القوة بين الدولة وهو يستخدم هذا التعبير بمعنى « ايجاد توازن » ، فى توزيع دقيق للقوة وبين خصمين ، أو أكثر ، وأن المعنى المضاد لذلك هو الهيمنة أو السيطرة ، وأن التوازن الدولى المعاصر يقوم على محورين رئيسيين هما الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى ٠ وان كلا منهما عبارة عن مركز لتحالف عالمى ٠ ويرى أن الدول التى تقع خارج التحالف مع أى من القوتين الأعظم ، أى الدول الحيادية تستطيع أن تحصل على مزايا وبعض التنازلات من خلال سعى كل من القوتين الأعظم لادخالها ضمن تحالفها ٠

وينظر ولفيرز الى توازن القوة باعتباره الأداة الوحيدة المتاحة لادارة القوة فى العالم المعاصـــر ٠ فقد أظهرت القوى الفاعلة فى النظام الدولى من خـــلال ممارستها ، اهتماما ضئيلا يحل الصـــراع الدولى عن طريق الأمن الجماعى

t.me/montlq

ويرى أن الالتزام بأسلوب الأمن الجماعى كوسيلة لتحقيق السلام والأمن الدوليين يقتضى توافر درجة من انكار الذات القومية التى يراها نادرة أو ربما غير موجودة ٠

ويعتبر روبرت ستروز هوبى من أهم الكتاب الذين اهتموا بتوضيح طبيعة القوة القومية وأساليب ممارسة وضبط هذه القوة ٠ وقد تركزت دراساته العلمية - بشكل واضح - على العلاقة بين القوة ، القيم والتحولات فى النظام الدولى ٠ ويفترض هوبى أنه بدون القوة وممارستها « يتعذر اقامة النظام السياسى والمحافظة عليه ، والقوة تحمى المجتمع من الفوضى ومع ذلك فهى مبعث الطغيان ، العنف والفساد » ٠

وبالرغم من أن الصراع الدولى تسببه عدة عوامل ، فان السبب الرئيسى له هو حافز القوة Power Urge الذى يخلق الصراع بين الدول الى حد كبير ٠ وهذا الحافز مشتق من حافز أساسى هو تضخيم الذات Self-agrrandizement أو تأكيد الذات Self-assertion ٠ وحافز القوة يمكن أن يتخذ عدة أشكال هى : الطموح الشخصى ، طلب الهيبة أو ببساطة الرغبة فى الاستفادة من عمل الآخرين ٠ وقد تعاظمت أهمية القوة فى العالم المعاصر بالمقارنة الى العصور الماضية ويرجع السبب فى ذلك الى زيادة عدد السكان وتعاظم أدوات القهر فى الدولة القومية المعاصرة ، بالاضافة الى انهيار القيود الدينية والميتافيزيقية التى كانت تقيد السلطة الحاكمة فى العصور الماضية ٠ ويعتقد أن انتشار نظرية داروين فى النشوء والارتقاء ضخمت من حافز القوة لدى الفرد والجماعة المعاصرة ٠ وقد زاد من حدة الأزمة التغير الاجتماعى السريع وابتعاد الناس عن الحياة الجماعية القديمة وقد أسفر ذلك عن تزايد الرغبة لدى الأفراد بالانتحار وتزايد حوادث العدوان والحرب الدولية ٠

ويرى أن رغبة الفرد الجامحة فى الاستحواذ على القوة قد أثر على المجتمع القومى بكامله وخلق منه مجتمعا أكثر عدوانية ، ثم انتقلت ظاهرة الصراع على السلطة فى المجتمع القومى الى صراع على القوة على الصعيد الدولى ٠ ويمكن ملاحظة ظاهرة الصراع الدولى على القوة فى العديد من أشكال السلوك الدولى المعاصر ، فمحاولة دولة فرض ايديولوجيتها على دولة أخرى ، اختلاف الهياكل الاجتماعية ، اختلاف الأمزجة النفسية والسلوك والعادات ، الضغوط السكانية ، اختلاف الدخول والمستويات الاقتصادية ، اختلاف النظم السياسية ، والمطالب والدعاوى الاقليمية والمصالح الأمنية المتعارضة كل هذه الظواهر تدخل فى حساب الصراع الدولى ٠

t.me/montlq

ويرى هوبى أن التفرقة بين قوى الدول يتم على أساس استحواذ الدولة على « الامدادات الكافية أو المتفوقة من المواد الاستراتيجية ٠٠ أو القادرة بأن تفرض سيادتها على طرق امدادها بهذه المواد فى زمن الحرب لسد النقص منها محليا » ٠ والقوة القومية يتم التعبير عنها فى صـــورة منظمات ســــياسية ، اقتصادية وعسكرية وهذه المنظمات هى القادرة على ترجمة وتحويل عناصـــر القوة القومية للدولة الى سياسة دولية ٠

ويعتبر الكاتب الفرنسى ريمون آرون Raymond Aron ضمن عدد قليل من الكتاب الأوروبيين الذين أولوا أهمية علمية لقضية القوة القومية ٠ ويؤكد آرون أن العلاقات الدولية تتسم غالبا بالصراع ، وأن هذه العلاقات تواجه دائما بديلان هما الحرب والسلام ٠ وأن خطر الحرب يواجه الدولة طالما بقى لها خصوم يناصبونها العداء ٠ وان دخول الدول فى صدام عضوى على شكل عنيف واسع النطاق قد لا تكون له جاذبية ولكنه يبقى كحق تحتفظ كل دولة به لنفسها كوسيلة أخيرة لحفظ الذات أو تحقيق الأهداف الحيوية ٠ والوحدات السياسية فى النظام الدولى لا تبتغى القوة من أجل القوة ذاتها ، ولكن كوسيلة لتحقيق أهداف أخرى كالسلام ، العظمة أو التأثير على مستقبل النظام الدولى ٠

والصراع وفقا لنظرية آرون ، ينشأ من وجود رغبة لدى الأشخاص ، الجماعات ، الوحدات السياسية على امتلاك نفس الشىء أو حدوث عدم توافق فى الأهداف بينهم ٠ ويرى أن الانسان حيوان عدوانى لكنه لا يقاتل بالغريزة ٠ والحرب تعبير عن عدوانية الانسان لكنها ليست التعبير الضرورى عن هذه العدوانية ٠ ويعتقد أنه من غير الممكن القضاء على كافة أنواع الصراع وينفى مقولة وجوب التعبير عن الصراعات البشرية فى ظاهرة الحرب ٠

٣ ـ عناصـــر القـــوة القـــومية :

ان تقدير القوة القومية لدولة ما يوجب علينا تحليل المفهوم الى عناصره الأولية ٠ والباحث فى هذا المجال يتساءل ما هى الأسباب التى تؤدى الى وصف دولة ما بأنها قوية وأخـــرى بأنها ضـــعيفة ؟ ٠ ويتفق الفقه الدولى ـ مع اختلاف فى التقدير ـ حول عناصر هذه القوة ، ويجملها فى ست عناصر يمكن الوقوف على طبيعتها والوقوف على أبعادها من خلال الاجابة عن ستة أسئلة هى :

١ ـ كم عدد سكان الدولة ، وهل يتزايد هذا العدد أم يتناقص وما هو الهيكل السكانى (العامل الديموجرافى) ؟

t.me/montlq

٢ ـ أين يعيش هؤلاء السكان ، طبيعة المناخ ومساحة الأقليم (العامل الجغرافى) ؟

٣ ـ ما هى المواد الأولية التى تمتلكها هذه الدولة ومصادر الثروة الأخرى المتوفرة فيها • وما هى أوجه النقص فى النواحى الاقتصـــادية والاستراتيجية التى تواجهها (العامل الاقتصادى) ؟

٤ ـ ما هى الخبرة التاريخية لهذه الدولة ، وما هى نظرة شعبها للحياة ومدى الائتـــلاف بين فئات المجتمع فيها (العـــامل التاريخى ـ النفســى والاجتماعى) ؟

٥ ـ شكل الحكومة التى تدير شئون المجتمع وموقف الشعب منها ، وفاعلية هذه الحكومة فى انجاز أهدافهـــا ومدى قوة هذه الحكومة (العامل التنظيمى والادارى) ؟

٦ ـ حجم القوات المسلحة وكيفية توزيع مخصصاتها على مختلف أفرعها ومجالات تسلحها والعلاقات بين القيادة العسكرية ومختلف الأفرع ، وما مدى تسليح وتدريب القوات (العامل العسكرى) ؟

وتهتم مختلف دول العالم بتقدير قوة الدول الأخرى والوقوف على عناصر هذه القوة ، وهى تنفق فى سبيل ذلك مبالغ طائلة من الأموال سنويا من أجل الحصول على معلومات تخابرية Intelligence data ذات طبيعة تفصيلية ومتكاملة عن عناصر قوة الدول الأخرى وبصفة خاصة تلك التى تشتبك معها فى صراع أو من المحتمل أن تكون كذلك • وتحاول الدولة من خلال الجهد المنظم الذى تضطلع به أجهزة مخابراتها التعرف على مجهودات الدول الأخرى فى كافة المجالات للتحقق من قوتها ومعرفة تحركاتها وخططها الســياسية الحاضرة والمستقبلة •

(أ) العنصـــــر الديموجرافى :

العنصر السكانى يعتبر العنصر الأول من عناصـــر قوة الدولة القومية ويشكل عدد سكان الدولة ، البنية الأساسية لهؤلاء السكان وميولهم واتجاهاتهم القاعدة الرئيسية لقوة الدولة • والعنصر السكانى له أبعاد ثلاث رئيسية تتحدد بمقتضاها مدى قوة هذا العامل ومشاركته فى القوة القومية للدولة •

وتتفاوت دول العالم من حيث الحجم المطلق للسكان أو تعداد السكان الذين

t.me/montlq

يعيشون على أرضها ، ولكل دولة مهما صغرت قاعدة سكانية ٠ وهذه القاعدة تنطلق منها القوى الانتاجية والأيدى العاملة والجنود حملة السلاح ٠٠٠ الخ ٠٠ وهناك تفاوت كبير فى تعداد السكان فالدولة القزم لا يتعدى عدد سكان بضعة آلاف مثل : الفاتيكان ، سان مارينو ، ليخنشتين وموناكو ، وفى الطرف النقيض نجد بعض الدول يتعدى سكانها مئات الملايين مثل : الصين ، الهند ، الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة ٠ وفيما بين هذين القطبين توجد عدة فئات من الدول يتراوح تعداد سكانها من مليون نسمة الى خمسة وثلاثون مليونا ، ولكن لا يوجد سوى ثلاث عشرة دولة يزيد عدد سكانها عن الخمسة والثلاثين مليونا ٠

ولا يعتبر تعداد سكان الدولة قرينة لقوتها القومية فكندا لا يتعدى سكانها واحدا وعشرين مليون نسمة ولكنها أقوى من نيجيريا التى يتعدى سكانها خمسين مليونا ٠ وهى أقوى من أسبانيا التى تفوقها بمقدار الثلث فى تعداد السكان ٠ وتقدير قوة الدولة يتعدى مجرد الحجم المطلق لعدد سكانها ولكن هذا العدد يجب أن يخضع للتحليل والتصنيف أى اكتشاف أبعاده الكيفية وليس مجرد الحساب الكمى ٠

والضغط السكانى يمكن أن يضعف من قوة الدولة بدلا من أن يكون عنصراً من عناصر قوتها ، فالضغط السكانى مع التخلف الاقتصادى يجعل الدولة تعانى من اختناقات اقتصادية وتدنى فى الدخل الفردى الحقيقى ٠ وقد تؤدى هذه الظاهرة الى تبنى الدولة التى تعانى من هذا الضغط لسياسة خارجية توسعيه كما حدث بالنسبة لليابان قبل الحرب العالمية الثانية ، والمانيا فى ظل الرايخ الثانى ٠

توازن الهيكل السكانى فى الدولة عامل هام فى زيادة وفاعلية قوة الدولة القومية ويعد من الأهمية بمكان معرفة عدد السكان الذين تتراوح أعمارهم مابين ١٥ ــ ٤٤ عاما لأن هذه الفئة من السكان لها تأثيرها المباشر على قوة الدولة ٠ ومن هذه الفئة تخرج العناصر المنتجة والمقاتلة ٠

والزيادة السكانية عن الحد الأمثل الذى يحقق التوازن بين الموارد الغذائية وعدد السكان ، تؤدى الى التأثير على مستوى المعيشة فى الدولة كما يؤثر على القوة الصناعية التى هى عماد القوة العسكرية للدولة ٠ والحالة الصحية ، التعليم ، نسبة الأمية فى السكان ، ومدى توافر المهارات الصناعية تعد من الأمور الهامة بالنسبة للهيكل السكانى للدولة وبالتالى لقوتها القومية ٠

ب) العنصـــر الجغـــرافى :

المعطيات Données الجغرافية هى الأســاس الراسخ للمعطيات

t.me/montlq

الاستراتيجية ويشكلان معا المفهوم الدفاعى للدولة وهما أيضا ضمن المحددات الرئيسية لسياسة الدولة الخارجية · والدول عبارة عن أقسام سطح الكرة الأرضية ولذلك فان العوامل الجغرافية لها دخل كبير فى تحديد القوة النسبية للدول المشاركة فى سطح الكرة الأرضية ويمكن اجمال هذه العوامل فيما يلى :

١ ـ المناخ : وترجع أهميته الى :

(أ) اعطاء الحرارة اللازمة لنمو الزراعة وحياة الانسان · ويلاحظ أن المناطق التى يندر فيها السكان (الاسكا ، شمال كندا وجرينلاند) هى مناطق غير ملائمة مناخيا ·

(ب) توافر المياه عن طريق الأنهار أو الأمطار ويلاحظ أن مراكز القوة الرئيسية فى العالم تقع فى مناطق تتمتع بوفرة المياه والحرارة ·

(ج) توطن السكان : ويلاحظ أن المناطق الواقعة من خطوط العرض ٢٠/ ٦٠ شمال وجنوب خط الاستواء هى المناطق الملائمة لحياة الانسان وفيها تقع المدن الكبرى والتوطنات الكثيفة للسكان ·

٢ ـ الموقع :

ويعتبر الموقع الجغرافى للدولة هو العامل الأول فى صياغة سياستها الخارجية بالاضافة الى أهميته الاستراتيجية ·

والطبيعة الجيوبولتيكية للدولة ذات أهمية قصوى بالنسبة لقوتها القومية فالمملكة المتحدة لأنها تتكون من مجموعة من الجزر كانت العمود الفقرى لتكوينها قوة بحرية ضخمة استطاعت أن تكون عن طريقها امبراطورية واسعة · وكانت الاعتبارات الجيواستراتيجية وراء ضم الاتحاد السوفيتى لدول البلطيق الثلاث وجزء من الأراضى الفنلندية ·

٣ ـ المساحة :

وكما تتفاوت الدول تفاوتا شاسعا فى عدد السكان تتفاوت أيضا من ناحية مساحة الدولة · فمساحة الاتحاد السوفيتى ٨ ملايين ميل مربع فى حين نجد مساحة أمارة موناكو لا تتعدى نصف ميل مربع فقط ·

وعامل المساحة لا يقرر القوة القومية للدولة لكن الموقع يؤثر الى حد بعيد على هذه القوة ·

t.me/montlq

ومما لا شك فيه أن تأثير العوامل الجغرافية (المناخ ، الموقع والمساحة) على قوة الدولة القومية ذات أهمية بالغة على هذه القوة . واذا كانت الثورة التكنولوجية المعاصرة فى مجال النقل والأسلحة قد أضعفت من أهمية العنصر الجغـــرافى فان هذه الثورة – على الرغم من أهميتهـــا – لم تلغ الحقـــائق الجغـــــرافية .

(ج) العنصـــــر الاقتصــــــادى :

ويتضمن العنصر عدة عوامل اقتصادية منها حجم الانتاج القومى ، كمية ونوع المواد الأولية المتوافرة ، معدلات الانتاج ومستوى التقدم الاقتصـــادى .. الخ . والموارد الاقتصادية للدولة تعد عنصرا حاسما فى قوتها القومية وكل ما تملكه الدولة أو يمكنها الحصـــول عليه أمر حاســم فى تنفيذ اســـتراتيجتها السياسية . وتعتبر قدرة الدولة على التغير السريع من الانتاج غير الضرورى الى الانتاج الضرورى دليلا على مرونة اقتصادها . ولا يقتصر هذا التغيير على المصانع بل يتعداه الى الأرض بتحويلها من مراعى الى أراضى زراعية ، هذا فضلا عن القدرة على المحافظة على نوعية الانتاج وسلامة الموارد . وتشتمل موارد الدولة الاقتصادية على الموارد الزراعية ، الصناعية والتعدينية .

وتوافر موارد اقتصادية كبيرة لا يعنى بالضرورة زيادة مماثلة فى قوة الدولة القومية . فهناك دول تواجه نقصا فى المواد الأولية وموارد الثروة الطبيعية كاليابان لكنها وصلت الى درجة عالية من القوة الاقتصادية ، كما أن هناك دولا تملك موارد اقتصادية شـــاسعة وثروة طبيعية وفيرة ومع ذلك لم تحول هذه الموارد الى قوة اقتصادية ومازال تقدمها الاقتصادى محدودا للغاية كمعظم الدول الأفريقية . فالعبرة ليس بما تملكه الدولة ولكن ما تفعله بما تملك فهما وجها العملة الاقتصادية . فالولايات المتحدة تمثل ٦٪ من تعداد سكان العالم وتستأثر بمفردها بـ ٤٤٪ من الانتاج العالمى .

ان تقدير القوة القومية للدولة يرتبط ارتباطا عضويا بالعنصر الاقتصادى الذى يتحدد على أساس عدة عوامل هى :

١ – الموارد الطبيعية والمواد الأولية .

٢ – المواد الاستراتيجية .

٣ – حجم الانتاج القومى ومعدلاته .

(د) عنصـــــر الشـــــخصية القـــومية :

الشخصية القومية تجد تعبيرها من خلال خصائص وصفات سلوكية يعبر

t.me/montlq

عنها المواطن الذى ينتمى الى هذه الدولة · ودراسة الطابع الذى يميز الشخصية القومية يسمح بفهم سلوك الدولة · واتخاذ الاجراءات المناسبة فى مواجهة حركتها والتنبؤ برد الفعل لدى شعب هذه الدولة من جراء تحرك سياسى معين · واذا كانت العناصر الثلاث السابقة يمكن أن تكون موضوعا للقياس الرياضى والاحصائى فان هذا العنصر لا يقل أهمية عن العناصر السابقة لكنه عنصر مراوغ Elusive وغير قابل للقياس ·

والشخصية القومية وليدة عدة عوامل أهمها :

١ ـ الخبر التاريخية للشعب ، فالتاريخ عبارة عن سجل الخبرة التراكمية للأجيال السابقة ومن المحتم أن يكون الجيل الحاضر وما يملكه من خبرة ونظرته الى الأمور هو نتاج خبرة الأجيال السابقة · والماضى ليس حقيقة ميتة وانما عامل مؤثر على خبرة الأمة ونظرة شعبها للوجود ·

٢ ـ الخصائص النفسية والطابع القومى National Character عادة ما تكون ذات جذور ضاربة فى أعماق السلوك القومى فضلا عن أسلوب التفكير وطريقة التحدث · فتعرض الشعوب الروسية للغزو التترى لعدة قرون أكسبهم قدرة على مواجهة الأزمات ، وحاجة الولايات المتحدة ـ فى الماضى ـ الى اليد العاملة مع توافر الثروة أكسبهم النظرة المتفائلة وحب الحياة والمبادرة الفردية · وما يتميز به الانجليز من منطق معتدل وبعيد عن التزمت ، والألمان وما يميزهم من انضباط وطاعة للنظام ، كلها خصائص تفرض نفسها على جميع الأنشطة الفردية والجماعية ، كما تؤدى الى اختلاف معايير القيم وبالتالى اختلاف الحكم على نفس الوقائع ·

٣ ـ الاندماج الاجتماعى ·· فالمجتمع الممزق بالشقاق والصراع بين جماعاته هو أقل قدرة على القتال · وقد تصل العداوة ، الخوف وعدم الثقة بين فئاته الى درجة تفوق مثيلاتها تجاه العدو الخارجى ومن ثم تختفى ارادة القتال ·

(هـ) العنصر التنظيمى والادارى :

وهذا العنصر الخامس من عناصر قوة الدولة القومية كسابقة من غير الممكن اخضاعه للتحليل الرياضى والاحصائى ، وليس من السهل اخضاعه للقياس · فاذا كانت الحكومة لا تتمتع بالكفاية والاقتدار وكفاءة الادارة والتنظيم فانها لا تستطيع تجميع كافة امكانات الدولة لتواجه اختبار القوة مع الدول الأخرى ، ومن ثم تصبح عناصر القوة المتاحة لهذه الدولة كأن لم توجد ·

t.me/montlq

والقدرة التنظيمية على درجة كبيرة من الأهمية لقوة الدولة فهى تعنى أن ما تتقدم به الحكومة على الورق يجد طريقه للتنفيذ العملى بنفس القدرة والكفاءة التى تم التخطيط بها وتحـــديد الهدف · فالحكم على كفاءة حكومة لا يكون بدراسة برامجها وانما بما تستطيع تنفيذه على أرض الواقع ومن ثم يصبح شكل ونموذج التنظيم الحكومى ذو تأثير ضئيل على القوة القومية ، فالعبرة بالقدرة ، الفعالية والانجاز ·

فالجمهوريات ليست بالضرورة أقوى أو أضعف من الملكيات ، وقد تكون الدولة البسيطة ـ ذات السلطة المركزية ـ أضعف من الدولة الاتحادية (فيدرالية) وقد تكون الدول الملكية ديمقراطية (بريطانيا) والجمهورية واجهة لدكتاتورية فاشية (ايطاليا الفاشية) · والحكومة تأخذ شكلها وتعمل بالطريقة التى تعمل بها لأسباب عديدة ومعقدة · وهنا تظهر أهمية العوامل التاريخية ، النفسية والاجتماعية ، ذلك أن عمل الحكومة يعكس ـ بالضرورة ـ خبرة شعبها وموقفه تجاهها وما يتوقعه منها أن تفعله ·

وقدرة الحكومة على العمل والانجاز قد تتأثر بسبب القيود التى تفرضها الأحكام الدستورية على حركتها مما يعوقها عن الانجاز الذى يبرز عناصر قوة الدولة · فدستور الجمهوريتين الفرنسيتين الثالثة والرابعة أضعف من حركة الحكومة وقدرتها على اتخاذ القرارات الملائمة فى الوقت المناسب ، بسبب الاصرار على تطبيق مبدأ « المراجعة والتوازن » Check and Balance وكانت النتيجة ضعف الحكومة الفرنسية بالمقارنة الى حكومة مستقرة كالحكومة البريطانية فقد شهدت الفترة من ١٨٧٥/١٩٤٠ تولى ٢٠ حكومة بريطانية للسلطة فى بريطانيا يقابلها ١٠٢ حكومة فرنسية عن نفس الفترة ·

والجهاز البيروقراطى للحكومة يشارك الى حد كبير فى مدى قدرة الحكومة على انجـــاز أهدافها فهى الأداة التنفيذية والعملية لهذه الأهـــداف · وعادة ما تشارك ظاهرة التضارب فى الاختصاص بين فروع وادارات الوزارات الى تعقيد التنفيذ واعاقته ·

وتعتبر مشكلة الوضوح والتنسيق بين مهام أجهزة الحكومة هى أعقد مشاكل الحكومات باختلاف اشكالها ·

(و) العنصـــــر العســـــكرى :

القوات المسلحة للدولة هى بمثابة القبضة التى تعبر عن قوة الجســـد القومى للدولة وخلاصة عناصر قوته بأبعادها المتعددة · والقوات المسلحة هى

t.me/montlq

أداة الدولة فى الصدام العضوى مع الدول الأخرى لتحقيق أهدافها السياسية ٠ وتعتمد الدول على قواتها المسلحة باعتبارها الوسيلة الأخيرة من وسائل الاكراه التى تلجأ اليها لحل ما تراه من صـــراعات مع الدول الأخـــرى بهدف تحطيم مقاومتها وحملها على التسليم لها بما تريد وبما تمليه عليها لتحقيق مصالحها ٠

ويتأثر العنصر العسكرى لقوة الدولة القومية ايجابا أو سلبا بعدة عوامل هى :

١ ـ حجم القوات المسلحة من حيث العدد والعدة ٠

٢ ـ حجم القوات الاحتياطية بالنسبة للقوات العاملة ومدى القدرة على تعبئة القوات بالسرعة الممكنة فى زمن الحرب أو فى حالات الطوارىء ٠ ويلاحظ تناسب عدد السكان الذين يمكن وضعهم فى النشاط العسكرى الفعلى تناسبا طرديا مع القوة الاقتصادية والتقدم الصناعى للدولة ٠ ويرجع ذلك الى :

(أ) ارتفاع انتاجية الفرد فى الدول الصناعية مما يسمح لها بوضع عدد أكبر فى الخدمة العسكرية دون أن يتأثر جهازها الانتاجى ٠

(ب) قدرة الدولة الصناعية على انتاج وتجهيز قواتها المسلحة بامكاناتها الذاتية ٠

ولذلك نجد دولة كالصين لديها اضعاف عدد سكان الولايات المتحدة بينما نجد قدرة الأولى على تعبئة قوات مسلحة لا تصل الى قدرة الأخيرة فى تعبئة مثل هذه القوات ٠

٣ ـ نوعية السلاح والتجهيزات العسكرية Equipment فى القوات المسلحة ٠ وتتطور القوات المسلحة الحديثة بسرعة فائقة نحو التواؤم مع حرب المستقبل وهى حرب علمية تدار بالأزرار Push-button Warfare وتلعب المستحدثات الطارئة فى مجال التســـليح دورا هاما فى فعالية القوات المسلحة وبالتالى التأثير على قوة الدولة كالدور الذى لعبه اختراع الرادار ، والقنبلة النووية والصواريخ الموجهة فى قلب موازين القوى بين الدول ٠

ونخلص الى أن القوة القومية للدولة تعتمد على عدة عناصر مترابطة تؤثر كل منها فى الأخرى ٠ فالعنصر الخامس هو تخريج للعوامل الأربعة الأولى كما يعتبر العنصر الأخير هو العنصر الحاسم فى قوة الدولة ٠ واذا كان التحليل العلمى يقضى بعزل عناصر الظاهرة واخضاعها للقياس الكمى فان العناصر الثلاث الأولى يمكن أن تكون موضوعا للقياس الدقيق والعنصر السادس بدرجة

t.me/montlq

أقل بينما العنصران الرابع والخامس لا يمكن الاعتماد على التحليل فى تناولها ٠
ومن السمات المميزة لقوة الدولة هى تعرضها المستمر للتغير ايجابا أم سلبا
كما أن علاقات القوة بين الدول هى أيضا من الموضوعات التى يصعب اخضاعها
للقياس الدقيق ٠

٤ ـ القوة القومية والسياسة الخارجية :

القوة القومية للدولة تعنى الطاقة التى تتمتع بها والتى يمكنها استخدامها
لتحقيق مصالحها القومية ٠ والقوة القومية ظاهرة نسبية تعبر عن حالة الدولة
وموقفها من علاقات القوة على المستوى الأقليمى وهيكل القوة فى النظام الدولى
على الصعيد العالمى ٠ وتضع جميع دول العالم فى اعتبارها امكانية استخدامها
لقوتها فى مواجهة الدول الأخرى وامكانية استخدام الدول الأخرى لقوتها فى
مواجهتها ومن ثم كانت ومازالت مشكلة القوة هى جوهر الصراع الدولى ومحور
السياسة الدولية ٠

والدول تبنى استراتيجيتها على الصعيد الدولى كحل لمشكلة القوة وتؤسس
خطة سياستها الخارجية انطلاقا من هذه الاستراتيجية ٠ وتوجد خمس نماذج
من استراتيجيات القوة التى يمكن للدولة أن تتبنى احداها أو تجمع بين أكثر
من واحدة منها ٠ ويتوقف اختيار الدولة على مدى قوتها والظروف التى تحيط
بها والأهداف التى تسعى الى تحقيقها ٠ وهذه النماذج هى :

١ ـ الامتناع عن الدخول فى أى تحالفات دولية أو ترتيبات أمنية جماعية
على المستويين الاقليمى والعالمى ٠ وهذه الاستراتيجية تعنى أن الدولة التى
اختارتها قد اختارت أن تتصدى لمشكلة القوة بصفة منفردة ٠ وتعتبر سياستى
العزلة والحياد هما الترجمة الأكثر شيوعا لهذه الاستراتيجية ٠ ويعتمد نجاح
الدولة فى اتباعها سياسة الانفراد على عوامل كثيرة ومن أمثلة هذه الدول
سويسرا التى حافظت على حيادها أكثر من قرن من الزمان ٠

٢ ـ الدخول فى تحالفات مع الدول الأخرى أو التوصل الى تفاهم مع الدول
الصديقة للوقوف معا فى وجه العدو المشترك ٠ وهذا هو النموذج التقليدى
للتحالف الدولى المؤسس على توازن القوة ٠ واقامة التحالف لا يعنى بالضرورة
وقوع الصدام ولكن عملية التحالف تصبح أمرا ضروريا لمواجهة مشكلة القوة
لدى الدول المعنية ٠

٣ ـ الدخول فى ترتيبات نظام الأمن الجماعى وتسعى الدولة بهذا الأسلوب

t.me/montlq

الى تأمين وجودها من خلال استعدادها لتأمين وجود الدول الأخرى الأعضاء فى النظام . والأمن الجماعى يمكن أن يتم على الصعيدين الاقليمى والعالمى وهو يعنى من الناحية النظرية ضمان السلامة الاقليمية والاستقلال السياسى لجميع الدول الأعضاء فى مواجهة أى عدوان خارجى يأتى من جانب دولة أو عدة دول .

٤ ـ قيام دولة ـ نظريا ـ بتدمير قوة جميع الدول ذات السيادة أعضاء النظام الدولى ومن ثم انهاء احتمال استخدام دولة أخرى للقوة فى مواجهتها . وهو نموذج الامبراطورية العالمية .

٥ ـ التكوين الاختيارى لاتحاد فيدرالى عالمى يضم الدول القومية لكى تخضع لحكومة عالمية واحدة .

ويعتبر النموذجان الرابع والخامس (الهزيمة العالمية ، الحكومة العالمية) نموذجان نظريان لا وجود لهما على أرض الواقع كما أن النموذج الثالث لا يمكن الاعتماد عليه كحل لمشكلة القوة وان كان يعتمد عليه كوسيلة مساعدة للسياسة الخارجية للدولة والتى تهدف أساسا لمعالجة مشكلة القوة لهذه الدولة .

وتظل مشكلة القوة هى حجر الزاوية فى السلوك الدولى والسياسات الخارجية للدول . وقوة الدول الأخرى تؤثر وتشارك فى تشكيل السياسة الخارجية للدولة ذات العلاقة ، كما أن التهديد باستخدام القوة أو استخدامها بالفعل ظاهرة ملازمة لنظام الدول المتعددة Multistate System . واذا كانت القوة القومية للدولة تمثل الهدف والوسيلة لسياستها الخارجية ، فان استخدامها لهذه القوة يختلف اختلافا بينا من ناحية حجم القوة المستخدمة والدولة أو الدول التى توجه اليهم القوة ، كما يختلف استخدام القوة وفقا للظروف الدولية والداخلية واللحظة الزمنية التى تستخدم فيها القوة .

واستخدام الدولة لقوتها فى سبيل تحقيق أهداف سياستها الخارجية يتم من خلال أساليب ثلاثة رئيسية هى :

١ ـ ممارسة القوة اللاشعورية Unconscious :

وفى هذه الحالة تمتنع الدولة عن استخدام أى وسيلة من وسائل الضغط ولكن تظل القوة كامنة فى اللاشعور سواء بالنسبة للدولة التى تمارس القوة أو التى تمارس ضدها ، وغالبا ما تستخدم القوة بهذا الأسلوب لحل المشاكل الروتينية بين الدول .

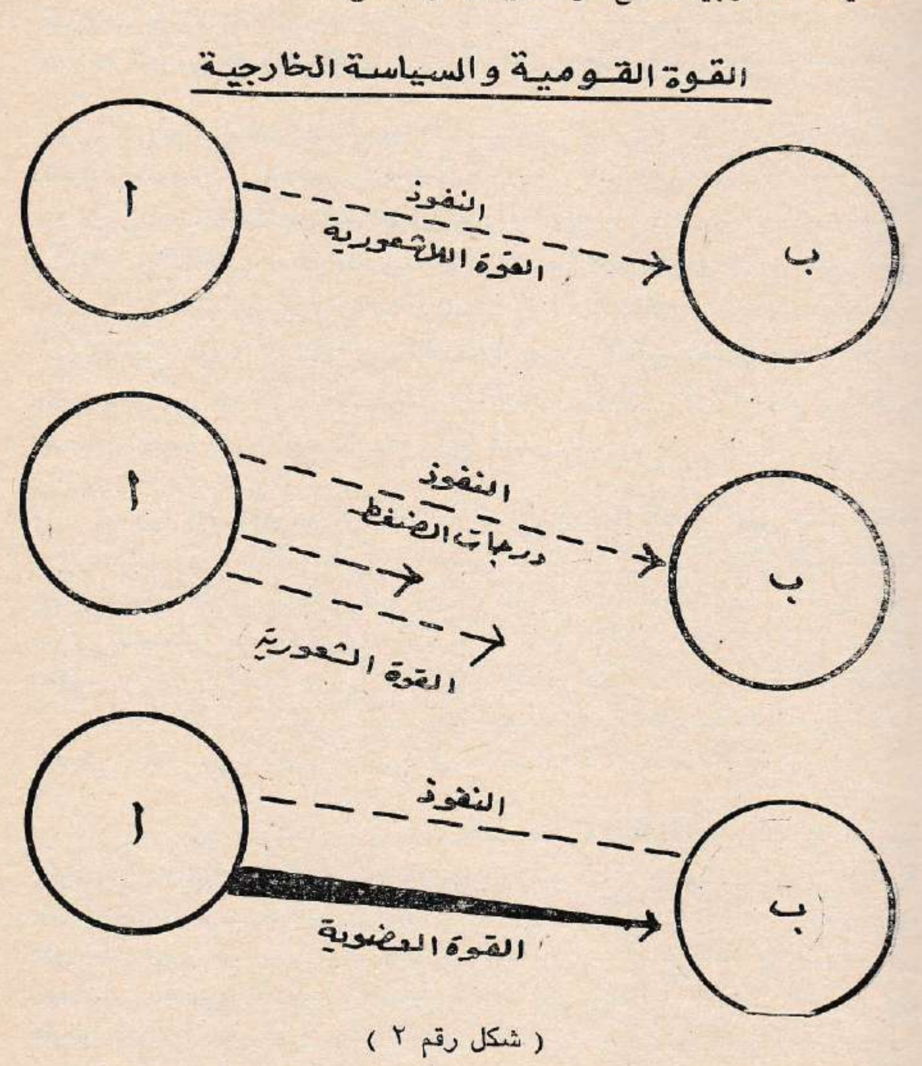
t.me/montlq

٢ ـ **ممارسة القوة الشعورية** Conscious :

وفى هذه الحالة تمارس الدولة الضغوط بكافة أنواعها دون أن يكون لديها النية أو العزم على استخدام القوة فى النهاية ·

٣ ـ **ممارسة القوة العضوية** Physical Force :

وفى هذه الحالة تستخدم الدول قوتها المادية والمعنوية معا حين تشتبك فى حرب مع دولة أخرى سواء كانت حرب معلنة أو غير معلنة أو قد يكون هذا الاستخدام فى صورة عمل بوليسى تأديبى · وهذه الأساليب لاستخدام القوة فى السياسة الخارجية تتضح من خلال الشكل التالى :



(شكل رقم ٢)

t.me/montlq

مفهوم المصلحة القومية

يستخدم مفهوم المصلحة القومية National Interest فى كل من التحليل السياسى والحركة السياسية كأداة تحليلية لوصف ، شرح ، تقويم مصادر السياسة الخارجية للدولة أو الحكم على كفايتها • والمفهوم كسند *للقرار السياسى* يقوم بوظيفة تبرير ، *أنكار أو اقتراح سياسات* معينة • وكلا الاستخدامين للمفهوم يتم فى *اطار البحث عن الأفضل للمجتمع القومى* وحماية الأمن القومى للدولة • ويعتمد قرار السياسة الخارجية للدولة على مفهوم المصلحة القومية كمنطلق فكرى ووسيلة لتحليل القرار وبيان أبعاده الحركية •

وبالرغم من أن عملية صناعة السياسة الخارجية للدول تعلن التزامها المسبق بالانسياق وراء مفهوم المصلحة القومية ، فان هذا المفهوم له عدة معانى عند الدول المختلفة كما يختلف بالنسبة للدولة الواحدة عبر فترات زمنية متباعدة • وبالرغم من اختلاف معانى المفهوم فان هناك حدا أدنى يتبلور حوله المفهوم لدى جميع الدول وهو حماية السلامة الاقليمية والاستقلال السياسى للدولة أى المحافظة على البقاء • والمفهوم بهذا التفسير الضيق يتطابق ومفهوم الأمن القومى الذى هو بدوره موضوع للتفسيرات لأن مصادر تهديد الأمن القومى ومستوى القضايا الأمنية ليست واحدة عند جميع الدول •

ومفهوم المصلحة القومية على الرغم من الجهود الفقهية التى بذلت بشأنه مازال يفتقر الى الهيكل الدقيق والمضمون المحدد • والمفهوم يبدو أكثر تحديدا كأداة تحليلية الا أن افتقاره الى الهيكل الدقيق والمضمون المحدد ينطوى على مخاطر للمحللين السياسيين فى الوقوع فى الخلط والبعد عن الوضوح • وقد اكتشف المحللون السياسيون ان معضلة المفهوم تكمن فى مشتملاته القيمية Value-Laden فهو دائما يفرض على متناوليه الاجابة على سؤال ماهو الأفضل ؟ مما خلق صعوبة أكاديمية فى استخدامه كأداة بحث دقيقة •

وبينما وجد الأكاديميون فى المشتملات القيمية والأخلاقية عائقا فى مواجهة الاستفادة العلمية من المفهوم ، وجد رجال الحركة السياسية فى هذه الخاصية ميزة مفيدة لتحديد أهدافهم ووسيلة للتعبئة والدعم لهذه الأهداف • وقد ترتب على ذلك ليس فقط ميل رجال الحركة السياسية ـ فى مناقشة أهدافهم ـ الى استخدام مصطلح المصلحة القومية وانما أيضا المطالبة باعتبار أهدافهم هى نفسها المصلحة القومية • وقد اكتسب المصطلح بمرور الوقت مكانة مسيطرة فى مجال الحوار فى الشئون العامة •

t.me/montlq

١ ـ الخلفية التاريخية للمفهوم :

بالرغم من ان مفهوم المصلحة القومية من المفاهيم الحديثة نسبيا الا أنه كسند ومبرر للقرار السياسى ذو تاريخ طويل اذا قورن باستخدامه كأداة تحليلية . فقد أوضحت الدراســـات التاريخية التى تناولت هذا الموضـــوع ان الممثلين السياسيين فى أوروبا اهتموا بالمصلحة القومية منذ مطلع القرن السادس عشر فى ايطاليا والسابع عشر فى انجلترا ولكن المفهوم اتخذ آنذاك اسماء مختلفة مثل : ارادة الأمير ، مصلحة الملكية والمبرر لتصرفات الدولة وعديد من التعبيرات الأخرى التى فقدت فاعليتها بظهور النماذج الجديدة للتنظيمات السياسية وتكامل الشخصية للدولة القومية .

وبظهور الدولة القومية بدأت التعبيرات القديمة فى الانزواء لتأخذ مكانها تعبيرات أخرى تعكس الولاء Loyality الجديد . وكان اصطلاح المصلحة القومية أحد هذه المصطلحات الجديدة الى جانب عدة مصطلحات أخرى منها : الشرف القومى **National honour** المصلحة العامة Public Interest والارادة العامة General will . وقد ذهب بعض الكتاب الى ان اصطلاح المصلحة القومية بدأ استخدامه بصورة مكثفة على يد رجال الدولة فى الولايات المتحدة منذ استقلالها وصدور الدستور الامريكى .

ولقد مرت عشرات السنين حتى جذب المفهوم الانتباه له باعتباره أداة تحليلية . ومنذ بداية القرن العشرين وقيام حربين عالميتين اتضح بجلاء ان الجماهير الشعبية تلعب دورا كبيرا فى مثل هذه الحروب ولذلك بدأ التركيز على مفهوم المصلحة القومية كأداة لشرح السياسة الخارجية ووصف أبعادها . وقد بدأت المحاولات الفقهية لتطوير المفهوم لخدمة هذه الغاية كما ظهرت الاجتهادات للتمييز بينه وبين المصلحة العامة الذى أضحى مرجعا للحكم على فاعلية السياسة الداخلية فى الدولة . ولقد أسفرت المحاولات الفقهية لتطوير المفهوم عن مولد أكثر من اتجاه فقهى بالنسبة لمضمون ووظيفة المصلحة القومية .

(أ) المدرســـة الواقعيـــة :

مفهوم المصلحة القومية ـ فى فكر أنصار هذه المدرسة ـ هو المحور الذى عليه تدور ومنه تنطلق كافة مفاهيم السياسة الدولية . بل أن هذه السياسة ليست فى نظرهم سوى العملية التى تتم بمقتضاها مواءمة فى المصالح القومية المتضاربة . والمصـــلحة القومية تحتل المقام الأول فى تحليلاتهم للوقوف على محتويات السياسة الخارجية للدولة . والمصلحة القومية ـ فى نظرهم ـ تشكل

t.me/montlq

مع البقـــاء القومى هوية واحدة هى القوة القومية للدولة التى تســمح لها بالاستمرار كوحدة سياسية • واذا نظرنا الى مكونات هذا البقاء تبين انه : المحافظة على وحدة اقليم الدولة ، مؤسساتها السياسية وبنيانها الثقافى •

وبالنسبة لهؤلاء المحللين فان المصـــلحة القومية للدولة مســـألة واقعية موضوعية ومن ثم يمكن استخدام المفهوم كقاعدة لتقويم السياسة الخارجية للدول ، ولذلك يطلق على أنصارها اسم « الموضوعيون » Objectivists وهم لا يهتمون بالجوانب المنهاجية والفلســـفية بالقدر الكبير ولا يبذلون جهدا خاصا لشرح كيف ولماذا يتطابق وصفهم للمصلحة القومية مع الواقع ؟ • فالتطابق فى نظرهم مسألة اعتقاد واقتناع شخصى وعلى القارىء أن يستنتج مفهومهم للمصلحة القومية من خلال الاستدلال والملاحظة • ويأتى هانز مورجانثو على رأس هذه المدرسة والذى يرى بأن مفهوم المصلحة القومية هو المرجع الذى يحتكم اليه ويتوجه به القرار السياسى • ويجب معرفة هدف السياسة الخارجية لدولة من خلال تعبيرات المصلحة القومية •

ويعتقد مورجانثو أن العالم طالما بقى مقسما الى دول فان المصلحة القومية سوف تظل الكلمة الأخيرة فى عالم السياسة أى جوهر العملية السياسية • والدول تسعى دائما ـ بمجرد تأمين بقائها ـ نحو تحقيق مصلحتها • ويفترض مورجانثو ان الدول لا تتجاهل مصلحتها القومية الا فى حالة واحدة فقط وهى تعرضها لخطر التدمير • ويؤكد ان المصلحة القومية هى القيمة القومية ومعيار الحركة السياسية على الصعيد الدولى •

أما بالنسبة للعناصـــر التى تشكل المصـــلحة القومية فانها تتوقف على ما يلى :

(أ) الفترة التاريخية التى تمر بها الدولة •

(ب) طبيعة الارتباط بين الأوضاع السياسية والثقافية فى الدولة •

(ج) القوة التى تستحوذ عليها الدولة مقاسة بالنسبة لقوة الدول الأخرى• فالقوة القومية للدولة هى التى تحدد الهدف الواقعى للدولة أى مصـــلحتها القومية وينصح بأن تحسب الدولة مدى ما تستحوذ عليه من قوة لأنها المعيار الوحيد الذى يجب ان يحدد الهدف للسياسة الخارجية وعن طريق هذا الهدف تتحدد المصلحة القومية لها وما يجب أن يكون •

وحذر مورجانثو من الاخفاق فى تقويم فعالية الحركة السياسية الخارجية•

t.me/montlq

فقد أكد ان هذه الحركة يجب ان تخضع للمعيار السياسى فقط . واذا كان الاقتصادى يتساءل عن تأثير الحركة السياسية على رفاهية المجتمع أو جزء منه، والقانونى عن مدى تمشى هذه السياسة مع قواعد القانون فان السياسى يتساءل دائما وفقط عن مدى تأثير هذه السياسة على قوة الدولة ؟

وأوضح أن المبادىء الأخلاقية لا يمكن تطبيقها بتجريداتها خلال حركة الدول السياسية . وان الدول تحكمها اخلاقيات تختلف عن الأخلاقيات الفردية خلال متابعتها عملية تحقيق المصلحة القومية .

(ب) المدرســـة النظـــامية :

يتناول كتاب هذه المدرسة مفهوم المصلحة القومية كأداة تحليلية ولا يبدون تركيزا كبيرا عليه كأداة لتقويم السياسة الخارجية . ومحور التحليل لديهم هو شرح أسباب حركة الدول عندما ترتبط بالنظام الدولى ؟ . ويرون أن المصلحة القومية يمكن أن تقوم بدور المختبر لمصادر السياسة الخارجية للدولة . وهم ينظرون الى المفهوم باعتباره أداة توضيحية لوصف احتياجات ورغبات الدولة التى تسعى الى تحقيقها من خلال سياستها الخارجية . وهؤلاء المحللون ينكرون وجود المفهوم كواقع موضوعى وهذه المقولة يمكن اكتشافها من واقع تحليلاتهم النظامية .

والمصلحة القومية وفقا لنظرتهم ليس بالمفهوم الموحد الذى يحمل نفس المضمون ويتم ادراكه بنفس القدر لدى مختلف أفراد وفئات المجتمع القومى . ولكنه مفهوم متعدد المضامين كما ان هذه المضامين عرضـــة للتغير المستمر وفقا للتغيرات التى تطرأ على احتياجات وتطلعات أعضاء الجماعة ويطلق على على هذا الاتجاه الفقهى اسم الاتجاه الذاتى ويوصف منظروه بالذاتيين . Subjectiviste

(ج) المدرســـة القـــرارية :

كان لظهور منهاج القرار فى السياسة الدولية أثر كبير فى دعم الاتجاه الذاتى فى تناول مفهوم المصلحة القومية ورفض النظر الى المفهوم باعتباره واقع موضوعى يقرره مستوى قوة الدولة وقدرتها على تحقيق هذه المصلحة . ويدفع هذا الاتجاه بأن مفهوم المصلحة القومية مفهوم قيمى فى المقام الأول ، اذ يفترض الاجابة على السؤال التقليدى ماذا يريد شعب دولة ما ؟ . وهذه الرغبات مهما خضعت للجدال والمناقشة تأبى أن تخضع للقياس العلمى الدقيق . وحتى لو

تم ترجمة المفهوم فى تعبيرات قوة الدولة القومية فان ذلك يفترض ان رغبات الشعب وحاجاته يمكن ان تعكس نفسها من خلال القرارات التى يتخذها صناع السياسة الخارجية وهذا أمر يصعب التسليم به دون الوقوع فى عيب التنقيص المنهاجى ٠

ويحاول القراريون – تأكيدا لما ذهب اليه النظاميون – اثبات الطبيعة الذاتية لمفهوم المصلحة القومية عن طريق التحليل الأمبريقى والدراسات المقارنة لعدد من السياسات الخارجية لتبيان مدى صلاحية المفهوم بالمنطق الموضوعى ٠

ويخلص أنصار المدرسة القرارية الى أن المصلحة القومية من الناحية الواقعية هى ما يحاول الرسميون فى الدولة الحفاظ عليه أو التعظيم من شأنه أى بتعبير آخر هى ما تقرره الدولة أو صناع السياسة الخارجية لهذه الدولة ٠

واذا كان الواقعيون ، النظاميون والقراريون يختلفون من حيث الفروض والنتائج بشأن المصلحة القومية الا أنهم يقبلون – بدرجات متفاوته – ترجمة السياسة الخارجية والعلاقات الدولية فى تعبيرات المصلحة القومية ٠

وقد تعرض مفهوم المصلحة القومية لانتقادات عديدة يمكن اجمالها فيما يلى:

١ – ضخامة المفهوم وافتقاره الى التحديد الكلى أو التصنيف الجزئى لمكوناته ٠

٢ – ان المفهوم باعتباره معيار قياسى للسياسة الخارجية غير كاف للتوضيح ٠

٣ – ارتباط المفهوم بالقيم يجعل منه كيانا أضخم من مكوناته ٠

٤ – بالرغم من الاتفاق الاجماعى سواء فى الأوساط الأكاديمية أو فى أوساط رجال الحركة السياسية فى الرغبة لتسيير السياسة الخارجية على أساس المصلحة القومية الا أنه من الصعب اعطاء معنى عملى للمفهوم ٠ فالواقع العملى يؤكد ان مختلف القادة السياسيين يعطون معان مختلفة للمفهوم ٠

٥ – ان المصلحة القومية كمفهوم يخضع عند التطبيق العملى لعدة اعتبارات هى :

(أ) الانتماء الثقافى للقائد السياسى ٠

(ب) القيم الفردية والجماعية فى المجتمع السياسى ٠

(ج) المادة العلمية المتاحة لصانع قرار السياسة الخارجية ٠

t.me/montlq

t.me/montlq

٦ـ أنه لا يمكن التسليم بأن المفهوم له صلاحية مطلقة كأداة قياسية للسياسة القومية وأن قبول الصفة الموضوعية للمفهوم أمر مرهون بشروط هى :

(أ) تمتع المجتمع السياسى فى الدول بالاستقرار .

(ب) توافر الانسجام داخل الجماعة والقدرة على التعبير من خلال المؤسسات مع وجود أدوات جيدة للاتصال داخل الجماعة السياسية .

(ج) غياب أى تأثير محلى يمكن ان يفسد تحركات وفاعلية عناصر المصلحة القومية .

أما الفترات التى يصبح فيها البقاء القومى موضع خطر ، فلا يمكن الحديث عن مفهوم موضوعى للمصلحة القومية حيث يحتدم الجدال حول اعادة تعريف وتصنيف سلم الأهداف القومية واستبعاد جزء منها من أجل دعم العوامل الأخرى المرتبطة بالبقاء والأمن القومى .

وبالرغم من الانتقادات التى وجهت الى المفهوم الا أنه يبقى كأحد المنجزات الرئيسية للمدرسة الواقعية فى السياسة الدولية ، وأحد العلامات المميزة لدراسة السياسة الدولية عقب الحرب العالمية الثانية . والواقع ان غالبية الانتقادات التى وجهت لمفهوم المصلحة القومية تنسحب على معظم مفاهيم العلوم الاجتماعية بصفة عامة . وان المفهوم هو فى الواقع تعبير عما يدور فى حلبة السياسة الدولية وليس مجرد تجريدات فكرية وتخريجات فلسفية .

والاقرار بضرورة مراعاة المصلحة القومية عند تخطيط ومتابعة تنفيذ السياسة الخارجية للدولة لا تعنى بحال اقرار ماذهبت اليه المدارس المصلحية (الواقعية ، النظامية والقرارية) جملة وتفصيلا . فماذهبت اليه المدرسة الواقعية من تأكيد موضوعية المصلحة القومية فيه مجازفة أكاديمية واقتراب بالتفكير المنهاجى العلمى الى حيز التوجه السياسى والالتزام الايديولوجى . ولكننا لا نستطيع التقليل من أهمية اعتبار القوة القومية للدولة بمثابة المرجع والمقياس لمتابعة الدولة أهداف سياستها الخارجية وعلى رأسها اعتبارات الأمن القومى والمصلحة القومية . فهذا الضابط يستطيع ان يجرد المفهوم من كثير من مشتملاته القيمية التى تدفع السياسة الخارجية للدولة بمحاولة تحقيق أهداف تتعدى طاقتها وامكانياتها .

واذا كان النظاميون ومن بعدهم القراريون قد تحاشوا الخلط بين اتباع الأسلوب المنهاجى العلمى والتوجهات السياسية والايديولوجية بعدم افتراض موضوعية المصلحة القومية ، فان قصر المفهوم على الاعتبارات الذاتية سواء لظروف النظام الدولى أو ظروف صناع القرار يتضمن أيضا اغراقا فى الذاتية

t.me/montlq

كما أغرقت الكتابات الواقعية فى الموضوعية . والباحث لا يستطيع انكار اعتبارات النظام الدولى أو الانتماء الايديولوجى والأسس القيمية لصانع القرار على طبيعة المصلحة القومية ولكن هناك فى نفس الوقت اعتبارات موضوعية تفرض نفسها على السياسة الخارجية للدولة .

ان الدراسة العلمية لكافة احتياجات الجماعة ورغبات كافة الفئات فى الجماعة السياسية على ضوء اعتبارات القوة القومية وخصائص النظام الدولى الأقليمى والعالمى يمكن أن يسفر عن محصلة لكل هذه الاعتبارات تشكل جسدا لمفهوم المصلحة القومية يمكن متابعة تنفيذه من خلال السياسة الخارجية . ومفهوم المصلحة القومية يجب ان يتواءم باستمرار مع اعتبارات الأمن القومى ويتم التخلى عن عناصره التى تشكل تهديدا للبقاء القومى ولكن الدراسة العلمية السليمة يمكن ان تجعل المفهومان يسيران فى خطين متوازيين من خلال سياسة خارجية تحقق المصالح وتحمى البقاء القومى .

مفهوم القيم القومية العليا

يوصف الصراع الدولى بأنه ظاهرة دولية تنشأ من جراء التناقض فى المصالح والقيم بين الدول المتصارعة والذى يمكن أن يقود الى صدام بين هذه الدول . والقيم فى معناها العام هى مجموعة من المثاليات والأهداف المجردة . والقيم مفهوم واسع يضم القيم السياسية وغير السياسية لكنها دائما بصرف النظر عن طبيعتها تشكل محور الدراسات والحركة السياسية . وقد ذهب بعض علماء السياسة المعاصرين الى بلورة وظيفة الدولة المعاصرة فى « الاسناد الاكراهى للقيم » .

واختلف الفقه السياسى فى تحديد مكان القيم السياسية من النظرية السياسية فقد رأى أنصار المنهاجية التجريبية بأن محور التحليل فى النظرية السياسية هو عملية التطور السياسى وما يرتبط به من أبعاد مختلفة ابتداء بالموقف وانتهاء بالقرار ومن ثم رفض استيعاب ظاهرة القيم السياسية داخل اطار النظرية السياسية . وهناك الاتجاه الفقهى المعاكس الذى يرى ان التطور السياسى لا يعدو ان يكون حركة وان الحركة لا تنفصل عن الأهداف والأخير ليس الا تعبيرا عن القيم بمعنى أو بآخر كما ان القيم ليست بالضرورة قيما اخلاقية . بينما رأى اتجاه فقهى ثالث أنه بالرغم من امكانية تصنيف القيم السياسية داخل اطار النظرية السياسية الا ان القيم فى حد ذاتها تكون مجموعة من المفاهيم وجسدا من المعرفة يشكل فى ذاته نظرية سياسية بل ان هذه النظرية – لو قبلنا هذه التسمية – تكون الجسد الحقيقى للثقافة السياسية .

t.me/montlq

والقيم السياسية هى اطار فكرى مثالى يغلف الأهداف المباشرة من الحركة السياسية ويضفى عليها سموا معينا وهو ما يسمى بأخلاقيات الحركة . وهى تعبر عن خصائص حضارية ، ففى كل جماعة وخلال كل فترة زمنيةهناك تصور عام من خلال نظام كامل للقيم لما هو مقبول أو مرفوض ، محبوب أو مكروه ، قابل للدفاع عنه أو هدفا للاستهجان . والوظيفة العقائدية هى أول الوظائف الأصلية للمجتمع السياسى المعاصر . فالدولة ليست الا التعبير القانونى للجماعة وان كل جماعة تملك مثالية يتم ترجمتها فى برنامج حركى تكون الدولة أداة تحقيقه . ولم يعد المجتمع المعاصر يقبل سوى مفهوم الدولة المكافحة ذات العقيدة السياسية .

ان الدولة المعاصرة لم تعد تقبل مفهوم الدولة العلمانية التى ترفض مبدأ الدولة العقيدية وانما أضحت الدولة التى تقبل مبدأ العقيدة . وينقسم المجتمع الدولى المعاصر الى نوعين من الدول العقيدية . النوع الأول وهو الدولة الدينية التى تقبل مبدأ العقيدة ولكنه يصير فى مفهومها عقيدة منزلة . والنوع الثانى وهو الدولة الايديولوجية وهى الدولة العقيدية التى تجعل من عامل العقيدة السياسية معيارا لوظيفتها العقائدية .

١ ـ مفهوم القيمة العليا :

القيمة العليا السياسية هى قيمة حضارية توصف بأنها اسمى من أى قيمة أخرى وتأتى فى أعلى سلم القيم وتوصف بأنها ذات طبيعة مطلقة . والقيمة العليا هى محور التصور الايديولوجى فهى بمثابة المرجع القياسى لمجموعة الأفكار والمبادىء المرتبطة بتصور العالم السياسى عندما تصل الى درجة معينة من درجات الترابط والتماسك بحيث تقدم أداة الانتقال من التجريد السياسى الى الواقع الحركى . ويفترض البناء الهيكلى لنظرية القيم وجود علاقات تصاعدية فيما بينها ومن ثم يمكن التمييز بين القيم العليا والقيم التابعة .

والقيمة العليا ـ بهذا المعنى ـ هى ذلك المبدأ الثابت المستقر الذى منه تنبع وبه تتشكل جميع القيم الأخرى أو قسط معين من هذه القيم . وتوجد حقائق معينة يتوجب على الباحث أخذها فى الاعتبار بالنسبة للسمة التصاعدية للقيم السياسية وهى :

١ ـ تبعية القيم لا تعنى الغاءها أو الاقلال من أهميتها فى الهيكل الايديولوجى .

٢ ـ التبعية لا تعنى الاقلال من أهمية قيمة سياسية فى مواجهة أخرى .

٣ ـ مفهوم تبعية القيم السياسية هو مفهوم ديالكتيكى بمعنى ان الانطلاق من قيمة عليا ثابتة لابد وان يقود الى تأكيد كافة القيم الأخرى التابعة .

t.me/montlq

٢ ـ القيم العليا الرئيسية فى العالم المعاصر :

تزداد أهمية دراسة الايديولوجيات فى العالم المعاصر نظرا لتعاظم دورها ـ عقب الحرب العظمى الثانية ـ فى احداث التغيرات الاجتماعية والسياسية فى المجتمعات القومية وعلى صعيد السياسة الدولية · ويتجه عالم ما بعد الحرب نحو سلسلة من التغيرات الايديولوجية خاصة فى دول العالم الثالث · فقد كانت الحرب فى الماضى أداة أساسية فى اجراء التحولات وحل المتناقضات السياسية العقائدية الكبرى ، لكنها خسرت هذا الدور فى التاريخ المعاصر لما تحمله حاليا من خطر الفناء للانسانية جمعاء · وان الكثير من أشكال الصراع الدولى الحالى والمقبل قد تأخذ الى مدى طويل شكل التحولات الايديولوجية العنيفة (الثورة) · ان الثورة أصبحت وحدها تقف كأداة تغيير وتبديل · وبقدر ما تخسر الحرب من دورها بقدر ما تكسبه الثورة من أهمية اضافية ·

ان ارتباط المجتمع القومى بقيمة عليا ما هو الا صدى نزوع انسانى عميق الى الوحدة والنظام ، أنه تمرد يندفع دوما ضد كل شىء فى الكون يمثل التناقض، الفوضى والتبعثر · فالقيمة العليا هى محور فلسفة حياة شاملة تأبى المساومة وتستحيل الى حركة كفاحية مستمرة · فالانسان ليس كالحيوان ظاهرة بيولوجية فقط · ولكن هذا الكائن تجاوز ذاته وأكد انفصاله وبدأ ينمى ذاته أى حقيقته الانسانية بعد ان تراجعت الحتمية الغريزية عن سيادتها المطلقة ، وأضحى يملك قوة تجاوز مظاهر الأشياء التى يشعر بها حسيا فيدخل الى ما وراءها ويحاول الكشف عن القوة التى تسودها ·

لقد ارتبطت حركة الجماعات القومية على الصعيد الدولى ـ سواء بطريق مباشر أو غير مباشر ـ بنماذج من التفكير تحكم هذه الحركة وتحدد مسارات السلوك · وقد شهد القرن العشرين نماذج عديدة من القيم العليا التى أثرت فى مسارات السياسة الدولية · وقد تبلورت هذه القيم من مصادر مختلفة ولكنها كانت دائما ذات الأثر الغلاب سواء على صعيد الحركة القومية أو الدولية مثل : القيم الدينية ، الديمقراطية ، القومية ، العسكرية ، الشيوعية والفاشـــية · ويتميز التاريخ المعاصر بسيطرة قيم عليا ثلاث على مسار الحركة القومية على الصعيد الدولى · هذه القيم هى الاسلام ، الفلسفة الليبرالية ، والماركسية التى تجعل من العدالة ، الحرية والمساواة ، المبادىء التى تصاغ بها جميع القيم الأخرى ·

(أ) العـــدالة :

العدالة تعنى فى أبسط معانيها « اعطاء كل ذى حق حقه » أو كما يطلق عليها تعبير الأنصاف · والمفهوم بهذا المعنى يفترض ـ كما يذهب سيمل ـ تحديد

t.me/montlq

معنى الحق لأننا لا نستطيع ان نحدد ما يستحقه الشخص قبل ان نحدد ما ينبغى أن نعطيه له • على أن الفقه ـ فى جانبه الأعم ـ يرى أن المفهوم يعبر عن افتراض ذو سمة مطلقة • فالعدالة كمفهوم يقتضى وجودها توافر أركان ثلاثة هى :

١ ـ الحقيقـــــــة •

٢ ـ العمـــــومية •

٣ ـ المساواة فى المعاملة للحالات المتساوية •

وهذه الاركان تعطى الصفة العالمية لمفهوم العدالة بصرف النظر عن الانتماء الحضـــــارى •

ويؤكد رادبروخ Radbruch أن حقوق الانسان هى أحد مشتقات مفهوم العدالة ولكنه يضيف ان هذه الحقوق لا يمكن توفيرها دون ان تتوافر الشروط التـــــالية :

١ ـ المعاملة المتساوية لكل ماهو متساو •

٢ ـ توافر المنفعة التى تحقق العلاقة المعقولة بين الاجراءات والأهداف •

٣ ـ التأكد من أن كل شخص يستطيع ان يعرف مسبقا النتائج القانونية لتصـــــرفاته •

لقد كان اصطلاح العدالة موضع اهتمام الفقه السياسى فى جميع مراحله فقد جعل أفلاطون المفهوم محورا يدور حوله الحـــديث فى مؤلفه الأســـــاسى « الجمهورية » وكرر شيشيرون التقاليد الأفلاطونية ومن الأخير عبر المفهوم الى الحضارة الكاثوليكية • ولكن المفهوم خلال هذه المراحل لم يكن سوى مفهوم ـ مع مفاهيم أخرى ـ يلقى اهتمام الفقه السياسى • ويرتفع المفهوم ليصل الى مستوى القمة فى الحضارة الاسلامية التى جعلت من مبدأ العدالة المحور الذى يسيطر على جميع أبعاد الحركة والذى يتحكم فى جميع أبعاد التطور • وقد أصبح مبدأ العدالة فى الاسلام هو الهدف الأسمى الذى تسعى الجماعة السياسية الى تحقيقه كما يمثل الهدف الثابت والقيمة العليا للنظام السياسى •

واذا تميزت كل حضارة بسمة فان سمة الحضارة الاسلامية هى العدالة فالعدالة شعاره وخاصته ، وهى الميزان المستقيم الذى يحدد العلاقات بين الناس فى حال السلم ، وحال الحرب ، فهى القسطاس المستقيم الذى به توزع الحقوق ، وبه تحمى الحقوق ، وبه ينتظم الوجود الانسانى •

ولقد اهتمت الفلسفة الاسلامية بمفهوم العدالة وكان محورا لفلسفة أهم

t.me/montlq

الفرق الاسلامية التى أدخلت الفلسفة فى التاريخ الاسـلامى مثل : الخوارج ، المعتزلة ، الاشعرية ، الشيعة والمرجئة · وكانت المعتزلة هى أهم الفرق الاسلامية التى أولت موضوع العدالة أهمية خاصة فى التناول الفلسفى ·

والعدالة كقيمة عليا فى الاسلام لها صفة الاطلاق من حيث الزمان ، المكان والموضوع · فهى حق لأعداء الدولة الاسـلامية كما هى حق لأوليائها وينهى الاسلام أن تحمل العداوة على الظلم فان العدل مع الأعداء أقرب للتقوى · وان كانت العدالة معيار الحركة الاسلامية فى وقت السلم فهى أيضا المعيار فى زمن الحرب ·

(ب) الحـــرية :

تعتبر الفلسفة الليبرالية هى الأساس الفلسفى للحضارة الغربية · وقد جعلت هذه الفلسفة قيمة الحرية هى القيمة العليا السياسية التى تتشكل على أساسها كافة القيم الفردية والجماعية فى الجماعة السياسية · وتجد هذه القيمة أساسها فى أغوار التاريخ الأوروبى حيث رسم معالمها الفكر الأغريقى القديم ·

ويعتبر جيرمى بنتام ، جون ستيوارت ميل ، هربرت سبنسر ، سومنر من أهم دعاة هذه الفلسفة · ولقد عالج ميل مفهوم الحرية فى كتابه بهذا الاسم انطلاقا من اعادة صياغة نظرية المنفعة لجيرمى بنتام حيث يرى ان الفرد هو الحكم النهائى والوحيد على كل ما يقوم به من أعمال وجادل بأن تاريخ العالم ليس سوى صراع بين نزعة الحرية وحب السيطرة · وطالب بأن يكون للفرد السيادة المطلقة على نفسه ، جسمه وعقله ، ابتداء من حرية الضمير بما فى ذلك حرية العقيدة والتفكير وابداء الرأى ومرورا بحرية الذوق والعمل وانتهاء بحرية التجمع بين الأفراد ·

والحرية تمثل بالنسبة للحضارة الغربية نظرة شاملة للوجود الانسانى بأسره · ويؤكد لافل Lavelle ان وجود الذات لا يمكن ان يعرف الا بأنه وجود حرية · ويرى « دى بيران » ان من ينكر حريته انما ينكر فى الحقيقة انسانيته ان لم نقل وجوده نفسه · فالحرية هى الشعور بالذات أو الآنية وهى ليست حالة بل هى فعل وهذا هو السبب فى ان الحرية لا تنفصـل مطلقا عن المسئولية التى نستشعرها ازاء ذواتنا · والحرية هى الوجود الانسانى فهذا الوجود ــ فى تصورها ــ هو فى جوهره وجود شخصى لا ينفصل عن فعل الحرية الذى به اختار نفسى وأحدد مصيرى ·

ويرى يسبرز أن الحرية هى جوهر الوجود الماهوى · وعالج كيركيجور

t.me/montlq

قضية الارادة والحرية وخلص الى أن فعل الحرية ناشىء من ارادتى للحرية . فالحرية ليست شيئا يحتاج الى برهان يكفى أن أقرر أننى حر كيما أكون حرا . أى أن هناك وحدة بين الوجود والاختيار فالوجود هو اختيار للذات .

والحرية كقيمة سياسية تفترض وجود نظام سياسى يسمح بالمشاركة الفعلية من جانب الطبقة المحكومة فى تسيير دفة الحكم ، وأن سلطة الأمة أو السيادة الشعبية فى النهاية هى سلطة المواطن . فالحرية السياسية تفترض تمركز الوجود السياسى حول المفهوم السياسى للوجود الفردى . وتترجم قيمة الحرية كقيمة عليا سياسية تمثل محور الحركة القومية السياسية ، فى صورة مجموعة من القيم السلوكية أهمها : الحرية الاقتصادية ، الانتخاب كوسيلة لاختيار الطبقة الحاكمة ، التنوع الوظيفى للسلطة ، سيادة القانون ، تعدد الأحزاب السياسية ، حرية الصحافة والحرية الاعلامية ، الحرية الثقافية ، الحرية الاجتماعية (أهمها حق العمل ، حق المسكن ، الحد الأدنى للأجر) وحق الاضراب .

وتنعكس قيمة الحرية كقيمة عليا سياسية على الحركة السياسية الدولية فتنادى الدولة بقدسية الاستقلال السياسى وعدم التبعية لدولة أخرى . كما تنعكس هذه القيمة العليا على جميع القيم الأخرى فتجعل منها قيما تابعة تتشكل وتصاغ على هدى من الحرية كقيمة عليا سياسية تحكم الحركة القومية . ومن أمثلة القيم السياسية التابعة فى مجال الحركة السياسية الدولية قيمة الأمن القومى التى تصبح فى اطار قيمة الحرية مفهوم يسعى لاتاحة الظروف للمجتمع القومى ان يمارس حريته داخليا وفى نفس الوقت يعمل على حفظ حق هذا المجتمع فى البقاء مستقلا دون تبعية لأية قوة أجنبية .

(جـ) المساواة :

المساواة هى القيمة العليا السياسية التى تتربع على قمة البناء القيمى الهرمى للمذهب الماركسى كما تمثل محور الحركة القومية للدول التى تعتنق هذا المذهب . وهذه القيمة هى خلاصة الفلسفة الماركسية من خلال النتائج التى توصلت اليها نظريتى التطور الديالكتيكى والتفسير المادى للتاريخ .

وخلاصة المذهب ان انتاج أسباب الوجود يتم ـ بعد فترة بدائية من الاقتصاد الجماعى ـ على الشكل الاجتماعى للصراع بين الطبقات السائدة المستغلة وهى التى تملك وسائل الانتاج وبين الطبقات المسودة المستغلة وهى المضطرة لأن تبيع قوة عملها حتى تعيش وذلك فى النظام الرأسمالى . وطبقا للتطور التاريخى والمنطق المادى الديالكتيكى فان هذا النظام يحتوى على قوى

t.me/montlq

وعوامل «متناقضة» تعمل داخله ويؤدى تناقضها الى القضاء عليه فى النهاية . ويرى هذا المذهب ان الهدف النهائى من التطور الاجتماعى هو القضاء على المجتمع ذى الطبقات والاسراع به الى نهايته المحتومة وهو المجتمع الشيوعى الذى تختفى فيه كافة صور الظلم وعدم المساواة وتتحقق فى ظله المساواة المطلقة .

والمذهب الماركسى من الناحية السياسية مذهب عقائدى يتناول الظاهرة السياسية من حيث الكليات ويرى بتبعيتها - كبقية الظواهر الأخرى - للظاهرة الاقتصادية باعتبارها صورة من الهيكل المحدد للمجتمع . ويدعو ماركس الى ضرورة ادراك الأشياء فى علاقاتها الارتباطية بغيرها . ومعنى ذلك ان ماركس يرجع جميع عناصر تطور الانسان الى العامل الاقتصادى ويصل الى عدة نتائج رئيسية هى :

١ - رفض الضمير الانسانى : يرى وجود عالم مستقل عن كل عقل وكل شعور انسانى ومطلق وهذا العالم كان يوجد قبل العقل الانسانى . ولا توجد روح مطلقة بدون مادة (الله) ، كما لا توجد مادة مطلقة بدون روح (كما فى مادية القرنين السابع والثامن عشر) بل توجد مادة فى حالة تطور مستمر . ولا يوجد جوهر هو كائن موجود بذاته يبقى فى حالة لا يتغير .

٢ - يجعل من الحرية الانسانية حرية مقيدة .

٣ - يعطى معنى خاص للفكرة الأخلاقية .

٤ - المساواة هى الوسيلة الوحيدة للقضاء على التناقض وهى القيمة العليا التى يسعى المجتمع الى تأكيدها على جميع الأصعدة .

٣ - القيم العليا والصراع الدولى :

القيم العليا السياسية تأخذ مكانها بصفة دائمة على قمة الهرم القيمى للجماعة السياسية . ويتكون هذا الهرم القيمى من مجموعة من الافكار ، المفاهيم والمبادىء المرتبطة بتصور العالم السياسى بعد أن يتحقق لها درجة معينة من الترابط التماسك بحيث تقدم أداة الانتقال من التجريد السياسى الى الواقع الحركى . وهذه الأفكار ، المفاهيم والمبادىء التى حققت التماسك الفكرى فى شكل نسيج مترابط تكون بمثابة ترجمة من عالم الفكر الى عالم الواقع ، تطلق عليها تعبير أيديولوجية . ومن ثم تصبح القيمة العليا السياسية التى تعتنقها الجماعة بمثابة محور البناء الايديولوجى لهذه الجماعة كما أنها فى نفس الوقت

الأســـاس المرجعى لكل المضـــامين الايديولوجية الأخـرى التى تحتم عليها أن تصاغ وتتشكل وفقا لاعتبارات القيمة العليا ٠

وتمارس الأيديولوجية تأثيرا كبيرا على مسار الحركة السياسية الداخلية والخارجية للدولة ٠ ويصف البعض الدوافع الأيديولوجية بأنها مجرد أسانيد عقلية لتبرير الســـياسات الملتزم بها لأغراض أخرى ٠ ويجادل آخرون بأن الأيديولوجية عامل حاسم فى اقرار التوجهات الرئيسية للسياسة الخارجية ، وأيا كان المدى الذى يمكن أن تصله تأثيرات الأيديولوجية فمن المؤكد أنها أداة أساسية لشن الحروب المعنوية ٠

ان دراسة الصراع الدولى لا يمكن أن تكتمل دون تناوله ضمن اطار أوسع يضم المعركة الكبرى الدائرة بين القيم العليا والنظم الأيديولوجية والدينية التى تستحوذ على هؤلاء البشر بجميع فئاتهم ٠ فمن الممكن دراسة الصـــراع بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى باعتباره صراع بين دولتين قوميتين من أجل الاستحواذ على القوة النسبية ، السيطرة أو الدفاع دون الاشـــارة الى الأوضاع الايديولوجية والقيمية للدولتين ٠ ولكن هذه الدراسة لن تكون متكاملة اذ أن جميع الصراعات التنظيمية بلا استثناء لها مضامين ايديولوجية٠ فالصراع بين الدولتين ليس مجرد صراع بين قوتين عظميين وانما صراع بين ايديولوجيات مختلفة أيضـــا ٠ وعندما يتم ترميز Symbolize المضامين القيمية لهذه الأوضاع الايديولوجية فان الصراع بين الدولتين يصـــل فى حدته الى الدرجة القصــــوى ٠

والمعتقدات الأيديولوجية للسكان فى دولة ما لها أهمية حيوية فى تقدير ما اذا كانت هذه الدولة سوف تلجأ ـ من أجل حماية وضعها الدولى ـ الى اتباع سياسة خارجية توسعية أو انعزالية ٠ ويمكن اجمال الآثار التى تمارسها القيم العليا والدوافع الايديولوجية للدول على العلاقات الدولية فيما يلى :

١ ـ ان التناقض الايديولوجى بين دولتين أو أكثر على الصعيد الدولى يمكن أن يكون فى حد ذاته مصدرا للصراع بين الدول ٠

٢ ـ ان الصراعات الدولية التى تنشأ من أسباب غير قيمية يمكن أن تصل الى ذروتها بسبب الخلافات والتناقضات الايديولوجية ٠

٣ ـ ان التشابه الايديولوجى يمكن أن يزيد من درجة التعاون الدولى ولكن ليس بالضرورة أن يؤدى التناقض الايديولوجى الى الصدام وعدم التعاون ٠

t.me/montlq

t.me/montlq

٤ ـ ان المفاوضات الدبلوماسية تتأثر بأسلوب مباشر بالمعتقدات التى يدين بها رجال الدولة الذين يديرون هذه المفاوضات ٠

٤ ـ الصـــــراع الأيديولوجى :

حفل التاريخ الحديث بالصـــراعات الدولية الايديولوجية التى أدت الى الصدام الدامى ٠ وخلال القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين كان الطابع الدينى هو السمة الغالبة على الصراعات الدولية فى أوروبا ٠ فقد انقسم المتصارعون الى كاثوليك وبروتستانت وكانت الحقيقة الدينية هى جوهر الصراع الدولى خلال ذلك العصر ٠ فقد كانت الايديولوجية الدينية هى العامل ذا الأهمية الكبرى فى الصـــراعات الدولية حتى توقيع اتفاقية وســتفاليا عام ١٦٤٨ م وتأسيس الدولة القومية الحديثة ٠

وبالرغم من قيام الدولة القومية على أساس فصل الدين عن الدولة فان بعض الكتاب يجادل بأن العامل الدينى لم يفقد طابعه الغلاب على طبيعة الصراع الدولى المعاصر ٠ وينظر هؤلاء الكتاب الى الحرب العالمية الأولى بأنها كانت صراعا بين بروتستانت بريطانيا وكاثوليك فرنسا وايطاليا ، وارثوذكس روسيا وشنتو Shinto اليابان متحالفين ضد بروتستانت وكاثوليك المانيا ، كاثوليك النمسا ، أرثوذكس بلغاريا ومسلمى تركيا ٠

ويرى بولدنج أن الخلافات الايديولوجية بين الدول تزداد تفاقما وتظهر بطريقة مباشرة على الصراع بينها فى حالة وضع هذه الخلافات فى الأطر النظامية للصراع كالقوة المسلحة ٠ ويرى أن اختفاء ظاهرة الحروب الدينية فى التاريخ المعاصر لا يرجع ـ بالضرورة ـ الى انهيار فى التفضيل الدينى والحماسى للدين بين الشعوب وانما بسبب فصل الدين عن الدولة ٠ واذا كان الدين لم يعد أحد المصادر المباشرة للصـــراع الدولى المعاصـــر فان أهمية الدين لن تقل ولكن الصراعات الدينية تحولت الى مسارات أخرى للتعبير عن نفسها ٠ وينظر بعض الكتاب الى الصراع الهندى الباكستانى على أنه نموذج للصراع الدينى فى التاريخ المعاصـــــــر ٠

والصراع الدولى بين الشـــرق والغرب تميز بالطابع الحاد عقب الحرب العالمية الثانية بسبب حقن الصراع بجرعات متزايدة من المضامين الأيديولوجية فى صورة مبادىء ذات صبغة عالمية ولكنها متناقضـــة ٠ وبالرغم من امكانية الاحساس بتزايد حدة الصراع الايديولوجى بعد الحرب العالمية الثانية وخاصة خلال حقبة الخمسينات فان اخضاع هذا الصراع وتأثيراته للقياس الكمى أمر غير ممكن ٠

t.me/montlq

والصراع الايديولوجى بين الدول يتخطى العوامل والحدود القومية بين هذه الدول كهويات مستقلة ليصل الى الجسد القومى لهذه الدول . فالناس عادة ينقسم ولاءهم الىشطرين الأول ويكون فى صورة الولاء القومى والثانى فى صورة الولاء للفلسفة الذاتية والمعتقدات التى ينتمون اليها . وبالرغم من قوة تأثير الولاء القومى الذى يستأثر بغالبية السكان فان هناك معتقدات الأقلية التى تمثل تحديا لا يستهان به للحركة السياسية القومية وقدرة النخبة الحاكمة فى صناعة قرار السياسة الخارجية والداخلية علىحد سواء .

والخلاف الايديولوجى بين الدول له خاصية الانتشار السريع . فالخلاف بين دولتين عادة ما يكون ذريعة لتدخل أطراف فى الصراع وبذلك يتحول الصراع الثنائى الى صراع دولى أكبر ويسرع بخلق أزمة دولية وقد يؤدى الى التدخل فى الشئون الداخلية للدول بدعوى دعم المشاركين فى العقيدة .

طبيعة الصراع الايديولوجى :

توصف ظاهرة الصراع الايديولوجى بأنها عملية ديناميكية بسبب التغير والتبدل المستمر عبر الزمن فى المضامين الايديولوجية . ويتحرك بندول الصراع الايديولوجى بسرعة ليصل الى أقصى حركته مع صعود وسيطرة قيادة كرزماتية للحركة السياسية فى الدولة .

والصراع الايديولوجى ذو طبيعة بيئية Ecological وتنظيمية . فالملاحظ أن أية ايديولوجية تشاهد نموا فى عدد مؤيديها ــ من الناحية الجزئية على الأقل ــ عن طريق الزيادة الطبيعية فى الأسرة ، فالطفل الكاثوليكى يكون عادة من أب كاثوليكى وينتمى المسلم لأب مسلم .. وهكذا . كما يلاحظ نمو الايديولوجية عن طريق الانتشار والعدوى Infection ويعتريها الهرم والذبول بمرور الزمن أو بانتشار ايديولوجية أخرى .

ونظرا لكون الايديولوجية ظاهرة قيمية تعتمد بصفة أساسية على المعتقدات فان استخدام أساليب المناقشة والمجادلة لا تجدى فى التوصل لأسباب انتشار ايديولوجية معينة واندثار أو ضعف أخرى . فقد يتحول الفرد عن ايديولوجية الى أخرى بسبب الزواج أو اعتبارات القوة والهيبة فى مجتمعه . ومع ذلك فان انتشار أو قوة الايديولوجية ليست ظاهرة تحكمية أو جغرافية ، فان هناك بعض المعايير التى تتحكم فى طبيعة الايديولوجية وهى :

١ ــ ان الايديولوجية الضعيفة يمكن أن تنتشر بسرعة واتساع اذا لم تواجه بمعارضة أو عقبات .

t.me/montlq

٢ ـ ان قوة الايديولوجية والقيم العليا التى تعتنقها السياسة الخارجية لدولة ما تعتمد الى حد بعيد على مدى تعبير هذه الايديولوجية عن حضارة وثقافة المجتمع النابعة منه ٠

٣ ـ تزداد قوة الايديولوجية ومقاومتها للايديولوجيات المعادية اذا أتيح لها وسائل عديدة من التعبير التى تأخذ شكل التنظيمات والمؤسسات مثل :

(أ) قيام معاهد دراسية ومدارس ليتسنى نشر رموز وبواعث الايديولوجية

(ب) احتلال الايديولوجية لوكالات وأحزاب سياسية تتبنى الدفاع عن هذه الايديولوجية ٠

ويفترض كنيث بولدنج أن قوة أى ايديولوجية تعتمد على متغيرين أساسيين همـــا :

١ ـ كثافة وتركيز الايديولوجية Intensity ٠

٢ ـ جاذبية الايديولوجية Appeal ٠

فالايديولوجيات العالمية توصف بأنها ايديولوجية تفتقر الى الكثافة والتركيز لكنها تتمتع بدرجة عالية جدا من الجاذبية ٠ وهذه الســـمة فى الايديولوجيات العالمية أكســـبتها القبول العام ولكن فى نفس الوقت لا نجـــد فردا واحدا على اســـتعداد لحمل أعلامها أو القتال من أجلها ٠ فالعلاقة بين متغيرى الكثافة والجاذبية للايديولوجية هى دائما علاقة وظيفية عكسية ٠ وعلى ذلك يمكن القول أن قوة ايديولوجية ما هى محصلة كثافة وجاذبية هذه الايديولوجية ٠ وهذا ما يفسر أن أقوى الايديولوجيات هى التى تملك درجة الاعتدال من حيث التركيز والجاذبية ٠

ويلاحظ أن الأديان والحركات العمالية تبدأ كحركات تتصـــف بالـــكثافة والتركيز ثم تسعى فى مرحلة انتشارها الى محاولة استيعاب أطراف عديدة حتى يتسنى لها الجاذبية الضرورية لانتشارها ٠ ومن العناصر الهامة فى ديناميكية الصراع الايديولوجى كيفية نشوء وتكوين الايديولوجية الجديدة ٠ وهذه النشأة تتم بأحد طرق ثلاثة هى :

١ ـ التحول الايديولوجى المفاجىء لشعب معين عن طريق صعود قائد كرزمائى الى قمة القيادة السياسية فى الدولة ٠

٢ ـ التفـــاعل المتبادل بين ايديولوجيات قديمة بحيث تظهر ايديولوجية

t.me/montlq

جديدة هى نتاج عدة عناصر من كلا الايديولوجيتين وتصبح هذه الايديولوجية الجديدة بمثابة تخـــريج لتفاعل الايديولوجيتين القديمتين • ويطلق على هذا الأسلوب النموذج الجينى لما له من صلة قرابة بعملية التكاثر الجنسى فى العالم البيولوجى •

وهذه العملية التفاعلية التى تتم بين الايديولوجيات القديمة تتمشى مع العملية الديالكتيكية التى ارتبطت باسم هيجل وماركس حيث تظهر الايديولوجية الجديدة كنتيجة للصراع بين فكرتين قديمتين • والايديولوجية الجديدة ليست ميلادا جديدا تماما وانما تأخذ صورة تعديلات على ايديولوجية قديمة ومثال ذلك النظم الرأســمالية الحديثة فى أوربا والولايات المتحدة التى تولدت تحت ضغط الافكار الماركسـية حيث أصــبحت تتضمن ســمات كانت غريبة على الرأسمالية القديمة مثل الضرائب التصاعدية ، الأمن الاجتماعى ، الصــحة العــامة •• الخ •

٣ ـ نموذج الابتعاد المتبادل وهو نموذج من نماذج التفاعل الايديولوجى فهنــاك ايديولوجيات لا يمكن أن تعيش الا على وجود أعداء كالايديولوجية الشيوعية والايديولوجيات العسكرية فلا يتصور استمرار الايديولوجية الشيوعية دون وجود عدو خارجى لها • والتفاعل الذى يتم فى هذا النموذج هو ابراز الخلافات الايديولوجية بصفة مستمرة لتقوية هذا النوع من الايديولوجيات •

وتقدم لنا نظرية المعرفة المنطقية Epistemology تفسيرا لطبيعة الصراع الايديولوجى من خلال العملية الاعلامية التى تتخذ مسارات ثلاثة هى :

١ ـ العملية التسلطية

٢ ـ العملية الســياسية

٣ ـ العملية العلمية

وترى أن العملية الأولى مفروضة أى أن الشخصية المتسلطة تقوم بفرض المعلومة كما تدركها لا كما تتصورها الذات المستقبلة لهذه المعلومة • والعملية الثانية توصف بأنها جامدة Rigid أى أن الذات المستقبلة تقبل ادراك وتصور المعلومة على ضوء منطلقاتها القيمية • أما العملية الثالثة فان الادراك والتصور يصير فرديا أى كما يراه الفرد ذاته •

وتحاول هذه النظرية أن ترد الصراع الدولى برمته الى الخلافات الناشئة من اختلاف محتويات ومفاهيم الكلمات لدى الأطراف المتصارعة والتى تؤدى ـ

t.me/montlq

فى اعتقادها ـ الى الصدام بين الدول · وترى أن حل الصراعات الدولية يكمن فى ايجاد الحلول الكفيلة بنقل تصور الشخص الى الآخرين دون حدوث هذه الاختلافات · وهذه العملية الانتقالية هى عملية معقدة تجعل من الضرورى القيام بمراجعة شاملة للعملية الاعلامية والقضاء على ما يحيط بعملية نقل الرسالة من تشويش نظرا لاعتمادها على مدركات المرسل والمستقبل ·

ويختلف بعض المفكرين مع ماذهبت اليه هذه النظرية لأن الصراعات الدولية انما تنشأ نتيجة وجود تناقض حقيقى فى مصالح الدول المتصارعة وليس مجرد اختلاف فى مفاهيم الكلمات ومن أهم الاتجاهات المعارضة لهذه النظرية المدرسة الوضعية المنطقية Logical Positivism · والحقيقة أن الصراع الايديولوجى ينشأ من اختلاف النظم القيمية بين الدول المتصارعة ·

الشرعية ، التدخل والعدوان

تجرى السياسة الدولية فى اطار النظام الدولى المعاصر المستند الى نظام الدولة القومية واحتياجات استمرار هذا النظام · غير أن هناك دائما الأهداف الذاتية لكل دولة على حدة التى لو أمكنها تحقيقها سوف تحرم دول أخرى من احتياجاتها مثل : الاستيلاء على الأراضى ، السيطرة على الموارد وممارسة النفوذ على أيديولوجيات وسياسات الدول الأخرى ·

وهناك بعض من احتياجات الدول التى يمكن تلبيتها من خلال التعاون بين النظم والدول أو من خلال المؤسسات الوظيفية الدولية والمعاهدات باتباع أسلوب التعاون والتنسيق بين أنشطة الدول المختلفة · ولكن يوجد ـ أيضا ـ التنافس ، العداء والصراع من أجل القوة بين الدول حيث يتعذر تحقيق التعاون أو التنسيق عندما تسعى هذه الدول لتحقيق هدف واحد لا يمكن تجزئته ·

ان دراسة السياسة الدولية وممارسة العملية الدبلوماسية كان ومازال وجهتها الرئيسية نحو ابتداع الطرق والتوصل الى وسائل السيطرة على صراعات المصالح بهدف منع استخدام العنف أو التهديد باستخدامه بين الدول والقضاء على ظاهرة العدوان فى العلاقات الدولية · وهذه الطرق وتلك الوسائل تفترض الالمام المسبق بالظروف التى تدفع بالدول نحو محاولة تحقيق أهداف تؤدى الى حرمان دول أخرى أو نظمها من احتياجاتها ·

ان استقراء الأحداث الدولية يؤكد حتمية مواجهة الدولة لظروف تشعر

[illegible] المجتمعات التقليدية أو البدائية كانت تخضع [illegible]

Authoritarian يتولاه قائد سياسي أو [illegible]

[illegible] لحكم وراثى ومع ذلك فقد كانت السلطة

[illegible]

[illegible] السياسية للحكام دون تغير ٠

[illegible] القرن العشرين الى تغييرات جذرية فى

[illegible] على ذلك ظهور احتياجات جديدة فى

[illegible] هذه المطالب طلب الاستقلال القومى

[illegible] الضرورية الداخلية ٠ وقد عكست هذه

[illegible] التى تجد أصولها فى الغرب ٠ وقد أدت

t.me/montlq

t.me/montlq

ويثير بعض الكتاب ارتباط ظاهرة العدوان الدولى بالمصاعب التى تواجهها الدولة داخليا ومتابعة مصالحها القومية خارجيا دون ان يكون سلوك الدولة ذا طبيعة عدوانية بالضرورة ٠

١ ـ الشرعية الدولية :

يوجد فرق كبير بين ما يوصف بأنه قانونى أو متمشى مع القانون وبين ما هو شرعى Legitimized أو قيمى فى حد ذاته ٠ فقد يكون هناك عمل يعد اتيانه خرقا للقانون بينما ينظر اليه من جانب آخر على أنه عمل مدعم بالشرعية ٠ ويعتبر تحديد ما هو شرعى أمر ضرورى للتفرقة بين التدخل والعدوان فضلا عن اماطة اللثام عن طبيعة الصراع الدولى ٠

وترتبط الشرعية السياسية ارتباطا وثيقا بمستويات المشاركة فى العمليات السياسية التى تتم بمقتضاها عملية اسناد القيم والمصالح فى المجتمع٠ واذا كانت القيم مرتبطة بالهيكل والتطور الاجتماعى فان المشاركة سوف تساعد على توضيح أبعاد التطور ومعالم الهيكل الاجتماعى ٠ وتعتمد الشرعية على مدى الاستجابة لاحتياجات الجماعة ومرحلة التطور بصرف النظر عن شكل بناء الهياكل والأطر النظامية ٠ وقد كان فشل بعض قادة الاستقلال فى الدول الجديدة فى الاستجابة لهذه الاحتياجات اللازمة للمحافظة على الاستقرار والرفاهية ، ان تداعت وضعيتهم الشرعية ٠

وتعتبر ظاهرة التغير التى تعترى مطالب المؤسسات والأفراد بسبب التغير الذى يعترى القيم والظروف المحيطة ، هى المتغير الأصيل الذى يتحكم فى مستوى الشرعية السياسية ٠ فالمجتمعات التقليدية أو البدائية كانت تخضع ـ فى الغالب الأعم ـ لحكم تسلطى Authoritarian يتولاه قائد سياسى أو مجموعة قليلة من الأفراد وفى بعض الأحيان يخضع لحكم وراثى ومع ذلك فقد كانت السلطة السياسية شرعية ٠ ويرجع ذلك الى عدم وجود تغير فى القيم كما أن التغيرات الطفيفة التى تعترى المحيط الاجتماعى تبقى فى اطار قدرة النظام الاجتماعى على امتصاصها ، ومن ثم تبقى قواعد الحركة السياسية للحكام دون تغير ٠

وقد أدت الثورات التكنولوجية فى القرن العشرين الى تغييرات جذرية فى أوساط المجتمعات المعاصرة ٠ وقد ترتب على ذلك ظهور احتياجات جديدة فى صورة مطالب مادية وقيمية ٠ وكان من أبرز هذه المطالب طلب الاستقلال القومى لشعوب المستعمرات والمطالبة بالتغيرات الضرورية الداخلية ٠ وقد عكست هذه المطالب تغير ملموس فى القيم النظامية التى نجد أصولها فى الغرب ٠ وقد أدت

t.me/montlq

هذه التغيرات الى أن تفقد كثير من السلطات الحاكمة فى الدول الحديثة جزءا كبيرا من شرعية سلطاتها وهياكلها النظامية التى كانت تتمتع بالقبول العام على مدى قرون ·

والتغيرات التى اعترت النظم المعاصرة قد اجبرت بعضها الى أحداث نوع من التغيير فى القيم دون ان يواكبه تغيير فى توزيع السلطة · وقد أدى ذلك الى ظهور اللاشرعية · فالتغير فى القيم لابد وأن يصحبه تغير فى هيكل السلطة فى النظام ومثال ذلك : اذا اضطر حزب سياسى ان يغير - تحت ضغط أسباب دينية ، مالية أو غيرها - من قيمه جزئيا أو كليا دون ان يغير فى توزيع السلطة داخل الحزب فان ذلك لابد وأن يقود الى اضطراب هيكلى داخل نظام الحزب ويقود الى صراع بين أعضائه الأمر الذى يجعل من قيام مجموعات منشقة عن الحزب من داخله أمر كبير الاحتمال ·

وعلى صعيد النظام السياسى قد تحاول السلطة الحاكمة التدخل مباشرة فى أوضاع النظم الفرعية من أجل ضمان سيطرة الأقليات غير الشرعية ومن ثم يكون سيطرة الأقلية أمر قانونى لأنه يستند عادة الى اجراءات قانونية كالتصويت الانتخابى المحلى من السلطة السياسية أو ما شابه ذلك · ويترتب على ذلك أن تكون سلطة الأقلية قانونية لكنها غير شـــرعية ومدعومة بنفوذ أجنبى خارج النظام الفرعى ·

والاستقرار السياسى هو فى الحقيقة نتاج ظرف تكون فيه سلطات الدولة تتمتع بالشرعية السياسية (الاجتماعية ، القانونية) · وحتى يتحقق هذا الظرف لابد وأن يتاح مايلى :

١ - قدرة النظام الادارى فى الدولة على مواجهة واستيعاب الاحتياجات المادية والقيمية الجديدة للسكان ·

٢ - عدم كبت الهويات الأيديولوجية ، العرقية والثقــافية للجماعات السـكانية ، ويرى كيلمان Kelman ان الســماح بالتعبير عن الهويات الأيديولوجية ، الثقافية والعرقية داخل الاطار القانونى للدولة لا يؤدى الى أية مخاطر على التكامل القومى فى الدولة · فالمصالح والاحتياجات المشتركة للسكان سوف تتغلب على الاختلافات القيمية أو العرقية كما ان هذه المصالح ســوف تسمح فى المدى الطويل بحـدوث تحـول فى القيم بحيث تزيد عن الاندماج الاجتماعى ·

وعلى أى حال فان الشــيوعية المطلقة ظاهرة لا تتحقق حتى فى المجتمعات

t.me/montlq

الديمقراطية الغربية فى اطار النظم الحزبية البرلمانية الناضجة • فالحكومة تستطيع فى ظل هذه النظم أن تبقى فى السلطة حتى لو فقدت تأييد أقسام من الفئات الاجتماعية داخل الدولة • ويتم التعبير عن عدم رضاء هذه الفئات من خلال وسائل غير انتخابية كالمظاهرات والاضراب • ويترتب على ذلك ظهور ظاهرة الصراع السياسى فى كافة المجتمعات سيما وأن عملية التغيير السياسى لابد وأن تمر من خلال السلطة السياسية •

والشرعية الدولية هى معيار التفرقة بين النظام الدولى المستقر والنظام الدولى الثورى • ويجادل هنرى كيسنجر بأن الاستقرار فى النظام الدولى لا يتحقق بمجرد « طلب السلام ولكن من توافر القبول العام للشرعية » • ويعرف كيسنجر الشرعية الدولية بأنها تعنى « اتفاق دولى حول طبيعة الاجراءات المعمول بها وحول أهداف وطرق السياسة الخارجية المسموح بها » • والشرعية الدولية تقضى بقبول كافة القوى الرئيسية فى العالم لاطار النظام الدولى القائم •

ولكن اتفاق القوى الرئيسية فى العالم على اطار النظام الدولى لا يعنى القضاء على ظاهرة الصراعات الدولية وانما يحد من مدى واتساع هذه الصراعات • وحدوث الصراع الدولى داخل اطار نظام دولى متفق عليه يكون محدودا الى درجة كبيرة اذا ما قورن بالصراع على طبيعة هذا الاطار • والدبلوماسية التى يعرفها كيسنجر بأنها « تسوية الخلافات الدولية عن طريق التفاوض » تصبح ممكنة الأداء فقط فى النظم الدولية التى لها صفة الشرعية •

ويرى كيسنجر ان السلام لا يعتبر الهدف الأول للقوى الفاعلية القومية ، ومن ثم فان النظام الدولى المستقر هو الذى يتفق اعضاؤه على عدد من المبادىء لا يمكن المساومة بشأنها حتى اذا كانت هذه المساومة من أجل تحقيق السلام • ويشير كيسنجر فى دراساته عن التاريخ الدبلوماسى فى أوروبا الى النظم الدولية التى ساعدت على هذا النمط خلقت استقرارا قائما على توازن القوى الذى كان يحسب حسابه • بينما كانت النظم التى يتطابق مفهوم اعضائها للسلام مع مفهوم تحاشى الحرب ، تقع تحت رحمة أكثر أعضاء النظام غلظة •

والاستقرار فى النظام الدولى هو معيار التفرقة بين النظم التى تسودها الشرعية والنظم التى تفتقر الى هذه الشرعية وتوصف بأنها نظم ثورية حيث تكون فيها القوى الرئيسية غير راضية ومن ثم تسعى الى تغييرها ، ومثال ذلك الفترة التاريخية السابقة لاتفاقية فيينا ١٨١٥ حيث كانت فرنسا تمثل القوة الرئيسية فى النظام الأوروبى والتى كانت بمثابة التحدى الرئيسى لذلك النظام •

t.me/montlq

وبمتابعة كيسنجر لدبلوماسية القوى الأوروبية فى الفترة ١٨١٢/١٨٢٢ توصل الى عدة عناصر تعتبر ضرورية للابقاء على استقرار النظام الدولى وهى :

١ ـ استعداد القوى المساندة للشرعية فى النظام للتفاوض مع القوة الثورية على أن تكون ـ فى نفس الوقت ـ فى حالة استعداد لاستخدام القوة العسكرية ٠

٢ـ قدرة القوى المساندة للشرعية على تحاشى اندلاع الحرب الشاملة التى يمكن أن تنجم من تهديد الاطار الدولى التى تسعى قوى الوضع الراهن للحفاظ عليه ٠

٣ ـ قدرة الوحدات القومية الفاعلة فى النظام الدولى على استخدام وسائل محدودة لتحقيق أهداف محدودة بحيث لا تضطر قوة من القوى داخل هذا النظام من أن تستسلم دون شروط ٠ وأن هزيمة قوة ما فى حرب محدودة لا يعنى ازالتها من النظام الدولى ٠ وأن أيا من القوى المنتصرة أو المهزومة لا يتحقق لها الرضاء الكامل أو عدم الرضاء التام ٠ وأن القيود والحدود الموضوعة على الوسائل والأهداف للقوى المتصارعة تجعل من الممكن الابقاء على توازن القوة بين المنتصر والمهزوم ٠

وبهذه الخصائص يتوافر للنظام الدولى الاستقرار وتسوده الشرعية ٠

وقد أولى كيسنجر أهمية كبيرة للامكانات التدميرية المتعاظمة للسلاح النووى وأثر هذه الظاهرة على طبيعة الصراع الدولى المعاصر ٠ وقد طبق نموذجه الذى استقاه من التاريخ الدبلوماسى لأوروبا فى القرن التاسع عشر على النظام الدولى المعاصر ٠ ويرى أن الحاضر كالماضى يوجب على الدولة أن تستخدم وسائل محدودة لتحقيق أهداف محددة أيضا ٠ « فالسياسة العسكرية الرامية الى تحقيق كل شىء أو لاشىء غير مجدية ٠٠ وانما يتوجب وضع استراتيجية تعتمد على الغموض حيث تختلط فيها الضغوط السياسية ، النفسية والعسكرية لاثارة درجة كبيرة من عدم التأكد والتردد فى عقل الخصم » ٠

وينصح صناع السياسة الأمريكية بضرورة اختيار بدائل أخرى غير البديلين الجامدين وهما الاستسلام أو الانتحار ٠ وهذه البدائل الجديدة تكمن فى اتباع مفاهيم الحرب المحدودة المشتقة من خبرات الحروب فى القرن التاسع عشر ٠ فاستراتيجية الحرب المحدودة سوف تتيح للولايات المتحدة اقامة علاقة مسئولة بين توافر القوة ومدى الاستعداد لاستخدامها ، وبين المكونات العضوية والمكونات السيكلوجية للسياسة القومية ٠

t.me/montlq

وإذا أرادت الولايات المتحدة ان تتحاشى الاضطرار للاختيار بين الانتحار والاستسلام فان من الواجب عليها اعداد قوات تقليدية وذووية تكتيكية على نطاق واسع لمواجهة متطلبات الحرب المحدودة . وقد حدد كيسنجر لهذه القوات الوظائف التالية :

١ ـ قدرة هذه القوات على منع العدوان المحتمل من أن يخلق حالة أمر واقع .

٢ ـ أن استخدام هذه القوات يجب الا يولد لدى المعتدى قناعة بأن هذا الاستخدام هو مقدمة لحرب شاملة .

٣ ـ ان التزاوج بين الدبلوماسية والحرب المحدودة أمر أساسى . فالدبلوماسية يجب ان تكون مهمتها اقناع الخصم بأن الحرب الشاملة ليست الرد الوحيد على العدوان ، وان توافر الدبلوماسية هو استعداد للتوصل الى تسوية أقل من الاستسلام غير المشروط .

ويفرق كيسنجر بين وسائل حماية الأمن القومى والمصالح القومية فيرى ان استراتيجية الحرب المحدودة يجب أن تصمم لحماية المصالح القومية فقط . ويتوجب على صناع القرار ان تتوافر لهم وسائل ضبط الرأى العام ومنع اندفاعه فى القضايا التى تمس البقاء القومى .

ويتفق كيسنجر مع مورجانثو فى ضرورة تحاشى حقن النظام الدولى بجرعات أيديولوجية . فالأيديولوجية لا تشارك فى خلق الأهداف القومية غير المحدودة فقط وانما تؤدى الى خلق دول يكون هدفها الرئيسى هو القضاء على النظام الدولى الراهن . وفى غياب الاتفاق بين القوى الرئيسية فى العالم حول اطار النظام الدولى ـ أو شرعيته ـ تصبح عملية تسيير الدبلوماسية وقيامها بوظائفها أمر بالغ الصعوبة ان لم يكن مستحيلا .

٢ ـ التدخل الدولى :

يعتبر مفهوم الشرعية بمثابة أداة اختبار للتعرف على طبيعة تدخل دولة فى شئون دولة أخرى عندما ترتبط هذه الدول بعلاقات خارجية . ويثير الفقه السياسى فى هذا الشأن قضية التفرقة بين تدخل الدولة والتدخل النظامى . فالنظم الفرعية فى الدولة الحديثة أضحى لها ارتباطات خارجية ومصالح نظامية قد تتوافق أو تتعارض مع مفهوم المصلحة القومية الذى تتبناه الدولة فى سياق متابعتها لسياستها الخارجية .

t.me/montlq

ويمكن الوقوف على طبيعة التدخل النظامى بافتراض نموذج لعالم لا توجد به حكومات ونتصور اكتشاف البترول فى احدى البقع الأرضية لهذا العالم وصحب ذلك اكتشاف وسائل استخدامه فى النقل البرى • وهذه الظاهرة بما تخلقه من مصالح متشابكة بين ملاك البترول ، المستغلين والمستخرجين له ، الموزعين والمستهلكين تؤدى الى خلق مرتكزات تعاملية تحدد أسباب التعامل بهذه السلعة • وهذه المرتكزات التعاملية تخلق نظاما متكاملا يبدأ فى اكتساب شكله وأبعاده تحت ضغط التعاملات التجارية • وسوف يترتب على هذه الظاهرة والقوى التى تعمل داخل النظام البترولى ظهور نفوذ أجنبى يعمل داخل المجتمع الذى يستأثر بمنابع البترول نتيجة لتأثر حياة المستهلكين لهذا البترول فى بقع أخرى من العالم بالاضافة الى أطراف النظم الأخرى • وهذا ما يعرف بظاهرة النفوذ النظامى •

واذا وضعنا النموذج الافتراضى السابق جانبا ونظرنا الى العالم الواقعى المتعدد الوحدات السياسية والقوى القومية ذات الحدود الأقليمية الصارمة فسوف نلاحظ ظهور نوع آخر من النفوذ • فالدولة التى تقع آبار البترول ضمن سيادتها الأقليمية سوف تمارس الجانب الأكبر من النفوذ على العملية البترولية من حيث امتلاكها لحرية توزيع السلع ، ترك ملكية مرافق الانتاج ملكية خاصة أو تأميمها ، فرض الضرائب وفرض أساليب التأمين الاجبارية • ولكن سيطرة الدولة لا تلغى تماما النفوذ النظامى السابق الاشارة اليه حيث يصبح النظام فى حالة احتياج الى مواءمة لمواجهة التغيرات التى تطرأ على أطرافه والوسط الذى يعمل فيه •

وهذه الظاهرة المعتادة من سيطرة الدولة على أجزاء من النظام البترولى ونفوذها داخله فى اطار صلاحيات الدولة القانونية لا يعد تدخلا ، ولكن اذا تصرفت دولة سواء داخل حدودها أو خارجها بطريقة تهدف للتأثير على نظام أو جزء منه فى دولة أخرى فان ذلك يعد تدخلا دوليا • ومن أمثلة التدخل الدولى منع موارد تنتجها الدولة عن أسواقها المعتادة • وقد تصبح هذه الظاهرة تدخلا خطيرا فى شئون الدول الأخرى اذا لم يكن امام الدول الأخرى التى تتلقى هذا المورد من مصدر آخر لامدادها به وهذا ما يطلق عليه التدخل العقابى •

واستخدام الدولة لنفوذها عن طريق ممارسة الضغط بالوسائل الدبلوماسية وغيرها بهدف منع دولة من تأميم مصادر الثروة فيها يعد تدخلا فى شئون هذه الدولة الداخلية • وهذا النوع من التدخل هو تدخل دولى ولا يعد تدخلا نظاميا اذ ان النفوذ يمارس من خلال قوة وأدوات الدولة وليس بالوسائل النظامية • ويختلف النفوذ النظامى عن نفوذ الدولة من حيث الطبيعة حيث ان الأول يعمل

t.me/montlq

داخل الدول الأخرى دون آثار ظاهرة لأنه دائما تحت السيطرة الادارية للدولة التى يمارس فيها النفوذ . كما يتوجب على النظم الأجنبية أو فروعها التى تمارس نفوذا فى دولة أخـــرى قبول القيم التى تدين بها ســـلطات الدولة . والاستعمار فى حقيقته هو محاولة سلطات دولة رفع مصالحها النظامية خارج حدودها وداخل حدود دولة أخرى ومنع هذه الدولة من السيطرة على النفوذ النظامى داخل حدودها . كما يسعى الاستعمار لمنع سيطرة نظم أخرى على نظمه فى الدول الأخرى . وبدون سيطرة الدولة على النفوذ النظامى داخل حدودها ومنع سلطات دولة أخرى عن دعمه تصبح ظروف التدخل الدولى متاحة .

وتعتبر قضية النفوذ النظامى لدولة داخل دولة أخرى من أهم القضايا الفقهية الخلافية بين المفكرين الغربيين والمفكرين الماركسيين ، فدول العالم الثالث المتخلفة اقتصاديا تشكوا من التدخل من جانب المصالح التجارية وغير الحكومية لدول أخرى فى حياتها السياسية . ويعترف الفقه الغربى بهذه الظاهرة . ويرجع ذلك الى ضعف الموقف التساومى للدول الصغيرة والمتخلفة اقتصاديا والذى يجعلها موضوعا للنفوذ من جانب المصالح الأجنبية حتى تلك التى ليس لها سندا حكوميا . ولكنهم لا يعتبرون هذه الظاهرة تدخلا دوليا اذ أن النفوذ فى هذه الحالة لا تمارسه دولة أجنبية أو من خلال أدوات قوة الدولة وانما هو امتداد للقوة النظامية التى قد تجد مصدرها فى نظم فرعية تمتد داخل عدة دول .

ويؤكد الفقه الماركسى ان هذه الظاهرة هى نتيجة لتطور الرأســمالية الاحتكارية الساعية وراء الاستغلال ونهم الربح بعد ان ضاقت حدودها القومية بفرص الاستثمار واستغلال فائض القيمة . وقد اطلق لينين على هذه الظاهرة اسم الاستعمار الجديد واعتبره أعلى مراحل الرأسمالية . والاستعمار لا يمكن القضاء عليه الا بالقضاء على مصدره وهو النظام الرأسمالى .

واذا كانت القوة النظـــامية تختلف عن قوة الدولة من حيث الطبيعة والوسائل فانهما غالبا ما يتكاملان من حيث التدخل الدولى . فالحكومات غالبا ما تطالب أو تفرض التنسيق بينها وبين الأنشطة الخاصة النابعة من دولتها داخل الدول الأخرى . والحكومة باعتبارها المعبر عن قوة الدولة تدعم الأنشطة الخاصة باعتبارها المعبر عن القوة النظامية بعدة طرق منها : عقد الاتفاقات التجارية مع الدول الأخرى التى تعمل على تسهيل مهمة ممارسة القوة النظامية عن طريق وضع شروط تفضيلية فى هذه المعاهدات ، تشجيع وضمان انتقال رأس المال الى الدول الأجنبية ، القروض الميسرة وعدة وسائل أخرى .

وتحاول الدول المستهدفة للتدخل الأجنبى الاستعانة بدول أخرى لمقاومة

t.me/montlq

النفوذ الأجنبى عن طريق تصادم القوى النظامية داخل حدودها واضعاف كل منها للأخرى كما تلجأ الى التكتلات الدولية أو المنظمات والهيئات العالمية ٠

٣ ـ العــــدوان الدولى :

يعتبر مفهوم العدوان الدولى من المفاهيم الغير واضحة والتى لا يمكن تحديدها على وجه الدقة ٠ ويزداد الاشكال تعقيدا فى العلاقات الدولية عندما يتعلق الأمر بتقديم الأدلة على عدوانية دولة على ضوء المبدأ القانونى « كل دولة برئية ما لم تثبت ادانتها » ٠ وتزداد صعوبة ايجاد تعريف محدد للعدوان ـ على الرغم من المحاولات العديدة والمستمرة على الصعيد الدولى ومن خلال أجهزة الأمم المتحدة ـ بسبب ان المعتدى دائما ما يجد مؤيدين من القوى الفاعلة الدولية مما يجعل الوصــول الى موقف حاســـم من واقعة العدوان أمر بالغ الصعوبة ٠ وفى أغلب الأحيان يتم تحديد المعتدى على أساس نتيجة الصراع الدولى فهناك قاعدة دولية عامة وهى « الحق حليف الأقوى » ٠

(أ) العــــدوان المباشـــــر :

وهذا الشكل من أشكال العدوان عبارة عن تدخل عضوى مباشر بواسطة دولة فى شئون دولة أو دول أخرى عن طريق ممارسة السيطرة على الدولة المعتدى عليها أو على نظم داخلها ٠ وهذا الشكل من العدوان لا يمارس الا من خلال سلطات الدولة المعتدية التى يشترط أن تكون أقوى من الدولة المعتدى عليها حتى تتمكن من تغيير النظم الداخلية وخلق نظم جديدة بقيم ومصالح جديدة ٠ وقد حدث ذلك فى ألمانيا ، كوريا وفيتنام قبل سقوط سايجون ٠

والتدخل العضوى المباشر يأخذ شكلان هما :

١ ـ فرض ارادة الدولة المعتدية على الدولة المعتدى عليها ، ومثال ذلك حملة السويس عام ١٩٥٦ حينما حاولت انجلترا ، فرنسا واســـرائيل فرض ارادتهم على السلطات المصرية ٠

٢ ـ دعم حكومات أجنبية للسلطات الحاكمة فى الدولة المعتدى عليها بناء على طلب هذه السلطات ٠ وتختلف طبيعة التدخل باختلاف طبيعة الســـلطات الداعية على النحو التالى :

(أ) الحالات التى تكون فيها السلطات الداعية تتمتع بالشرعية ومن ثم ينظر الى هذا التدخل باعتباره عمل فى صالح الجماعة ٠ ومثال ذلك الدول التى واجهت الغزو النازى خلال الثلاثينات ودفعها ذلك الى طلب العون الخارجى ٠

t.me/montlq

(ب) الحالات التى تكون فيها سلطات الدول الداعية للتدخل الأجنبي لا تتمتع بالشرعية وان كانت تملك الشرعية فى مضمونها القانونى الضيق . وفى هذه الحالة تسعى هذه السلطات الى تعويض النقص فى شرعيتها وسلطاتها باستقبال قوى أجنبية تكون بمثابة قوة داعمة لها لفرض القيم والمصالح التى تسعى لفرضها داخل الدولة . ومثال ذلك : التدخل الامريكى فى فيتنام والتدخل السوفيتى فى المجر .

ويثير *الفقه الدولى* حالة ثالثة من *التدخل الدولى* وهو تدخل قوة أجنبية بناء على دعوة فئة ثائرة فى دولة أخرى . وينشأ الجدل الفقهى نتيجة ادعاء كل الدول المتدخلة والدولة التى أصبحت هدفا للتدخل بأسانيد تبرر أو تدحض هذا التدخل . وقد انتهى فريدمان — من خلال دراسته لحالة الحرب المدنية — بعدم جواز قبول دولة أجنبية دعوة السلطات القانونية فى الدولة التى تشهد صراعا داخليا أوحرب مدنية نظرا لأن هذا التدخل يعد بمثابة حكم مسبق على القضايا المثارة والمتصارع عليها ومن ثم فهو حالة من حالات العدوان الدولى .

فالعدوان الدولى يحدث فى جميع الأحوال طالما تم فى شكل عضوى مباشر سواء تم ذلك بناء على دعوة بالتدخل أو بدونه باستثناء استدعاء سلطة شرعية لسلطة شرعية أخرى . والتدخل الأجنبى بالرغم من كونه دعما للسلطات غير الشرعية الداعية اليه الا أنه يؤدى الى زيادة تدهور وضعها الشرعى . والتدخل الشرعى يعتمد على شرعية السلطات الداعية داخل حدودها ولا يعتمد على قبول التدخل بواسطة سلطات أجنبية أو تعهدات دولية .

واذا كان التحليل النظامى — على نحو ما سبق — يحصر طبيعة التدخل العضوى المباشر فى طبيعة عملية صنع القرار التى تحدد ما اذا كان القرار نابع من السلطة الشرعية وبالتالى يصبح التدخل شرعيا أو قرارا صادرا عن سلطة غير شرعية وبالتالى نصبح ازاء عدوانا دوليا ، فان المفهوم القانونى للعدوان ينحصر فى التدخل العضوى المباشر ومعياره من يبدأ بالضربة الأولى .

وقد أثبت الواقع الدولى عدم قدرة أى جهة محايدة — وربما عدم رغبتها — فى التحديد على وجه الدقة للطرف الذى بدأ بالضربة الأولى وبالتالى اثبات عدوانيته .

وبالرغم من ان ميثاق الأمم المتحدة قد حرم استخدام القوة أو التهديد بها فى العلاقات الدولية ودعى الدول الى الامتناع عن التهديد باستخدام القوة

t.me/montlq

أو ممارستها ضد سلامة الأراضى أو الاستقلال السياسى لأية دولة وأوجب على أطراف الصراع أن يلتمسوا حل نزاعاتهم بالوسائل السلمية ، فان ظاهرة العدوان مازالت تمثل أحد العلامات البارزة فى العلاقات الدولية • وتستطيع أية دولة ان تجد التبرير لسياستها العدوانية فى حق الدفاع الشرعى عن النفس الذى خوله ميثاق الأمم المتحدة للدول فرادى وجماعات •

(ب) العـــدوان غـــير المباشـــر :

شهد التاريخ المعاصر أشكالا عديدة من العدوان الدولى غير المباشر الذى يختلف عن مفهوم العدوان العضوى المباشر • فقد استطاعت المانيا النازية الاستيلاء على تشيكوسلوفاكيا دون التحام أو قتال عضوى ، وقد كان ينظر الى أى اعتراض تشيكوسلوفاكى على السلوك النازى بأنه عمل انتحارى • ولم تعد اشكال العدوان الدولى وقفا على استخدام الوسائل العســكرية وانما اتخذ العدوان عدة اشــكال غير مباشـرة لا تقل خطورة على كيان الدولة القومية المعاصرة من ذلك الذى يتخذ الشكل العضوى المباشر • ومن أهم اشكال العدوان غير المباشر ما يلى :

١ ـ بيع دولة اسلحة لفئات متمردة فى دولة أخرى لاستخدامها ضـــد حكومتها الشرعية •

٢ ـ العدوان العقائدى بمعنى التســلل الفكرى داخل الجســد الثقافى والحضارى للدولة باســتخدام وسائل التسميم السياسى بهدف اعادة تشكيل الطابع القومى للدول المعتدى عليها •

٣ ـ العدوان الاقتصادى بمعنى السيطرة على المقدرات الاقتصادية لدولة ما •

٤ ـ العدوان الدعائى الذى يهدف الى تحقيق التهيئة النفسية للخصم لتقبل الهزيمة وتوسيع الثغرات داخل النظام السياسى والعمل على توسيع وتضخيم التناقضات الداخلية فى الدولة المستهدفة لاضعاف مقاومتها وبالتالى ترجيح كفة الدولة المعتدية فى صراعها مع الدولة المعتدى عليها •

فالدعاية هى « محاولة متعمدة من جانب فرد ، مجموعة ، دولة لتشكيل ، ضبط أو تغيير اتجاه الآخرين باستخدام وسائل الاتصال مع الاصرار على أن تكون ردود فعــل المتأثرين بالدعاية فى أى وقت وفقــا لما يرغبه صــناع المادة الدعائية » •

وقد أصبحت الدعاية ابتداء من الحرب العالمية الثانية جزءا لا يتجزأ من

t.me/montlq

السياسة الخارجية حيث ترصد الدول لهذا السلاح مئات الملايين من الدولارات كما يقوم على خدمة هذا السلاح عشرات الآلاف من الخبراء · وقد أصبحت الدعاية بجانب الدبلوماسية والتدابير الاقتصادية أداة الحرب الشاملة المعاصرة فى عصر لم يعد يقبل أو يتحمل اندلاع حرب عضوية شاملة ·

وقد اســتعارت الدعاية أســاليب الحرب النفســية من التقدم الكبير فى وســائل الاتصــال الجماهيرية والدولية واضحى من الممكن وضع ما يسمى بالخطة الدعائية التى لو قدر لها النجاح تمثل عدوانا غير مباشرا له أكبر الأثر على كيان الدولة المعتدى عليها · فالتقنيات الدعائية والنفسية الحديثة جعلت فى الامكان السيطرة الى حد بعيد على الآراء ، الأفكار والقيم للجماعات التى توجه اليها الدعاية وبالتالى اتاحة الفرصة امام التغير السلوكى للجماعة وفقا لما تريد الدولة المعتدية · وقد تؤدى الدعاية الى اضــطراب خطير فى البنيان النفسى والسلوكى داخل الدولة الأمر الذى يمكن ان يضطر صناع القرار فى الدول المســتهدفة للدعاية الى تعديل وتغيير بعض الخطوط المبدئية لسياستها الخارجية لمواءمة التطورات الداخلية ·

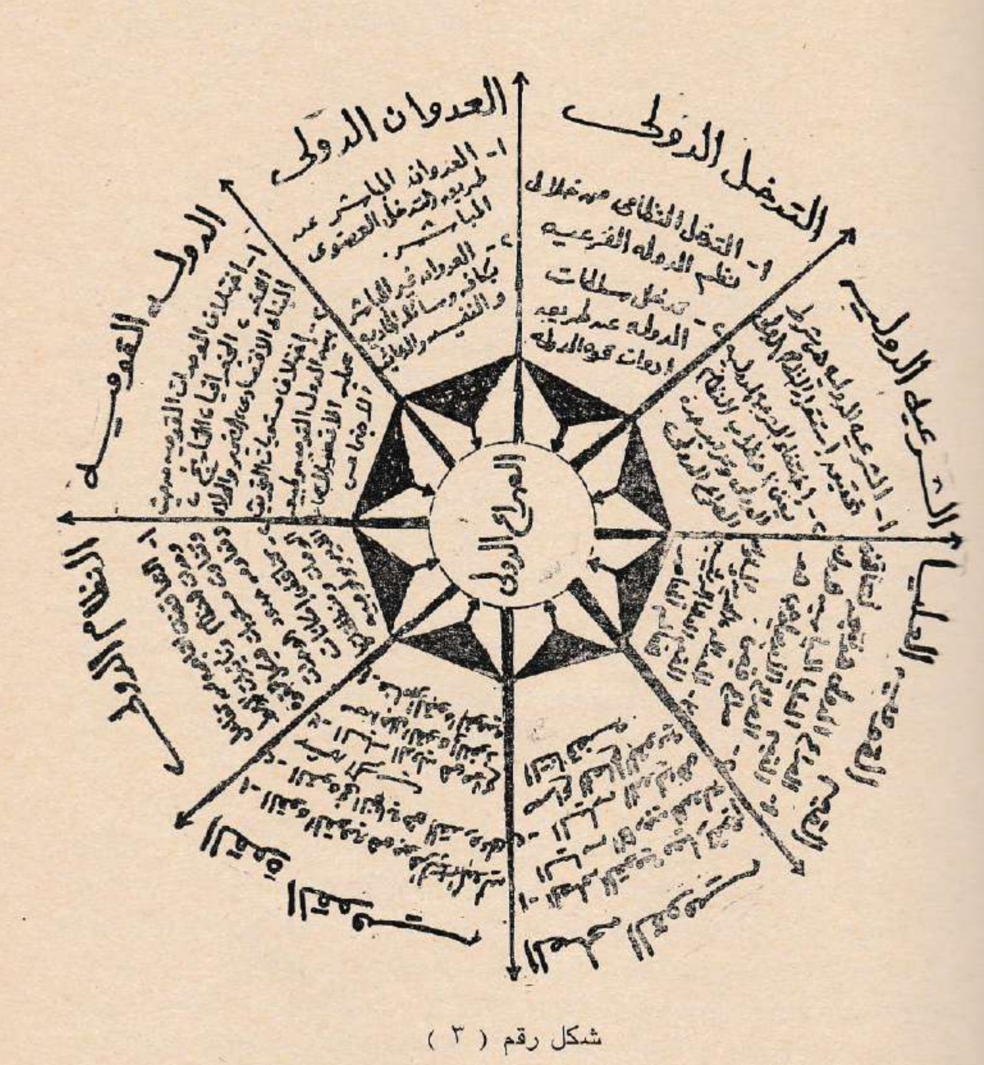
خلاصــــــة :

مفهوم الصراع الدولى :

هو ظاهرة عدم التوافق أو التناقض فى المصالح ، القيم والأهداف القومية بين القوى الفاعلة فى النظام الدولى الذى يتميز بحتمية التفاعل بين وحداته المتفاوتة فى طاقاتها وامكاناتها والمتناقضة فى منطلقاتها القيمية والايديولوجية · وتتحول ظاهرة التناقض الى ظاهرة الصدام عندما تسعى قوة فاعلة للتدخل فى شئون قوة فاعلة أخرى سواء تم ذلك فى صورة تدخل نظامى تسللى أو بفعل سلطات الدولة على شكل عدوان مباشر أو غير مباشر · وتزداد ظاهرة الصراع انتشارا فى المجتمع الدولى كلما افتقد المجتمع الدولى للشــــرعية ولكن توافر الشرعية لا يعنى اختفاء الصراع الدولى بالضرورة · ويمكن توضــيح هذه الظاهرة من خلال الشكل التوضيحى للاطار المفاهيمى لنظرية الصراع الدولى بالصفحة التالية :

t.me/montlq

الأطار المفاهيمي لنظرية الصراع الدولي



شكل رقم (٣)

t.me/montlq

الفصل الثالث

نظريات الصراع الدولى

تمهيـــــــــد :

ظاهرة الصراع الدولى تختلف عن غيرها من ظواهر العلاقات الدولية بأنها ظاهرة بالغة التعقيد ، متعددة الأبعاد ، تتداخل مسبباتها ومصادرها ، تتشابك تفاعلاتها وتأثيراتها المباشرة وغير المباشرة ، وتتفاوت المستويات التى تحدث عندها من حيث المدى ، الكثافة والعنف ·

والصراع الدولى فى صميمه تنازع الارادات الوطنية ، وهو التنازع الناتج من الاختـــلاف فى دوافع الدول وتصـــوراتها لأهدافها وتطلعاتها وفى مواردها وامكاناتها ·· الخ · ويؤدى هذا الاختـــلاف الى اتخـاذ قرارات أو انتهـاج سياسات خارجية تختلف أكثر مما تتفق · وظاهرة الصراع الدولى ليســـت مرادفة لظاهرة الحرب الدولية كما يرى بعض المحللين · فالحرب هى الصورة المتطرفة للصراع الدولى عندما يتحول تنازع الارادات الى صـــدام عضـوى مباشر · ومن الممكن أن يظل الصراع الدولى بكل توتراته وضغوطه دون نقطة الحرب المسلحة ·

والصراع الدولى اللاعضوى يمكن أن تتنوع مظاهره وأشكاله ، فهو قد يكون صراعا سياسيا ، اقتصاديا ، ايديولوجيا ، تكنولوجيا ، نفسيا ودعائيا ··· الخ ·· كما أن أدواته يمكن أن تتدرج من أكثرها فاعلية الى أكثرها سلبية ومن نماذجها على سبيل المثال : الضــغط ، الحصـــار ، الاحتواء ، التهديد ، العقاب ، التفاوض ، التساوم ، الأغراء والتنازل · أما الحرب فلا يمكن أن تتم الا على صورة واحدة وبأسلوب واحد هو الالتحام العضوى المباشر بين الدول

t.me/montlq

المتصارعة فى شكل تصادم فعلى بوسيلة العنف المسلح حسما لتناقضات جذرية لم يعد يجدى معها استخدام الوسائل الأكثر لينا أو الأقل تطرفا ، فالحرب تمثل نقطة النهاية فى تطور بعض الصراعات الدولية ٠

والصراع الدولى أشمل وأعقد بكثير من نطاق الحرب ٠ فالحرب متى وقعت فانها لا تترك امام أطرافها الخيار بين الاستمرار أو الاستسلام ، بين المقاومة أو الاذعان ، بين النصر والهزيمة وذلك بعكس ما يحدث فى ظروف الصراع بمفهومه الشامل وان كانت هناك بعض أشكال الحروب ليست سوى أداة من أدوات الصراع الدولى ٠ والصراع الدولى المعاصر يسعى للاحتفاظ بالمقدرة النسبية على الاختيار بين البدائل العديدة المتاحة ٠

وتتعدد المداخل المنهاجية التى تحاول أن تفسر ظاهرة الصراع فى العلاقات الدولية والتى يمكن تلخيصها فى المداخل التالية : السيكولوجى والبيولوجى ، الاقتصادى ، المصالح القومية وسياسات القوة ، طبيعة الدول القومية ، طبيعة نظم الحكومة فى الدولة ، الأوضاع الجيوبوليتكية ، عملية صنع القرار ، تفاعل النظام الدولى ، سباق التسلح ، العوامل السوسيولوجية والمدخل الايديولوجى ٠

لقد أولى الفلاسفة ، الأدباء ورجال الدولة ــ منذ فجر التاريخ ــ اهتماما كبيرا بالبحث عن أسباب نشوء الشكل المتطرف للصراع الدولى (الحرب) ووسائل تحقيق السلام ٠ وقد اعتقد بعض الفلاسفة أن الحرب والسلام يتوقفان على كيفية التفكير فى كل منهما ، بينما حاول بعض رجال الدولة وعلماء التاريخ الوقوف على أسبابها من خلال دراسة سلوك الدول فى حالتى الحرب والسلام ٠ فقد اعتقد ولسون أن الدول الديمقراطية دول مسالمة وأن الدول الشمولية دول عدوانية ، بينما أعتقدايزنهاور أن قضية الصراع الدولى هى فى الأصل مشكلة التربية الاجتماعية وأن الأمم اذا لقنت اطفالها كيف تفكر الأمم الأخرى وماهية تطلعاتهم وآمالهم ، فانها سوف تقدم خدمة جليلة لقضية السلام العالمى ٠ ويرفض الكتاب الليبراليون هذا المنطق ويرون الأسباب المؤدية للصراع الدولى مصدرها غياب نظام دولى يملك قوة الزامية قادرة على فرض أحكام القانون الدولى ٠ وهذه الظاهرة تجعل رجال الدولة مضطرون لاستخدام الأساليب الدولية التقليدية لتحقيق أهداف دولهم وعلى رأس هذه الوسائل والأساليب القوة المسلحة ٠

وقد حاول نورمان انجل Norman Angell منذ مطلع القرن الحالى أن يحسم قضية الحرب بقوله ان الحرب مهما كانت نتائجها ليس لها عائد مفيد للانسان وقد لاقى هذا الفرض قبولا فى النصف الثانى من القرن الحالى تحت وطأة « توازن الرعب الذووى » وقد تناول انجل قضية الحرب من بعدها الاقتصادى

t.me/montlq

حيث أكد أنها لا تكتفى بسحب القوى العاملة بعيدا عن الانتاج وانما تدمر وسائل الانتاج أيضا بل وما سبق انتاجه ٠ واذا كانت الحرب يمكن أن تؤدى الى اعادة توزيع الثروة والموارد فان العمل وحده هو الخالق للثروة ٠

ويعتقد كينث والتز أن وضع برنامج سليم للسلام العالمى غير ممكن دون القيام بدراسة علمية للأسباب المفضية للحرب ، فهى الطريقة المثلى ـ فى اعتقاده ـ للوقوف على أسباب السلام ٠

ويناقش والتز أسباب ظاهرة الصراع الدولى من خلال دراستها على مستويات ثلاثة هى : طبيعة الانسان ، طبيعة الحكومة وطبيعة النظام الدولى ٠ فالمستوى الدراسى الأول يرجع أسباب الصراع الدولى الى الطبيعة العدوانية للانسان وطبيعة الغابة داخل بنائه النفسى ٠ وعلى المستوى الثانى يرجع السبب الى طبيعة الدولة ذاتها التى تضع على رأسها حكومة ، وبالرغم من أن الحكومة هى الشرط المسبق لقيام أى مجتمع فانها فى حد ذاتها واحد من عديد من النظم الاجتماعية التى يؤدى انتشارها دون ضوابط عليا على سلوكها الى خلق أنماط سلوكية شاذة تدفع الى التأزم والصراع الدولى ٠ وعلى المستوى الدولى يسعى هذا الاتجاه نحو اقامة الدولة العالمية باعتبارها العلاج الناجع للفوضى الداخلية من جانب والفوضى الدولية من جانب آخر ٠

ويخلص والتز الى أن النتائج التى توصل اليها التحليل فى كل مستوى على حده تعتبر نتائج طوباوية لا تعكس الحقائق الواقعية لظاهرة الصراع الدولى ٠ فالصورة الأولى ترى انتقال التوترات الفردية الى المجتمعات والدول ، والصورة الثانية تركز على التناقضات بين الحكومات وأهداف الدول ، والصورة الثالثة تركز على التعامل بين وحدات النظام الدولى وتأثير الوسط الدولى ٠ وينشأ الصراع الدولى ـ فى تقديره ـ من الأسباب الثلاثة مجتمعة ويؤكد وجود علاقات ارتباطية بين المستويات الثلاثة المنشئة للصراع الدولى ٠ فالصراع الدولى هو عمل من فعل الأفراد والدول على حد سواء بالرغم من أن أى صراع دولى يعتمد فى ظهوره على عدة ظروف موضوعية هى : الموقع ، حجم الدولة ، قوة الدولة ، مصالح الدولة ، نموذج الحكومة التى تتولى تسيير أمور الدولة وتاريخ الدولة وتقاليدها ٠

ويرى والتز أن معضلة الصراع الدولى تكمن فيما يلى :

١ ـ انه طالما كان الصراع الدولى ظاهرة تنشأ من أكثر من سبب واحد فان القضاء على واحد من هذه الأسباب لا يعنى القضاء على الظاهرة ٠ فاذا كانت الحرب تقع بسبب عدم عقلانية الانسان بدرجة كافية وبسبب اختلال مكونات

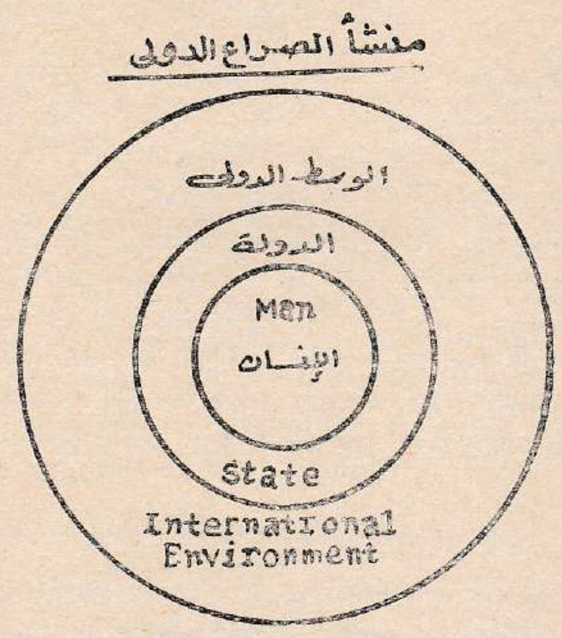
t.me/montlq

الدولة وافتقارها الى التكامل والاندماج الاجتماعى ، فان تحسين نوعية احداها لا يعنى بالضرورة القضاء على ظاهرة الحرب ·

٢ ـ ان التركيز على أحد الأسباب مع ترك الأخرى يمكن أن يؤدى الى تفاقم الموقف بدرجة أكبر ومثال ذلك ما حدث فى فترة ما بين الحربين فبينما اتجهت الدول الغربية لأن تكون أكثر ديمقراطية اتجه النظام النازى ليكون أكثر عدوانية ·

ان اختراع أدوات الدمار الشامل قد خلفت ما يعرف بالخوف المتبادل من استخدام هذه الأدوات لكنها لم تقضى على ظاهرة الصراع الدولى وانما على العكس انتجت طوفان من الحروب المحلية الصغيرة فى مقابل منع الحرب الشاملة· فالخوف من أسلحة الدمار الشامل وخطر تدميرها للحضارة البشرية غير كاف لخلق ظروف السلام الدائم · ويتوجب على الباحث عدم اقتصار بحثه على صورة واحدة من مسببات الصراع الدولى حتى يستطيع الوقوف على منشأ الصراع ووضع الأسس السليمة لمواجهته واحتوائه · فالصورة الأولى (فردية) هامة ولكنها غير كافية ، والثانية (الدولة) توضح طبيعة القوة ووظيفتها فى عالم السياسة الدولية لكنها بدون الصورة الثالثة (الوسط الدولى) يصبح من الصعب تقدير أهمية هذه القوة والتنبوء بتنائج حركتها وهذا ما يتضح من الشـــكل التالى :

منشأ الصراع الدولى



شكل رقم (٤)

t.me/montlq

ويقدر ريتشارد سنيدر أنه بصرف النظر عن وحدة التحليل المستخدمة فى البحث عن أسباب الصراع الدولى ، فان الظاهرة ترجع الى مجموعة من الدوافع والمدركات • وقد بلور أسباب الصراع الدولى فى ثلاثة مفاهيم للدوافع والمدركات هى :

١ ـ وجود أهداف للدولة يمكن أن تسرع بتصادم بين هذه الدولة والدول الأخـــــــرى •

٢ ـ تصور وادراك التهديد المحتمل من الدول الأخرى •

٣ ـ العداء تجاه الدول الأخرى •

ان دراسة نظرية الصراع الدولى تنساب من خلال رافدين علميين رئيسيين يمثلان البعدين المنهاجيين الرئيســـيين فى الدراســـات التى تحفل بها العلوم الاجتماعية لظاهرة الصراع الدولى • ويعتمد هذا التقسيم الثنائى على طريقة الاقتراب المنهاجية المتبعة فيما اذا كانت جزئية Micro أو كلية Macro فى تناول عالم الانسان • فالأسلوب الاقترابى الأول (ميكرو) فى بناء نظرية الصراع الدولى ينصب على البحث عن أصل الصراع فى طبيعة الانسان بينما ينصب الأسلوب الاقترابى الثانى (ماكرو) على البحث عن أصل الصراع فى مؤسساته •

ويعتمد علماء النفس ، النفس الاجتماعى ، البيولوجيا ، نظرية الألعاب ونظرية صنع القرار على السلوك الفردى كنقطة انطلاق يتوصلون على أساسها الى استنتاجاتهم عن السلوك الدولى • ويتناول علماء الاجتماع ، الأنثروبولوجيا الجغرافيا ، التنظيم والاتصال ، السياسة ، السياسة الدولية ، والدارســون للتنظيم على مستوى الجماعات ، التجمعات ، المؤسسات الاجتماعية ، الطبقات الاجتماعية ، الحركات السياسية ، الانتماءات الدينية والعنصــرية ، الدولة القومية ، النظم الائتلافية أو الثقافية ، للوقوف على طبيعة الصراع الدولى •

ويجمع بعض الدراسين ـ أمثال الدارسين الاقتصاديين ـ بين أسلوبى الاقتراب فى تناولهم للظاهرة بحيث تشتمل دراساتهم على أبعاد جزئية وأخرى كلية • ويمكن ملاحظة الظاهرة فى دراسات علماء التاريخ فقد نجد دراســات تنصب على ظاهرة الصدام بين الدول القومية ، بينما نجد دراسات أخرى تركز على خصائص الشخصية ، الخلفية وأزمة السلوك لرجل الدولة والتى تدفعه الى الدخول فى حرب أو تفضيل الســلام وفقا لمجموعة الظروف المحيطة بهذه الشخصية •

t.me/montlq

وتختلف النتائج التى يمكن التوصل اليها فى دراسة الصراع الدولى وفقا لاتباع أى من أسلوبى الأقتراب : فالتحليل النفسى (ميكرو) يتناول ظاهرة الصراع الدولى باعتبارها نتيجة للهيكل النفسى الفردى والتى تتسبب عن العقد التوترات والاضطرابات النفسية التى تنعكس على الأوضاع الاجتماعية داخل أو صناعة القرار والدخول فى صراع على الصعيد الدولى ٠

وعلى العكس يقوم الاجتماعيون بتحليل كافة المشاكل البشرية على صعيد الهيكل والمؤسسات الاجتماعية ٠ ويرفض التحليل الاجتماعى شـــرح الظاهرة الاجتماعية باعتبارها ظاهرة نفسية ٠ ويعتقد أميل دوركايم أن «تناول الظاهرة الاجتماعية باعتبارها مجرد ظاهرة نفسية هو مجرد شرح فاسد » ٠

ولقد شهد القرن العشرين وبصفة خاصة خلال العقدين الأخيرين محاولات لتخطى الشقة التى تفصل المجالين العلميين الرئيسيين ٠ فقد اعترف النفسيون بأهمية المؤسسات ، الجماعات والوسط الثقافى العام فى تشكيل الحياة النفسية للفرد ٠ ومن جانب آخر أولى الاجتماعيون اهتماما لدور العوامل النفسية فى العملية الاجتماعية ٠ وبالرغم من استمرار أصرار علماء النفس على أن ظاهرة الصراع الدولى هى ظاهرة نفسية فردية فى المقام الأول ، فقد تزايد عدد العلماء فى الفروع الاجتماعية المختلفة الذين أصبحوا مقتنعين بعدم امكان بناء نظرية سليمة للصراع الدولى دون الجمع بين الأبعاد الميكروكوزمية والماكروكوزمية فى شمول واضـــح ٠

لقد اهتمت عديد من الدراسات العلمية المعاصرة بالبحث فى بواعث الصراع الدولى وبصفة خاصة الصورة الدرامية من هذا الصراع ـ الصراع العسكرى المدمر ـ ودراسة العوامل السياسية التى يمكن أن تمارس آثارها على الأفراد ، الجماعات والحكومات دون أن تدرك بصفة فورية وانما تحتاج الى الملاحظة العلمية والمناهج التحليلية ٠ ويجادل بعض الكتاب بأن البحث العلمى فى بواعث ظاهرة الصراع البشرى لا يهدف الى القضاء على الظاهرة من الحياة البشرية وانما تحاشى الجانب المدمر منها فحسب، ذلك لأن القضاء التام على الصراع فى المواقف الانسانية ليس أمر غير ممكن فحسب وانما غير مرغوب فيه أيضا ٠

لقد أدى اختلاف المنطلقات الفكرية والمنهاجية لدى الذين تعرضوا لبناء النظرية لظاهرة الصراع الدولى ، الى التوصل الى نتائج علمية مختلفة ومتباينة سواء من حيث تفسير الظاهرة أو تحديد أبعادها ومسارها، وأخيرا من حيث مجابهتها واحتوائها ٠

وبالرغم من الصعوبة المنهاجية التى تعترض عملية التمييز القاطع بين

t.me/montlq

التحليلين الميكروكوزمى والماكروكوزمى ، الا أن الاتجاه الغالب للفقه يجعل معيار التفرقة بينهما على أساس ان الأول ينصب على الأبعاد الفردية للشخصية البشرية وتأثيرها على مسار الظاهرة ، بينما يركز الثانى على الوقوف على الأسباب من خلال طبيعة وميكانيزم المؤسسات الاجتماعية الأوسع مدى من مجرد التأثير الفردى • واذا كان من السهل تصنيف بعض الدراسات سواء على الصعيد الميكروكوزمى (الصراع النفسى) ، أو الصعيد الماكروكوزمى (النظام الدولى) ، فان هناك دراسات أخرى كالاقتصادية والتاريخية يمكن أن تجمع بين الأسلوبين بدرجات متفاوتة •

وسوف نلتزم بهذا التبويب فى معالجتنا لمختلف نظريات الصراع الدولى ، حيث نجعل من كل النظريات التى تنطلق من الأبعاد الفردية نظريات ميكروكوزمية كالنفسية ، صنع القرار والاقتصادية • أما النظريات الماكروكوزمية فهى تلك التى تنطلق من الأبعاد والمؤسسات الاجتماعية التى تعطى وحدة الدراسة الصفة الكلية ، وبحيث تندرج تحتها وحدات جزئية أقل كنظريات القوة القومية والنظام الدولى •

t.me/montlq

النظريات الميكروكوزمية

MICROCOSMIC THEORIES

النظـــريات النفســية

يحتل المدخل النفسى مكانه مميزة فى العديد من الدراســات التى تتناول بالتحليل والمعالجة ظاهرة الصراع الدولى · وتعتبر ظاهرة العدوان البشــرى هى المحور الذى تدور حوله كافة النظريات النفسية للصراع الدولى وان اختلف علماء النفس حول طبيعة العدوان · فيرى البعض أن العدوان نزعة بشــرية والمخاطرة وأن الصراع الدولى هو موضوع التعبير عن هذه النزعات الكامنة طبيعية تتمثل فى غريزة حب التسلط والسيطرة وتظهر فى الانتقام والتوســع فى أعماق النفس البشرية ·

بينما يرى آخرون أن الدافع نحو الصراع مصدره مؤثر خارجى يستثير العدوان البشــرى وأن هذا العــدوان ليس بغريزة أو نزعة طبيعية · وهذه الاســتثارة الخارجية من جراء الاخفاق أو الاحباط تؤدى الى تولد العدوان المفضى الى الصراع الدولى · ويذهب فريق ثالث الى التحدث عما يســمى السيكولوجية القوميةالعدوانية التى تعد القوةالرئيسية المحركة للصراع الدولى · ويرجع بعض علماء النفس ظاهرة العدوان الى الشعور بالاحباط فى المســائل الداخلية فى الدول أو النظرة النمطية للشعوب الأخرى التى لابد وأن تقود الى ظاهرة الصراع الدولى ·

١ ـ نظـــرية فـــرويد :

تقوم نظرية سيجموند فرويد على افتراض قيام البناء النفسى للانسان على مجموعة من الغرائز من ضمنها حب السيطرة والتسلط والرغبة فى الانتقام، التوسع والمخاطرة · ويتحتم ـ وفقا لفرويد ـ أن يجد الانسان وسيلة لتنفيس هذه الرغبات حتى لا توجه الى الذات وتؤدى إلى تدميرها · فالســلوك العدوانى للانسان هو وسيلة اخراج الطاقات المدمرة للانسان حتى لا يؤدى كبتها الى انتحار صاحبها ·

والصراع الدولى بمختلف صوره يعتبر ـ فى اعتقاده ـ الفرصة المثلى

t.me/montlq

لارضاء هذه الدوافع وتلك النزعات الكامنة فى أعماق الطبيعة البشرية ذاتها • فالصراع الدولى فى نظر فرويد أمر ضرورى لبقاء الجماعات والشعوب ، وأن تكرار الصدام والحروب بين الدول مفيد لأنها تتيح توجيه ميول تدمير الذات الى خارج الذات القومية • وقد عبر فرويد عن اعتقاده بصورة صريحة من خلال رسالة بعث بها الى عالم الطبيعة البرت اينشتين •

ويعارض معظم علماء النفس المعاصرون النتائج التى توصل اليها فرويد بالنسبة لظاهرة الصراع الدولى • ويرون أن حصر أسباب الصراع والحروب بين الدول فى النزعة الغريزية للعدوان بدافع التسلط والاخضاع لا تنطبق على كافة الصراعات والحروب التى شهدها التاريخ البشرى • وأن هناك عديد من أشكال الصراعات والحروب الدولية عبر التاريخ لا تتمشى مع هذه النظرية ، فقد بذل قادة هذه الدول كافة الوسائل لتحاشى الصراع لكنهم دفعوا قسرا لانتهاج أساليب الالتحام العضوى المباشر من أجل حماية المصالح القومية وتسوية المواقف المتصارع عليها بطريقة فرض الحد الأدنى من المطالب القومية •

٢ ـ نظرية فلوجل Flugel :

يعتبر س • فلوجل من أهم كتاب المدرسة الانجليزية للتحليل النفسى الذين ركزوا دراساتهم حول الدوافع النفسية التى دفعت بالنازيين والفاشيين الى تفجير الحرب العالمية الثانية ، مع البحث عن الأساليب الملائمة لوضع حد لهذه الظاهرة المدمرة لكل مظاهر الحضارة البشرية •

يرى فلوجل أن طريقة تناول ظاهرة الصراع الدولى والحرب بين الشعوب قد جرت بطريقة خاطئة وضارة • فقد تناولها معظم الكتاب باعتبارها ظاهرة شريرة يجب التخلص منها والأقلاع التام عن اللجوء اليها • وقد أدى هذا الاتجاه الى اهمال وتخطى ـ دون وعى ـ وجهات نظر أولئك الذين يرونها على غير ذلك • ويؤكد أن الفيصل فى هذه القضية هو دراسة مدى الاستجابة السيكولوجية البشرية للظاهرة فى المجتمع الانسانى •

ان هناك العديد من الفلاسفة ، رجال الدول والعسكريين يمجدون الحرب ويفخرون بالانتصار فيها ولهم بعض الحق فى وجهة نظرهم ، ويعتبر من الحماقة اهمال وجهة نظرهم لمجرد أنهم ينتمون الى دول كانت دكتاتورية معادية للحرية مثل المانيا النازية وايطاليا الفاشية وأن اعتبار الحرب هى الأثم الجماهيرى أو الاحتجاج بأن المسيحية هى دين اللا عنف ، لن يغير من واقع الحرب فى الحياة

t.me/montlq

الدولية ،بل أن المسيحية التى فرضت وجودها على أوروبا لمدة خمسة عشر قرن لم تنجح فى منع الحروب ، وشن المسيحيون الحرب بعضهم على البعض الآخر ·

ويقيم فلوجل نظريته على عدة فروض يطلق عليها اسم دوافع الصراع الدولى والحرب بين الدول وهى :

(أ) المغــــامرة ·

(ب) تزايد الشعور بالوحدة القومية ·

(جـ) الرغبة فى التحرر من الاضطرابات النفسية والقيود المفروضة على الرغبات الفردية ·

(د) الدافـــع العـــدوانى ·

يعتبر دافع المغامرة ـ فى تقدير فلوجل ـ هو الدافع الأول للصراع والحروب بين الدول · وهذا الدافع يتشكل من عدة عوامل نفسية هى :

(أ) ان حالة الصراع وما يواكبها من مواقف فى الدول المتصارعة وانتشار أقاصيص وبطولات الحرب تمثل فرصة سانحة لأولئك الذين لا يطيقون العمل الروتينى اليومى فى الحقل ، المصنع أو المكاتب ·

(ب) ان حالة الصراع يمكن أن تأتى بأحداث غير متوقعة تمارس تأثيرا كبيرا على الأجساد والقوى العقلية للأفراد والجماعات مما لو حدثت بصورة روتينية فى وقت السلم ·

(جـ) ان الصراع والحرب يسوى بين الناس فى الدعوة لأداء عمل بطولى ومن ثم يتولد الاحساس بالذات وتتحقق شروط الوجود الحضارى ·

(د) تزايد احتمالات الخطر والمخاطرة بالنســـبة للنتائج التى يمكن أن يسفر عنها الصراع ، تزيد من حدة الشعور البشرى فى مواجهة التحدى ·

(هـ) ان الدافع للمغامرة يحقق ارضاء الحافز الانتقامى Nemesistic واشباع الحاجة الى العقاب للنفس البشرية · ويمكن ملاحظة هذا الشـــعور النفسى فى تفضيل الناس مشاهدة مباريات كرة القدم ، الصيد والمصارعة أكثر من مشاهدة مباريات التنس مثلا لأنها ـ من الناحية الشعورية ـ ترضى هذا الاحساس النفسى ورغباته حيث تنطوى على احتمالات أكبر لأحداث الجروح · الصراع الدولى واندلاع الحرب تعبر عن قمة هذا الشعور ، فهى المجال الرحب لترجمة الشعور الانتقامى المكلل بهالات الانتصار بعد توقيع العقاب على العدو ·

t.me/montlq

الوحدة الاجتماعية Social Unity تمثل الدافع الثانى من الدوافع النفسية المفضية الى ظاهرة الصراع والحرب على الصعيد الدولى · وهذا الدافع ينقسم بدوره الى خمسة عوامل فرعية هى :

(أ) الصراع الدولى وسيلة ناجحة لتجميع كافة فئات الأمة والتوحيد بينها حيث يتيح لهم قدر كبير من الأفكار ، الانفعالات والمصالح المشتركة ، كما انه قبل ذلك وبعده يحقق لهم الهدف المشترك ، فتختفى المصلحة الشخصية لتطغى المصلحة العامة ·

(ب) الصراع الدولى يجعل الناس أكثر وعيا بتاريخ وتقاليد أمتهم ويدعم ظاهرة الولاء القومى ·

(ج) الصراع الدولى يؤدى الى حلول مفهوم التعاون بين جميع فئات الشعب محل ظاهرة التنافس والصراع نظرا لاحساس جميع الأفراد وبصرف النظر عن انتماءاتهم بأن لديهم مهمة مشتركة كما يتولد الاحساس لدى كل فرد بأهميته كعضو فى الجماعة وانه ليس مجرد وجود هامشى ·

(د) اشباع حاجة الفرد الذاتية بأن الآخرين فى احتياج اليه Need to be needed وهذا الاحساس لا يتحقق للجميع الا فى حالة الحرب حيث تؤدى عملية التعبئة والاعداد الى تمكين القيادة السياسية من توفير عمل لكل فرد ·

(هـ) الصراع الدولى العضوى يؤدى الى تخفيف حدة التوتر داخل البناء النفسى الفردى بين الأنا والأنا العليا من خلال احساس الفرد بمشاركته فى مشروع عظيم الأهمية ·

وتؤدى هذه الأساليب الى تحول الحرب – على الرغم من أهوالها ومآسيها – الى عمل نبيل · وهذه الحالة النفسية تؤدى بالعقلية الفردية والجماعية الى اهمال الخسائر الممكنة من اندلاع الصراع وفى المقابل يتجهان الى رفع وتعظيم درجة الهدف المشترك الى الحد الأقصى ·

والصراع الدولى كظاهرة بشرية من شأنها تولد الشعور لدى الفرد بالتحرر من الارتباكات والقيود التى تعترض طريقة حيث :

(أ) يؤدى الى اضعاف الاحساس بالفردية والمصالح الشخصية بالرغم مما قد يؤدى اليه الصراع من آثار ضارة على هذه المصالح ·

t.me/montlq

(ب) التخفيف من القلق الناجم عن البطالة لما تؤدى اليه حالة التعبئة من اتاحة الفرصة أمام العمالة شبة الكاملة .

(ج) التخفيف من القلق الناجم عن الفوارق الطبقية ، مشاكل الوضع الاجتماعية ومشاكل الهيبة حيث يحس الجميع بنفس الاحاسيس ويتقيد بنفس القيد ويرتبط بنفس الهدف ويتجه بكل قدراته نحو الخطر المشترك .

(د) استرخاء الأنا العليا بما يتحقق من نتائج فى مسار الصراع .

الدافع الرابع المفضى الى الصراع الدولى ـ فى تقدير فلوجل ـ هو دافع العدوان الذى هو نتيجة مباشرة للاحباط عندما تصاب الخطط القومية للدولة بالاخفاق . ويؤكد فلوجل هذه الفرضية بقوله أن الدول التى تتحقق فيها الحاجات الأساسية لشعوبها بصورة معقولة تكون أقل استعدادا من الناحية النفسية للصراع والحرب من تلك التى يسيطر على شعوبها الشعور بعدم الرضا أو الاحباط . فالصراع الدولى يعطى المبررات الأخلاقية للعدوان . فاذا كان العدوان البشرى هو رد فعل للانفعالات الحتمية الناجمة عن ظروف الحياة البشرية وهو مدان بحكم القانون وبمقتضى العقد الاجتماعى الذى يحدد اطار الجماعة ، فى الصراع الدولى وخاصة فى صورته العضوية (الحرب) تحول هذه الظاهرة الضارة (العدوان) الى ظاهرة مقبولة اجتماعيا بل ومطلوبة أيضا .

ويعتقد فلوجل ان *تحليل النفس البشرية* يدعو *الى* الاعتقاد بأن هذه النفس (فردية أو جماعية) فى حاجة الى وجود عدو وهو ما يطلق عليه بالأنا العليا الاجرامية ، حيث تصبح أفظع الجرائم تعبيرا عن أقدس الفضائل فى نظر المجتمع والصراع الدولى يتيح الفرصة أمام تفريغ كل الطاقة العدوانية لدى الفرد تجاه العدو بحيث لا يتبقى لديه أى طاقة عدوانية يمكن توجيهها الى عضو الجماعة التىينتمى اليها . ويترتب على ذلك ظهور عدة صور من التعاون بين الأفراد والجماعات فى الدولة . ويؤدى الصراع الدولى ـ فى اعتقاده ـ الى تخلص الجماعة من الآثار العدوانية الضارة بتوجيهها للخصم كما أنها تتخلص من كثير من العيوب والنواقص .

ويخلص فلوجل الى أن ظاهرة الصراع الدولى ليست ظاهرة طارئة يمكن القضاء عليها بمجرد التمنى وانما تستند الى حقائق نفسية لابد من التصدى لها وتقديم العلاج السليم ليتحقق هدف البشرية . ويتعرض للمنهاجين الأخلاقى والقانونى اللذين تم معالجة الظاهرة بهما وكيف أنهما لم يسفرا عن نتيجة ايجابية . فالمنهاج الأخلاقى أنصبت محاولته على تغيير قلب الانسان بتوضيح

t.me/montlq

مآسى الصراع الدولى والحرب وعدم ملاءمتها للمستوى الانسانى والحضارى المعاصر . لكن هذا المنهاج يواجه عقبة رئيسية وهى البناء الايديولوجى والقيمى للشعوب الذى يشكل العقلية الجماعية من خلال التربية الأخلاقية للفرد ومن ثم تتحدد صفات من هو العدو ويصبح من العسير تغيير تصور وادراك الشعوب فى فترات محددة . والمنهاج القانونى الذى حاول من خلال المنظمات الدولية العالمية (عصبة الأمم والأمم المتحدة) القضاء على الظاهرة قد فشل أيضا بسبب غياب القوة القاهرة القادرة على فرض السلام بالاضافة الى غياب مفهوم الولاء فى المنظمات الفوق قومية .

ويعترف فلوجل بأنه لا توجد وسيلة سحرية متوافرة للانسان تمكنه من القضاء على ظاهرة الصراع الدولى ، ذلك أن العوامل النفسـية التى تدعو للصراع والحرب معقدة ومتشابكة . ولكنه يقترح اتباع منهاج نفسى يرى بأنه كفيل بتحقيق هذه الغاية . وقد أطلق على هذا المنهاج اسم شرط التعادل المعنوى بمعنى أحداث احلال نفسى للدوافع الى الصراع لتصبح دوافع الى التقدم بكل ما يعنيه هذا التعبير من معانى . وتعبير صراع التقدم يتضمن فى أوسع معانيه مفهوم القتال بمعنى حرب الانسـان ضـد الطبيعة . ويرى أن توجيه اهتمام الشعوب نحو تحقيق التقدم كفيل بالقضاء على عدوانية الانسان وتفريغها من آثارها الضارة بخلق ميدان حربى يستنفذ الطاقة العدوانية بأسلوب مفيد ومن أجل غاية مقبولة . والحرب من أجل التقدم تشمل جميع فئات الدولة وعبر كل حقول العمل وهذا كفيل باختفاء الصراع الدولى .

٣ ـ نظـــرية كانتريل :

تركزت بحوث هادلى كانتريل Cantril فى مجال علم النفس السياسى عن ما أسماه بالنفسية التعاملية Transactional . وتقوم نظريته على عدة فروض مؤداها أن ردود فعل الشعوب للأحداث تكون دائما بطريقة آلية . وان رد فعل شعب معين لموقف معين يقوم على أساس عدة افتراضات تكونت فى عقله من خلال تجاربه السابقة ،« فالطريقة التى ننظر بها الى الأشـياء والاتجاهات ، والآراء التى نكونها عنها هى نتاج عدة افتراضات تم تلقينها لنا من خلال تجاربنا فى الحياة .. وبمجرد أن تتكون لدينا هذه الافتراضات أو المسـلمات ينشأ لدينا المقياس الذى نقيس به مدى قبول أو رفض الموقف » .

ويطلق على هذه النظرية اسم النظرية التلقينية Learning فى الصراع الدولى . فهذه النظرية تمنح درجة كبيرة من الأهمية فى صنع السياسة على « الحالة العقلية للشعب الذى تضطلع الحكومة بقيادته فى الداخل والخارج ، حتى

t.me/montlq

يمكن التعبير عن هذه السياسة فى الوقت المناسب وأن يتم اختيار التوقيت السليم لممارستها ، وأن فهم المسلمات التى تنطلق منها أحكام شعب معين ومكونات العقلية توجبه التعرف على شعور هذا الشعب والتعقيدات المرتبطة بآماله وتطلعاته ، احباطاته وتخوفاته ، تقاليده وعاداته ، .. الخ » ..

وقد أجرى كانتريل عام ١٩٤٧ بالتعاون مع عديد من العلماء فى مجالات العلوم الاجتماعية المختلفة فى اطار برنامج اليونسكو بحثا عن « تأثير التوترات على التفاهم الدولى » للوقوف على أسباب العدوان فى السياسة الدولية . وقد وافق الخبراء على اصدار بيان مشترك نشر باسم « التوترات المسببة للحرب » . ودعا القرار الثانى فيه الى ضرورة التعرف على المفاهيم التى تشكل عقلية شعب معين ورؤيته للدول الأخرى . وقد أجرى البحث دراسة ميدانية على عدد من الدول : الولايات المتحدة ، المكسيك ، استراليا ، بريطانيا ، فرنسا ، المانيا ، ايطاليا ، هولندا والنرويج .. وقد توصلت الدراسة الى أن النظرة العدوانية لشعب ما الى شعب آخر تتكون نتيجة احساس الشعب الأول بتدخل الشعب الآخر فيما يعتبره الشعب الأول هدفا مهما يسعى لتحقيقه .

ويرجع معظم علماء النفس ظاهرة الصراع الدولى الى التصور القومى القائم على مجموعة من المعتقدات تؤدى الى الاحتفاظ بفكرة نمطية ثابتة عن الأمم الأخرى دون بذل محاولات للتغيير فى سماتها أو فى مضمونها بما يتلاءم والتغيرات التى تحدث فى الواقع . والتصور القومى يتشكل عن طريق « وجود نمط منظم حول موضوع معين فى داخل نظام المعرفة الفردية بحيث تتشكل نظرة الفرد بما يجب أن يكون عليه هذا الموضوع » .

والتصور القومى N. Image المسبب للصراع الدولى يأتى من خلال النظرة التاريخية التقليدية لشعب دولة الى دولة أخرى . وهذه النظرة هى عبارة عن صورة تتكامل أبعادها فى عقل المستقبل من خلال الارسال الذى يأتيه من : نظام التعليم ، الفلكلور ، الاخبار وقنوات اجتماعية أخرى . وعادة ما نجد التوترات بين الجماعات ، القرارت التى تقود الى الصراع بين الجماعات أو الصراع الدولى انعكاس لما هو موجود فى عقول الأفراد ، وغالبا ما تكون مبنية على تقديرات سياسية فاسدة . والتصور القومى يكتسب أبعاده من الرسائل المستقبلة من الماضى البعيد وليس مجرد تراكم بسيط للرسائل المستقبلة بشأن موقف تحدد من حيث الزمان والمكان ومن ثم فهو هيكل ضخم من الرأسمال الاعلامى .

ولما كان التصور القومى عبارة عن خليط من تصورات الأفراد فى الدولة

t.me/montlq

فاننا نجد تصورات متعددة بالضرورة • ولكن هناك تصور مجموعة صغيرة من الشعب يكون لها الوزن الأكبر فى التأثير ـ بطرق متعددة ـ على التصور القومى ونعنى صناع القرار الذين يتخذون القرارات الهامة • وتتأثر تصورات الغالبية العظمى من الجماهير بتصور هذه المجموعة ، وان كانوا يشاركون بطريق غير مباشر فى صنعها • وتتوقف درجة المشاركة على طبيعة النظام السياسى حيث تكون بدرجة كبيرة فى النظم الديمقــراطية وبدرجة أقـل فى النظم الدكتاتورية والشــــمولية •

وبالرغم من حقيقة تأثير صناع القرار على تشكيل التصور القومى الا أنه من الخطأ الاعتقاد بقدرة صناع القرار على فرض التصور القومى على الجماهير بالقوة ، فالتصور القومى فى غالبية الأمم تصور جماهيرى • ويطلق بعض الكتاب تعبير تصور القوم Folk Image على مفهوم التصور القومى على أساس تكونه من خلال التلقين الأسرى ، التقاليد والعادات والنظرة الى الوجود وعلاقات الأشياء ، وقد ميز هذا الاتجاه بين التصور القومى الجماهيرى والتصور القومى المفروض فالأول هو تصور القوم والثانى هو تصور صناع القرار •

وتختلف درجة وجود ورسوخ التصور القومى الجماهيرى (تصور القوم) فى الدول المختلفة وفقا لقدم تاريخ الدولة • ففى الدول القديمة يشارك التصـور الجماهيرى بدرجة كبيرة فى صنع التصور القومى ، بينما نجد هذه المشاركة ضعيفة للغاية فى الدول الحديثة التى مازالت تناضل من أجل اكتساب هويتها القومية وحيث لا تشكل تقاليد الأسرة والثقافة العنصر المسيطر فى تشكيل هذه الهوية •

وتخلص هذه النظرية الى أن التصور القومى سواء للدولة المعنية أو للدول الأخرى أو الأحداث الدولية لا يعكس ـ غالبا ـ الواقع وأبعاده المادية الأمر الذى يرفع بالطبع من احتمالات سوء الفهم والتحيز وتوليد المشاعر العدائية الى جانب أسباب وحقائق موضوعية • وهذه المشاعر هى المفضية الى خلق الصراع الدولى وتفجير الصدام بين الدول • والوســيلة الناجعة ـ فى تقدير هذه النظرية ـ للقضاء على ظاهرة الصراع الدولى هى محاولة تغيير التصــورات القومية العدائية •

٤ ـ نظــرية المــرآة :

نما خلال العقد الأخير الاهتمام الكبير من جانب علماء النفس الاجتماعى بالبحث فى أسباب الحرب الباردة التى أصبحت تميز التاريخ المعاصر وبصــفة خاصة بين الدولتين الأعظم • وتقوم هذه النظرية على افتراض تولد شعور

t.me/montlq

عدائى وانماط فكرية فاسدة لدى شعبى دولتين تدخلان فى مواجهة عدائية لفترة زمنية طويلة . فكل شعب يرى فى نفسه أنه فاضل ، متحلى بضبط النفس ومحب للسلام ، ويرى فى نفس الوقت شعب الدولة الخصم أنه مخادع ، استعمارى ومحب للحرب Warlike . وينظر كل طرف الى الطرف الآخر على أنه ميال الى العدوان وأنه غير جدير بالثقة .

ويترتب على هذا الشعور النفسى المتبادل بين الدولتين المتصارعتين تحديد مفهوم العدو الذى يوجب من الناحية الأخلاقية على المواطن أن يعد نفسه لقتال محتمل مع هذا العدو . ويؤدى هذا الشعور النفسى الى ضغط الشعب على حكومته لرفع كفاءتها واستعدادها العسكرى من أجل تدمير العدو . ويصبح مزاج الحرب والصراع المسيطر على الشعب والقيادة ما هو الا نتاج خالص للمبيتات العدائية تجاه الخصم .

ويقدر علماء النفس الاجتماعى أن الشعور النفسى لدى شعب معين بأن هناك عدو له يمكن أن يساعد على خلق الموقف الصراعى فى علاقات الدول حتى وأن لم يكن هذا الشعور له ما يبرره من الناحية الموضوعية . فالحالة النفسية للخصوم تؤدى الى اندلاع الصراع بينهم ، فاذا وصل الشك لدى أحد الأطراف الى مداه ، فانه يفسر التحرك الدفاعى للطرف الآخر على أنه عمل استثارى مما يؤدى الى دفعه لاتخاذ اجراءات معينة تستثير بدورها الطرف الآخر ليزيد من تحركاته الدفاعية الأمر الذى يؤكد شكوك الطرف الأول .

ولقد استخدم علماء النفس الاجتماعى الامريكيون هذه النظرية لشرح جوانب معينة من العلاقات الأمريكية السوفيتية وتفسير مسلك خروتشوف المناقض لمسلك سلفه ستالين فى الاتحاد السوفيتى وتصوراتهما للسلام والعدوان . ويجادل البعض بأن هناك تماثل فى نظرة الفرد الأمريكى والفرد السوفيتى كل للآخر . فالأمريكيون والسوفييت يعتقد كل منهما أن الآخر : عدوانى ، حكومته تستغل الشعب ، غالبية الشعب غير راضية عن النظام . لا يمكن الثقة فيه وأن سياسته تتصف بالجنون .

وتواجه هذه النظرية صعوبات علمية عديدة ، مرجعها الاستعداد النفسى للباحث الذى يراقب الظاهرة ومن ثم تصبح النتائج التى يتوصل اليها عرضه للايعاز Insinuation . ومن الصعب قصر العلاقات بين الجانبين على العدوان أو الدفاع والقاء مسئولية الصراع الدولى والتوتر على كل الأطراف بدرجة متساوية . وقد حذر رالف Ralph من الاعتقاد بأن تصور كل من

t.me/montlq

جانبين للآخر مجرد تصور فاسد وأكد أن هناك على الأقل درجة من الصدق الواقعية ٠

ـ نظـــرية فيســـــتنجر :

لاقت نظرية فيستنجر Festinger عن المعرفة المتنافرة Cognitive Dissonance اهتمام الأوساط العلمية فى مجال دراسات الصراع الدولى اعتبرها العديد من الثقاه نظرية تستحق العناية لتفسير الظاهرة ووضع الأسس كفيلة بمواجهتها ٠ والنظرية فى أبسط صورها ترى أن الصراع يرجع الى الميل عادى للانسان نحو محاولة الاقلال من الاختلاف والتنافر الذى يعترى معلوماته معرفته فيما يتعلق بقيمه ، بيئته وسلوكه ٠

وقد تعرضت هذه النظرية لتفســـير ظاهرة الثورة الداخلية فى المجتمع سياسى ٠ فهى ترى أن الناس عندما يتصورون وجود هوه واسعة بين المثل لاجتماعية والواقع الفعلى للنظام السياسى القائم ، فانهم يعانون من التوتر نفسى ويحاولون البحث عن وسائل لانقاص هذا التنافر وعدم التوافق ٠ وهؤلاء لناس غالبا ما يتجهون للانضمام أو مؤازرة التنظيمات الثورية فى المجتمع من جل اقامة وسط يتمشى ورؤيتهم المثالية ٠

ويتحدد سلوك الأفراد وفقا للظاهرة التى يطلق عليها النفسيون « الصراع لاقترابى الابتعادى ، فى أنماط ثلاثة يتم ترجيح أى منها حسب أسلوب المكافأة والعقاب التى يتبعها النظام السياسى على النحو التالى :

١ ـ الانسحاب من التأييد للنظام السياسى القائم دون اتخاذ أى موقف مناوىء أو دعم مثل هذه الاتجاهات ٠

٢ ـ الانسحاب من التأييد للنظام السياسى القائم مع مؤازرة سلبية للقوى المعارضـــــة ٠

٣ ـ معارضة النظام القائم من خلال العنف والانضمام الى التنظيمات الثورية ٠

ويحاول أنصار النظرية توضيح فعالية النظرية لتفسير ظاهرة الصراع الدولى عن طريق نقل ميكانيزم النفسية الفاعلة من الأفراد العاديين فى حالة الثورة الداخلية الى الأفراد صناع القرار فى حالة الصراع الدولى ٠ فاذا افترضنا

t.me/montlq

ـ على سبيل المثال ـ أن قادة دولة ما تتوافر لديهم القناعة على أسس ايديولوجية بأن أمن بلادهم الدائم لا يمكن تحقيقه الا بتدمير أو نزع سلاح خصمهم التى يمثل وجوده المسلح تهديدا لنظامهم القيمى ، ولكن مع تزايد قوة الخصم وتزايد مخزونه من السلاح النووى فان هذه القيادة سوف تتحقق من أن اللجوء الى ممارسة الأعمال العدائية المباشرة ضد الخصم سوف تكون بمثابة انتحار متبادل ٠

هذا الموقف سوف يخلق لدى معظم هؤلاء القادة بحالة تنافر للمعرفة وانهم فى محاولتهم لانقاص التوتر الناجم عن هذا التنافر يقيمون نماذج جديدة من المعرفة فيما يتعلق بالأوضاع الاستراتيجية الدولية ٠ وتتجه هذه القيادة الى تبنى فكرة حماية الأمن عن طريق توازن الرعب النووى بدلا من القضاء على العدو ، ولكن فئة أخرى من القادة سوف تسعى لأنقاص توترها عن طريق ابراز التناقض القيمى والايديولوجى مع الخصم واتخاذ الاجراءات الكفيلة بالحفاظ على نظامهم القيمى بعيدا عن الاختلاط بالنظام القيمى للخصم ٠ أما الفئة الثالثة فسوف تسعى لأنقاص توترها بعدة أساليب منها :

١ ـ محاولة تجريد الخصم من أسلحته النفسية أكثر من محاولة تجريده من أسلحته العسكرية ٠

٢ ـ محاولة اقناع الذات بأن ضربة استراتيجية أولى للعدو سوف تحقق التفوق الاستراتيجى ٠

٣ ـ تصور ظهور قوة ثالثة تمثل تهديدا لهم ولخصمهم بحيث يسعى العدوان التقليديان نحو التعاون بدلا من الصراع من أجل استيعاب القوة الجديدة ٠

٦ ـ اتجاهات نفسية أخرى :

بالرغم من استمرار سيطرة فرض العدوان الاحباطى على النظريات النفسية للصراع الدولى فقد ظهرت نظريات أخرى للصراع ٠ وهذه النظريات تؤكد فى غالبها الأعم نتائج النظريات السابقة أو تجرى تعديلات طفيفة على نتائجها ٠ وقد تناولت هذه النظريات ظواهر نفسية مثل : المحاباه Bias التحيز Prejudice والنمطية Stereotypes والدور الذى تلعبه هذه الظواهر النفسية عن طريق التعليم ونظم الاتصال الجماهيرى فى تشكيل الاتجاهات داخل الجماعة وفى مواجهة الجماعات الأخرى ٠ وتؤدى هذه الظواهر عندما يتم استغلالها بواسطة وسائل الاتصال الجماهيرى الى زيادة عدم التأكد والاحساس بالاحباط ومن ثم تنشأ ظاهرة الصراع ٠

t.me/montlq

وقد تعرضت نظرية كارن هورنى عن القائد السياسى الذى يعانى من المرض العصابى Neurotic وعلاقة هذه الظاهرة بالصراع الدولى • فقد شرحت هذه النظرية طبيعة هذه الشخصية ووصفتها بأنها شخصية باحثة عن العظمة ويضع صاحبها نفسه فى صورة مثالية كما يطلب دائما الانتصار والنجاح المدوى والمرىء فى نفس الوقت وخلصت هذه النظرية الى أن هذه الشخصية غالبا ما تعرض صاحبها فى طفولته الى الاذلال • وهذه الشخصية المتوترة والباحثة عن العظمة غالبا ما تجد فى خلق الصراعات الدولية متنفسا لتوتراتها ورغباتها •

وهناك عديد من النظريات التى ترى الصراع الدولى نتيجة لكون الجماعات القيادية أو جزء منها ـ فى الدول المتصارعة ـ ضحية لأمراض عصبية أو نفسية •

تقويم النظريات النفسية :

تعطى النظريات النفسية فى تفسير وشرح ظاهرة الصراع الدولى أهمية خاصة للعوامل الفردية ، فالصراع فى تقديرها حقيقة فردية تثور أساسا بين الأفراد أما الصراع فى أبعاده الاجتماعية والدولية فانه ينظر اليه بالقياس الى الصراع بين الأفراد • وترى النظريات النفسية فى ظاهرة الصراع الدولى أنها ظاهرة تنشأ نتيجة عوامل حسية وغريزية ترتبط بالعاطفة ولا تخضع لاحكام العقل • والنظريات النفسية تنكر وجود الشر بين البشر وتعتبر هذه الظاهرة عبارة عن رغبات مكبوتة لم تتحقق للانسان مما يخلق الدوافع الى العنف •

وبالرغم من أهمية العامل النفسى فى نشأة الصراع الدولى وتطوره فان ما ذهبت اليه النظريات النفسية من جعل الصراع الدولى حقيقة نفسية خالصة أمر لا يمكن التسليم به علميا • فالقول بأن السلوك البشرى ليس الا نزولا على أحكام الدوافع والغريزة لايمكن قبوله بصفة مطلقة فغالبية تصرفات الانسان تخضع لاحكام العقل والقلة منها هى التى تحكمها العاطفة ، ويقل تأثير العاطفة كلما انتقلنا من الدائرة الفردية الى الدوائر الانسانية الأكبر حتى يصبح العقل على الصعيد الدولى هو الحكم الرئيسى للسلوك الدولى •

وتقوم الغالبية العظمى للنظريات النفسية التى تعرضت لظاهرة الصراع الدولى على أساس فرض العدوان الاحباطى ، وانتقال هذه الظاهرة من المستوى الفردى الى المستوى الاجتماعى • وتواجه عملية تحول الاحباط من الصعيد الفردى الى الصعيد الاجتماعى عدة مشاكل علمية أهمها مستوى الملاحظة • فاذا كان من السهل اثبات صلاحية فرض العدوان الاحباطى من الناحية التجريبية على الصعيد الفردى فان من الصعب التوصل الى نفس النتائج وبنفس القدر

t.me/montlq

من الصلاحية على صعيد سلوك الجماعات والدول · واذا كانت الاستجابة العدوانية فى حالة الأفراد يمكن حصرها فى فترة زمنية محددة لا تتعدى الأيام أو الأسابيع ، فان الاستجابة العدوانية على الصعيدين الاجتماعى والدولى لا تتم فى وقت معلوم بحيث يمكن اخضاعها للتجربة مما يضعف اقامة البرهان العلمى للربط بين الاحباط والعدوان ·

والاستجابة للمواقف الاحباطية على الصعيدين الاجتماعى والدولى تختلف من حيث الدرجة والمدى وفقا للقيم الثقافية للجماعات والدول المختلفة داخل الهيكل الاجتماعى أو الدولى · وتتأثر هذه الاستجابة بالعوامل الاجتماعية أكثر من استجابتها للعوامل النفسية · ولقد كانت محاولات مدرسة العدوان الاحباطى لتحريك الظاهرة من المستوى الفردى الى المستوى الاجتماعى معتمدا على الاستدلال المنطقى أكثر من اعتماده على الاستدلال التجريبى · ويعتبر مفهوم اجتماعية .Socialization العدوان هو المفهوم الذى بنيت عليه الجهود الأكاديمية لشرح ظاهرة الصراع على المستويين الاجتماعى والدولى ·

والواقع أنه بلاشك يعتبر الاحباط البشرى جزء هام ـ بصرف النظر عن حجمه ـ من أسباب اندلاع الصراع الاجتماعى كما أن انتشار ظاهرة الاحباط يؤدى الى زيادة العدوان الذى يفسر الاتجاهات العدائية تجاه جماعة اجتماعية داخليا أو دولة أجنبية خارجيا · واذا كان الاحباط يمكن أن يقدم امكانية لقيام الصراع الدولى ، لكن الظاهرة تبقى فى حاجة الى تحديد عناصر واضحة تكون بمثابة آليات الحركة المؤدية لاندلاع الصراع الدولى على أساس نفسى ·

لقد أصبح علماء النفس ـ اليوم ـ أكثر ترددا بالقياس الى اسلافهم منذ ثلاث عقود خلت فيما يتعلق بالمجازفة بتفسير وشرح السلوك الاجتماعى المعقد ـ وبصفة خاصة الأحداث الدولية ـ من منطلق معلوماتهم عن السلوك الفردى · فقد افترض بعض علماء النفس الأوائل الذين تناولوا ظاهرة الصراع ، أن عدوان الجماعة هو مجرد نتيجة فرعية للعدوان الفردى · وأخذوا بالمفهوم الافلاطونى بأن الدولة ما هى الا انسان كبير وأطلقوا التشابه النفسى بين السلوكين بناء على هذه الفرضية ·

ويعتبر علماء النفس الاجتماعى أقل اقتناعا بهذا المنطق · وعلى الرغم من من توافر مادة علمية مشتركة بين السلوكين الفردى والجماعى فى دراساتهم ، الا أنهم يتوخون قدرا كبيرا من الحذر فى تطبيق نماذج السلوك الفردى على الجماعة والدولة · وينتقد بعض الكتاب هذا المنهاج الفردى لأن فيه تجاهلا لحقيقة هامة وهى أن الأفراد يختلفون كثيرا من حيث أدوارهم ، مصالحهم وقدرتهم على التأثير على قرارات الدولة ·

t.me/montlq

ويرى كيلمان Kelman أنه لا توجد نظرية نفسية مستقلة فى الصراع والعلاقات الدولية ، ولكن توجد فقط نظرية عامة للظاهرة حيث تلعب نتائج علم النفس دورا فيها • وأضاف أن الصراع الدولى العضوى (الحرب) هو اشتباك والتحام عضوى بين الأفراد الا أنهم لا يتصرفون بالضرورة بناء على دوافع عدوانية وبالرغم من أن سلوك بعض القادة يتسم بالعدوانية فانه يعتقد أن ذلك يتم نزولا على اعتبارات استراتيجية فى المقام الأول • والصراع الدولى - فى نظره - عمل اجتماعى يتم تسييره داخل الاطارين القومى والسياسى الدولى وفقا لعوامل عديدة منها دوافع ومدركات صناع القرار •

ويؤيد غالبية المتخصصين فى العلوم السياسية والعلاقات الدولية نتائج كيلمان ويعتقدون فى صلاحيتها ليس فقط بالنسبة لظاهرة الصراع الدولى وانما أيضا بالنسبة لكافة أنواع الصراعات الاجتماعية الكبرى كالثورات ، الانقلابات حرب العصابات والعصيان المدنى • فالعوامل النفسية بمفردها غير قادرة على تفسير ظاهرة الصراع الدولى وينشغل كثير من الدارسين فى مجال العلوم الاجتماعية حاليا بفحص فرض « افلاس العامل الواحد فى تفسير الظاهرة الاجتماعية » •

نظريات صنع القرار

منذ نهاية الحرب العالمية الثانية تزايد الاهتمام الأكاديمى بدراسة القرار السياسى باعتباره عنصرا مركزيا فى العملية السياسية كما أضحى يستحوذ على تركيز خاص فى مختلف الدراسات الاجتماعية • وتعتبر الدراسات والنظريات القرارية أحد الميادين التى تفرض علم السياسة كثقافة مستقلة ، ومبرر لعملية التحليل السياسى وما وصلت اليه هذه العملية فى استخدام أساليب البحث الميدانى والتحليل الرياضى والاحصائى لصنع القرار السياسى •

وقد حاول عدد من علماء السياسة جعل عملية صنع القرار السياسى منطلق بناء علم السياسة بكافة أبعاده • فقد حدد أيستون هدف علم السياسة « الاسناد الاكراهى للقيم » وهى فى جوهرها قرار سياسى يصدر عن السلطة الحاكمة فى الدولة • واقترح هارولد لاسويل Lasswell بأن تكون عملية صنع القرار السياسى بمثابة الاطار النظرى الموحد الذى يستوعب كافة أجزاء العملية السياسية سواء أن كانت محلية ، مقارنة أو دولية • وقد حاول من خلال هذا الأسلوب تنظيم المعلومات الاجتماعية لتوضيح هامش الاختيار وبناء النماذج اللازمة للتنبوء بمسار الأحداث المستقبلية • ويمكن القول أن عملية صنع القرار هى فعل Act الاختيار من بين البدائل المتاحة ، وحيث تحيط بهذا الاختيار درجة معينة من درجات عدم التأكد •

t.me/montlq

والحياة السياسية لا تعدو أن تكون مجموعة متتاليةمن المواقف • وكل موقف يفرض على السلطة التى تمارس أعمال السيادة انهائه والتخلص مما يستتر خلفه من صراع وبعبارة أخرى أن تضع حدا لحالة التوتر التى فرضها هذا الموقف • ومن ثم يصبح القرار السياسى « نوع من الاعلان السلطوى عن أسلوب التخلص من حالة من حالات التوتر من جانب الطبقة الحاكمة » •

والقرار السياسى ـ بصرف النظر عن المجال الذى يصدر بشأنه ـ يملك عدة خصائص رئيسية هى :

١ ـ القرار السياسى ينبع ويتحدد بالموقف السياسى وهو تعبير عن ديناميكية الوجود السياسى •

٢ ـ القرار السياسى هو خاتمة لتطور سياسى ومقدمة لتطور سياسى آخر يتلوه •

٣ ـ القرار السياسى ليس هو التخطيط السياسى Political Planning أو التدبير السياسى Policy Making • فالقرار السياسى هو الجزئية التى يتكون من مجموعها ـ وقد انفرجت الدائرة فأضحت تمتد زمانا وتنسحب مكانا وموضوعا ـ التخطيط السياسى أو التدبر السياسى • فاذا كانت العلوم العسكرية تفرق بين التكتيك والاستراتيجية ، فان العمل السياسى يفرض نفس التفرقة بحيث يصير القرار السياسى بمثابة التكتيك من التدبر السياسى الذى يصير مرادفا للاستراتيجية •

٤ ـ القرار السياسى هو أداة من أدوات تحقيق التوازن ازاء المتغيرات المتجددة أو الجديدة التى تفرض نوعا من التوتر بين القوى السياسية وبالتالى صورة من صور الاختلال فى التوازن بين أجزاء الجسد السياسى • وهو بتعبير ايستون « مخرجات outputs النظام السياسى » •

وقد ظهر مفهوم القرار ـ بصور ضمنية على الأقل ـ فى الكتابات التقليدية ـ فى مجال التاريخ الدبلوماسى ـ الا أن بداية استخدامه بصورة نظامية كان فى علم الادارة العامة • وكان أول من أدخله فى اطار الدراسات الحديثة فى العلوم السياسية هو ريتشارد سنيدر • أما علماء النفس فقد اهتموا بالدوافع التى تكمن وراء قرارات الأفراد وأسباب صعوبة اتخاذ القرار • وركز الاقتصاديون اهتمامهم على دراسة قرارات المستهلكين ، المستثمرين ، المنتجين •• الخ التى تؤثر فى قراراتهم على الاقتصاد • وحاول علماء ادارة الأعمال ـ من خلال

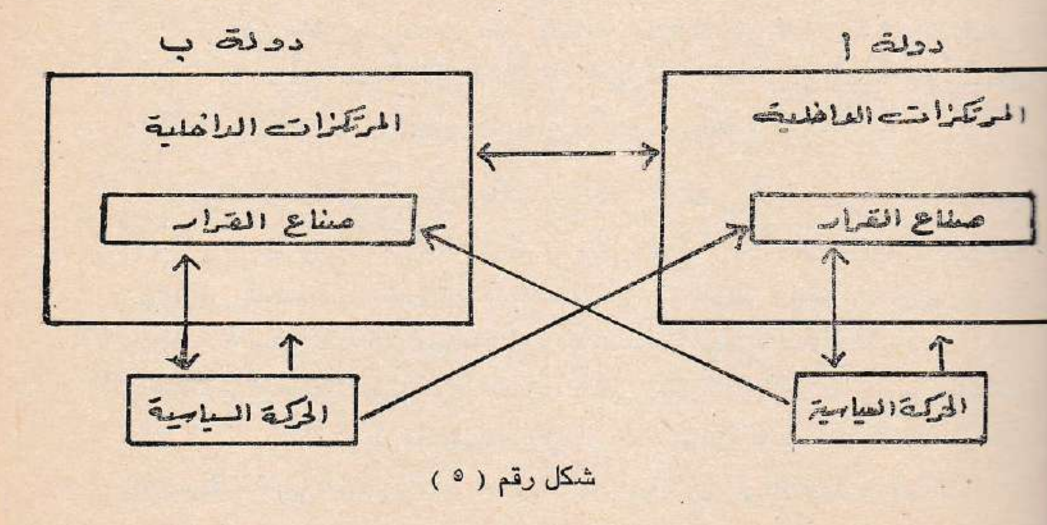
t.me/montlq

دراساتهم لصنع القرار ـ زيادة فاعلية القرار التنفيذى فى التنظيمات الفنية والادارية · وقد اجتذب المفهوم ـ بعد ذلك ـ علماء السياسة المهتمون بتحليل السلوك القرارى للناخبين ، الرسميين التنفيذيين ، رجال السياسة ، قادة جماعات المصالح والقوى الفاعلة فى المجال السياسى ·

وتقضى دراسة الصراع الدولى بطبيعة الحال ، التركيز بصفة أساسية على صنع قرارات السياسة الخارجية التى هى قطاع متخصص من الظاهرة السياسية العامة · ويعتبر قرار السياسة الخارجية أكثر تعقيدا من قرار السياسة الداخلية لأن المعلومات المتاحة لصناع الأول حول الموقف تكون أقل كما أن بدائل الاختيار أكثر غموضا · وعملية صنع قرار السياسة الخارجية ليست عملية تجريدية أو اختيار مثالى ولكنها عملية واقعية تولى أهمية كبرى للنتائج التى يسفر عنها الأختيار ·

ان أى نظرية تتعرض لعملية صنع قرار السياسة الخارجية عليها أن تحسب بدقة أبعاد الموقف قبل وبعد اتخاذ القرار وان تولى اهتماما كبيرا للعناصر المتحكمة فى الموقف · والقرار عبارة عن مزيج معقد من التفاعل بين مرتكزات الحياة السياسية الداخلية فى شكل مدركات لدى صناع القرار وتفاعل هذه المدركات مع مدركات صناع القرار فى الدول الأخرى والتى تكون نتيجته الاقدام على الحركة السياسية التالية فى صورة قرار · ويتضح ذلك من الشكل التوضيحى التالى :

« التفاعل القرارى »



شكل رقم (٥)

t.me/montlq

وتأخذ نظرية صنع القرار شكل الاطار المفاهيمى وليس الشكل التقليدى للنظرية الذى عادة ما يكون فى صورة : جملة شرطية « اذا ٠٠ عندئذ » وهى وان أولت أهمية لعملية تنظيم المادة العلمية فانها لا تضع الفروض أو تخضعها للفحص بصفة مطلقة أو نسبية ٠ وعندما يقال أن نظرية صنع القرار ليست سوى اطار مفاهيمى فان ذلك يعنى أنها تقوم بتقديم قائمة شاملة ومفيدة للعوامل التى يتوجب أخذها فى الحسبان فى عملية التدبر السياسى ، والنظرية وان كانت تقدم امكانية وجود علاقات تبادلية بين المتغيرات التى تتحكم فى الموقف الدولى فانها لا تقيم علاقات ارتباطية بين هذه المتغيرات ولا هى تتضمن بالضرورة فروض تقود الى التنبوء بالسياسة أو القرار الذى يتوجب على صانع القرار اتخاذه ازاء موقف دولى تحدد زمانا ، مكانا وموضوعا ٠

وترفض نظرية القرار مقولات الفكر الهيجلى الذى يرى فى الدولة القومية شخصية محددة وارادة منفردة ، ويعتبرها تجريدات ميتافيزيقية ، وترى أن تعبير الدولة يرادف تعبير صناع القرار الرسميين فيها ـ وهم مجموعة من الأفراد يملكون سلطة الفعل فى مختلف الشئون الحياتية ـ وأن حركة الدولة هى فى حقيقتها حركة أولئك الذين يفعلون باسمها ٠ وتصبح القوى الفاعلة الدولية ـ فى تصور أنصار النظرية ـ هم الأفراد صناع القرار فى دولهم ، كما تصبح ظاهرة الصراع الدولى وليدة ارادة الشخصيات الصانعة والمؤثرة فى السياسة الخارجية للدول ٠ وبتعبير آخر تتحدد نشأة وتطور وانتهاء أى صراع دولى وفقا لارادة مجموعة من الأفراد فى الدولة يملكون سلطة اتخاذ قرار السياسة الخارجية وتنفيذه ومتابعة هذا التنفيذ ٠

وتركز النظرية اهتمامها على العوامل المؤثرة على تصرفات الأفراد صناع القرار ولا تولى أهمية للارادة المجازية للدولة ٠ كما تولى أهمية للشكل والأسلوب الذى يتم به اتخاذ القرار أو ما يعرف بالوحدات القرارية ٠

ويتم صناعة قرار السياسة الخارجية ـ المفضى الى الصراع أو التعاون الدولى ـ من خلال الادراك الشامل من جانب صانع القرار للوسط الذى يحيط به ويتضمن السمات البارزة لنظامه السياسى القومى والنظام الدولى بصورة شاملة ٠ وعلى ذلك فان نظرية القرار ذات علاقة بنظرية النظام الدولى ٠ وهذه العلاقة تمثل العلاقة التى تربط الجزء بالكل وذلك خلال الادراك الحدسى لصانع القرار بالمعوقات التى تواجه الهدف على أصعدة نظامية عديدة ٠ وانطلاقا من هذه الحقيقة نستطيع الالمام بالدور الهام الذى تلعبه العوامل النفسية فى تشكيل ادراك

t.me/montlq

صانع القرار . وبالرغم من احتياج النظرية للاتفاق حول دور الادراك فى عملية صنع القرار فان هذه القضية مازالت موضع اختلاف بين العلماء .

ونظرية القرار تقوم على افتراض أساسى وهو « السلوك العقلانى » واذا كانت معرفة السلوك الفردى تدعو الى التسليم بدرجة من اللاعقلانية فان افتراض النظرية للعقلانية أمر ضرورى من الناحية العلمية ، ذلك أن استخدام نموذج العقلانيين هو معيار قياس السلوك اللاعقلانى . ويرى سنيدر أن العقلانية عنصر يتوجب علينا اكتشافه وليس عنصرا يؤخذ على أعنته ولذلك فان النسق الفكرى للنظرية يجب أن يؤسس على السلوك الغرضى Purposeful الذى يمليه دافع واضح فهو ليس مجرد نشاط عفوى .

والصراع الدولى هو فى حقيقته نتيجة حركة مجموعة من الأفراد التى عادة ما يطلق عليها حركة الدول المتصارعة وهى فى حقيقتها حركة صناع القرار فى هذه الدول وحركة الدول أو صناع القرار هى نتيجة لادراك الموقف أو المشكلة ، ويتحدد مسار الحركة وفقا لتعريف صناع القرار للموقف فى علاقته بالمشكلة التى تواجههم ؟ ونظرتهم الى الأهداف ، الظروف والقوى الفاعلة الأخرى ؟ ويصبح الصراع الدولى هو محصلة التفاعل الذى يتم داخل الوحدات القرارية فى الدول المتصارعة والذى ينشأ فى شكل قرار يؤدى الى خلق حالة التأزم الدولى . وتركز نظرية القرار على أهمية الوحدة القرارية فى صنع قرار السياسة الخارجية . ويتوجب على الباحث الذى يتولى تحليل قرار السياسة الخارجية أن يكون قادرا على تحديد هوية مجموعة الأفراد المناطة بصنع هذا القرار ، وتحديد موقع هذه المجموعة المؤسسى Institutional . والصراع الدولى ـ وفقا لنظرية القرار ـ ظاهرة تنبع من وظيفة الهيكل التنظيمى لعملية صنع القرار ولذلك يختلف مساره وفقا لاختلاف طبيعة النظام السياسى من حيث ديمقراطية أو دكتاتورية النظام وشكل التنظيم الحكومى داخل النظام السياسى . فالأزمة الدولية هى فى جوهرها قرار « يمليه موقف ينشأ دون تخطيط مسبق ولا يتيح سوى فترة زمنية قصيرة للاستجابة ، ويكون لمدى وشكل الاستجابة نتائج ذات قيمة عالية » .

والصراع الدولى باعتباره قرار ـ يقوم بتشكيله صناع القرار فى مجال السياسة الخارجية ـ يخضع ـ شأنه شأن عملية صنع القرار ـ لمحددات ثلاثة رئيسية هى :

١ ـ مجالات الاختصاص Spheres of Competence

t.me/montlq

٢ ـ الاتصال والاعلام Communication and Information

٣ ـ الدوافع Motivation

فالصراع الدولى وفقا للنسق الفكرى الذى قدمته مجموعة سنيدر تحدده متغيرات ثلاثة رئيسية • المتغير الأول يتمثل فى كون أن مدركات صانع القرار تتشكل وفقا للمعلومات والاخبار التى تصله من خلال النظام القرارى Decisional System المتاح أكثر من تشكلها بما تحويه الذاكرة الفردية من معلومات • والمتغير الثانى يرتبط بالدوافع باعتبارها اتجاهات وأطر مرجعية يجب توصيلها من خلال النظام القرارى حتى يمكن تحقيق حد أدنى من الاتفاق على الأهداف ، تحقيق الاندماج للمدركات ومن ثم التوصل الى وجود تعريف متفق عليه بين صناع القرار للموقف الدولى • والمتغير الثالث يرتبط بتأثير الدوافع فى صناعة القرار وفقا لمجال اختصاص صانع القرار ومدى قوته وعلاقاته وتدريبه ومهارته وتزداد أهمية هذا المتغير وفقا لطبيعة شبكة الاتصالات فى النظام القرارى وشكل القيادة والقواعد التى تحدد شكل وهيكل الاختصاص فى صنع قرار السياسية الخارجية •

ان التعرف على طبيعة أى صراع دولى والمدى الذى يمكن أن يصله وكذلك طريقة تناوله وادارته يوجب التعرف على أدوار صناع القرار داخل أى نظام قرارى • وهذا الدور يتحدد من خلال الاجابة على الأسئلة التالية :

١ ـ ما هى الخصائص المميزة للعلاقات بين الوحدات القرارية ومجالات اختصاصها ؟

٢ ـ ما هى درجة تأثير الدوافع على عمل هذه الوحدات ؟

٣ ـ ما هى طبيعة شبكة الاتصالات داخل النظام القرارى ؟

٤ ـ ما هى طبيعة ، حجم وطريقة توزيع المعلومات داخل النظام والوحدات القرارية ؟

٥ ـ ما هى التأثيرات المتبادلة لاطراف صنع القرار ؟

والاجابة على هذه الأسئلة تحدد حركة الدولة وبالتالى أسلوب اقترابها من المواقف الدولية بأسلوب صراعى أو تعاونى •

والواقع أن خصائص الدولة العصرية هو عملية صنع واعداد القرار السياسى ـ بغض النظر عن شكل الدولة وخصائص الممارسة السياسية

ـ يفترض مجموعة من المتغيرات على القيـــادة أن تكون واعيــة بها فى كل تحركاتها طالما ارتبطت بالصـــالح القومى . وعملية صنع القرار الســياسى تفرض مجموعة من المبادىء والمراحل تلزم صناع القرار الالتزام بها قبل صياغة القــــــرار .

ويمكن تلخيص المبادىء فى خمس قواعد أساسية هى :

١ ـ القرار السياسى هو جزئية يجب أن تندرج فى اطار عام أكثر اتساعا وهو الحركة السياسية أو السياسة القومية .

٢ ـ القرار السياسى هو دائما قرار جماعى سواء من حيث اعداده ، اصداره وتنفيذه .

٣ ـ اعداد القرار يجب أن يكون من صــنع مؤسسات الخبرة السياسية المستقلة عن السلطة وذات الطابع المهنى المتخصص .

٤ ـ واذا كان قرار السياسة الخارجية له الصفة القومية فان ذلك يوجب طرحه على أكبر قسط من عناصــر المجتمع الســياسى المستنير تبعا للظروف والمتغيرات لخلق المساندة له .

٥ ـ عملية الاختيار فى القرار يجب أن تخضع أساسا لعلاقة التوازن بين المنفق والعائد أو ما يطلق عليه اقتصاديات القرار .

ويقدم الفقه السياسى مجموعة من المراحل يفترض أن تمر بها عملية صياغة قرار السياسة الخارجية وهى :

١ ـ اقامة المعيار القياسى الأصلى .

٢ ـ تقرير المتغيرات المتوافقة فى الموقف .

٣ ـ قياس هذه المتغيرات باستخدام المعيار القياسى .

٤ ـ اختيار الهدف .

٥ ـ رسم استراتيجية تهدف الى تحقيق هذا الهدف .

٦ ـ اعـــداد القـــرار .

٧ ـ اتخـــاذ القـــرار .

٨ ـ تقويم النتائج المترتبة على اتخاذ القرار من خلال المعيار القياســى الأصلى .

t.me/montlq

t.me/montlq

وهذه المرحل تساعد صانع القرار على التعريف الواضح للموقف وتحـ... الأسئلة المركزية الذى يتوجب عليه الاجابة عليها ·

والقرار السياسى - حتى فى أكثر المجتمعات أوتقراطية - لا يمكن أن ... الا نتيجة مناقشة وصراع · وهذه المناقشة وهذا الصراع الفكرى بين ... من حيث طبيعته ليس الا عملية مواجهة بين التجمعات القيادية وهذا ... أن القرار السياسى يقود الى انهاء الموقف السياسى أو حالة التوتر التى ... بالاعلان عن ارادة تعنى حسما معينا للمشاكل المرتبطة بالموقف ، ليس دائما ... طبيعة واحـــــدة ·

والقرار السياسى باعتباره نتيجة لصراع الفكر والمصـــــالح من ... ويصدر من أجل انهاء حالة من الصراع أو التوتر يأخذ واحدا من نماذج ... هى :

١ - قرار التأجيل · بمعنى أن القرار يعنى ارجاء مواجهة الصراع ... التهرب من حسم الموقف ·

٢ - القرار القاطع · ويعنى تصفية نهائية للصراع ولو فى الأمد القصير ...

٣ - القرار التوفيقى · وهو قرار غير حاسم لأنه لا يواجه الموقف مباشرة ولا يتعرض للصراع بصورة حاسمة ولكنه يتضمن نوعا من التصفية لحالة التوتر المرتبطة بموضوع القرار ·

وتولى الدول المتقدمة أهمية خاصة لقرار الســـياسة الخارجية المتعلقة باثارة صراع دولى أو ادارته حيث يصـــبح القرار الشــامل نوع من النغمة Rhythm المتصاعدة التى تقضى باتخاذ قرارات جزئية تمثل فى مجموعها مسلسلة أو متوالية أو أن شئنا جوقة كاملة تشكل فى مجموعها العناصر اللازمة لتحقيق الهدف من هذا الصراع الدولى · وتقضى هذه الدول باخضـــاع هذا القرار لعدة مراحل تبدأ باخضاعه للفحص والدراسة من قبل الأجهزة المناطة بالتخطيط السياسى وتقديم المشورة وتنتهى باخضاعه للجهاز التنسيقى الأعلى التابع للقيادة السياسية مباشرة ·

وبالرغم من أن عملية صنع القرار يجب أن تتم من خلال نشـــاط فكرى عقلانى وبعيد قدر الامكان عن العواطف ، وانها يجب أن تعمل على ترتيب القيم القومية ترتيبا عقلانيا وأن تضع فى حسابها المصالح والأهداف القومية قصيرة وبعيدة المدى ، فان هذه العملية تتضمن عدة عناصر تنطوى على عوامل اثارة الصراع الدولى · فالقرار هو فى حقيقته اختيار بين البدائل المتاحة بافتراض

t.me/montlq

العقلانية وتحقيق أقصى قدر من المنفعة وهو ما يتصادم وأهداف دولة أو أكثر أخرى ومن ثم ينشأ الصراع الدولى • وقد اقترح سنيدر أن يكون قرار السياسة الخارجية قرارا توفيقيا يحقق الحد الأدنى من الرضا حتى يمكن تحاشى اثارة الصراع الدولى •

وتعتبر الدوافع الذاتية لصـــانع القرار من أهم أسباب الصراع الدولى • فاذا كان الناس عادة ما يرجعون الدوافع الى أهداف الدول فانها فى نفس الوقت غير بعيدة عن الدوافع الذاتية لصانع القرار الذى يتحدث باسم الدولة ، والدافع الذاتى لصانع القرار يمثل بصفة دائمة أحد مكونات الحركة السياسية للدول وغير بعيد عن أسباب الصراع الدولى •

وتتوافر عدة دوافع لدى صانع القرار تتفاوت « بالضرورة » • من حيث درجة قوتها وتأثيرها على صياغة القرار • وهناك احتمال لنشوب صراع بين هذه الدوافع سواء داخل الشخص صانع القرار أو الوحدات التنظيمية المناطة بصنع هذاالقرار • ولما كان هذا الصراع يتم داخل البناء النفسى فان ملاحظته تكون بصورة غير مباشرة فقط •

وظاهرة الصراع القرارى Decisional Conflict تبدو فى الميول المتعارضة التى يشعر بها الفرد والتى تتدخل فى تشكيل ، قبول أو تنفيذ القرار • فالضغوط الخارجية التى تفرض نفسها على صانع القرار من جراء توافر مسالك مختلفة ومتناقضة للحركة السياسية ، يترتب عليها شعور بعدم التأكد وزيادة درجة التوتر أو محاولة تحاشى معالجة القضية موضع القرار • والصـــراع النفسى الذى يعانى منه الأفراد وصناع القرار قد يؤدى الى الصـــراع بين الجماعات أو الصراع الدولى •

ويلاحظ خلال الأزمات الدولية الحادة سـعى الأفراد المفاوضون نحو ايجاد اتفاق دولى على المســائل التى تشــكل عبئا على شعوبهم أو معاناة لحكوماتهم • وقد تدفع معاناتهم من هذه المشاكل الى الانسحاب من المفاوضات وتفاقم الصراع الدولى •

ويواجه صانع القرار بحدود للحركة السياسية ليس بوسعه أن يتخطاها وقد يؤدى هذا الجمود فى الحركة الى اتخاذ القرار المفضى للصدام أو الصراع • ويقصد بحدود الحركة السياسية ذلك الجدار الذى يستطيع فى داخله صـــانع القرار أن يتحرك ولكنه لا يستطيع بأى حال أن يتعداه • وهذا الاطار يتضمن كلا من الأمن القومى والمصلحة القومية •

t.me/montlq

الأمن القومى يعنى فى أبسط معانيه حماية كيان الدولة وحفظ حقها فى البقاء وتستمد السلطة السياسية فى الدولة شـــرعيتها السياسية بقدرتها على الوفاء بواجباتها نحو حماية الكيان الذاتى وعدم تعريضه لأى مخاطر مهما كانت بعيدة الاحتمال . وحماية الأمن القومى للدول يفرض على صانع القرار الالتزام الدقيق والجامد بمجموعة من المبادىء ، القيم ، التقاليد والأهداف التى تحددت مقدما فأصبحت ثابتة لا تقبل الاستثناء وترفض أى محاولة للتوفيق والتخلى عنها كليا أو جزئيا قد يوصف بأنه خيانة وطنية وقد يعنى تنكرا للايديولوجية التى تسيطر على الوجود السياسى وهو دائما يوصف بأنه تعبير عن الاخفاق السياسى . هذه الحالة قد تفرض على صانع القرار اتخاذ قرار قد يفضى الى الصدام أو الصراع الدولى .

ويعتبر مفهوم المصلحة القومية واحد من أهم المعايير المستخدمة بواسطة صناع القرار لتفسير المواقف الدولية ورســـم السياسات الملائمة . واذا كان المفهوم ينطوى على مضمون ثابت يتضمن المحافظة على سلامة أراضى والاستقلال السياسى للدولة وحماية التطور المستقبلى لمؤسساتها ، فانه ينطوى أيضا على مضمون متغير يشتمل على مجموعات من المبادىء المثالية والخرافات القومية التقليدية وشخصية القيادات السياسية .. الخ . وتؤثر كل هذه العوامل على صانع القرار وفى نفس الوقت تتأثر المصلحة القومية وفقا لنظرة وطبيعة صانع القرار ، ومن ثم فان حالة التأزم الدولى والصراع بين الدول وان كانت تمليه ظروف موضوعية من المصـــالح القومية لكنها غير بعيدة عن الطبيعة الذاتية لصـــانع القـــرار .

عملية صنع القرار فى الأزمات ـ دراسة حالة :

قام جلين بيج بدراسة حالة لنظرية صنع القرار فى السياسة الخارجية وهى القرار الأمريكى بدخول الحرب الكورية . وقد أسفرت هذه الدراسة عن عدة فروض امبريقية . وهذه الفروض وان كان من غير المستطاع وصفها بالصلاحية العامة فانها مفيدة اذا ما خضعت للاختبار من خلال دراسات لأزمات دولية أخرى .

ومن الممكن النظر الى النتائج التى توصل اليها بيج على أنها ظاهرة متكاملة تصاحب عملية صنع القرار فى الأزمات ، كما يمكن النظر اليها على أنها متوالية من المواقف التى يمكن لصانع القرار أن يختار من بينها . وتتميز هذه النتائج بالشكل الفرضى التى أخضعها الباحث للاختبار الامبريقى . وفيما يلى

t.me/montlq

أهم النتائج الفرضية التى توصل اليها بيج من خلال دراسته للقرار الأمريكى بدخول الحرب الكورية ·

١ ـ ان قرارات الأزمات الدولية يتم اتخاذها عن طريق وحدات قرارية مؤقتـــــة ·

٢ ـ كلما تفاقمت الأزمة ، كلما تزايد الشـــعور بالحاجة الى المواجهة المباشرة بين صناع القرار ·

٣ـ كلما تفاقمت الأزمة ، كلما زاد التماس القائد السياسى للنصـــيحة واعتماده عليها ·

٤ ـ كلما ازداد أمد الأزمة ، تزايد الاحساس بكفاية المعلومات المتوافرة حولها ·

٥ ـ كلما تزايدت نفقات الاستجابة للأزمة ، اتجهت أهمية القيم المرتبطة بهذه الأزمة نحو التناقص ·

٦ ـ كلما تفاقمت الأزمة ، ازدادت محاولات صناع القرار للاقلال من التوتر والقلق الجماهيرى ·

٧ ـ كلما تفاقمت الأزمة ، تتزايد معدلات الاتصالات والتفاعل المباشر مع القادة فى العالم الخارجى ·

ومن أهم ما أسفرت عنه الدراسة مجموعة من الفروض الأخرى الامبريقية والتى أوجدت علاقة بين الطبيعة الذاتية لصناع القرار وبين التهديد المدرك للقيم والجهود المبذولة لتأمين التأييد الخارجى · وتتمشى هذه النتيجة مع ما ذهب اليه سنيدر من أن هناك الدوافع اللاواعية لدى صانع القرار والتى تدفع به لاقتفاء أثر ســياسة معينة · ويجادل ســـنيدر بأن الوقوف على هذه الدوافع يستوجب البحث فى السيرة الشخصية لصانع القرار من حيث : طفولته ، خلفيته الاجتماعية ، مصادره الثقافية ، مستواه التعليمى وخبرته الحياتية ·

ويولى كثير من المنظرين فى مجال صناعة القرار أهمية كبيرة للســــيرة الشخصية Biography لصانع القرار وأثرها على مضمون وطبيعة القرار · ومن أهم عناصر هذه السيرة هى : الخلفية الاجتماعية ، التعليم ، الدين ، الخبرة الشخصية والعقبات الصعبة التى واجهها ، التدريب المهنى ، الخبرة السياسية الماضية والالتحام بمجتمعات أخرى والسفر الى خارج دولته ويجادل البعض بأن دراسة هذه العناصر كفيلة بايضاح الدوافع والقيم التى تكمن وراء اتخاذ

t.me/montlq

صانع القرار لقراره ويطلق بعض المنظرون على هذه الظاهرة تعبير النموذج السلوكى للسيرة الشخصية ٠

ويركز هؤلاء المنظرون ـ أيضا ـ على الصفات الشخصية لصانع القرار ، ومن أهم ما يتم البحث عنه فى هذا المجال توافر صــفات معينة منها : الميل للمخاطرة ، التسامح ، الغموض وعدم التأكد ، الذكاء ، النشـــاط الخلاق ، السيطرة ، الحاجة للقوة والحاجة للانجاز ٠

تقــويم نظـــريات صــنع القـــرار :

الصراع الدولى ـ من منظور نظريات صنع القرار ـ ظاهرة ترتبط بطبيعة الشخصيات صانعة قرار السياسة الخارجية للدول والمؤثرة فيها ٠ فالصراع الدولى يعنى تفسيرا لموقف دولى بصورة معينة من جانب صناع القرار يؤدى الى تنبوء يستدعى ـ فى تقديرهم ـ خلق وضع متوتر وصراع وفقا لمدركاتهم الذاتية ٠ وهذه النظريات ترى أن القوى الفاعلة الدولية ليست الدول فهى بالنسبة لهم هويات افتراضية وتعبير ميتافيزيقى ، وانما مجموعة الأفراد الذين يفعلون باسمها والذين اتفق على تسميتهم صناع القرار ٠

والواقع أن الباحث لا يمكنه انكار تأثير الطبيعة الذاتية للزعيم السياسى الذى يقود دولته فى صراع مع دولة أخرى على مسار وأبعاد هذا الصراع ٠ وما يقال عن تأثير الزعيم السياسى قائد الصراع يقال على مجموعة الأفراد ذوى التأثير فى صناعة قرار السياسة الخارجية ، ولكن قصر ظاهرة الصراع الدولى بكل أبعاده على شخصية صانع القرار أمر يجافى الواقع الدولى ٠ وفى مختلف مراحل التاريخ نجد أن هناك قادة دول كثيرين دفعوا قسرا واضطرارا الى انتهاج وسيلة الصراع المسلح بعد أن تكون كافة البدائل الأخرى والأقل تطرفا فى العنف قد أخفقت أن تؤدى دورها فى حماية المصالح القومية أو تسوية المشاكل المتنازع عليها بشكل مرضى ٠

فالصراع الدولى ينشأ بسبب تراكم عدة أسباب والتى تفضى الى تناقض فى القيم والمصالح بين الدول وليس بسبب النوازع الشخصية أو المدركات الذاتية لصانع القرار ٠ وهناك بعض القرارات التى تأخذ صـــورة الحركة الميكانيكية حيث يتجه صانع القرار لاتخاذها نزولا على الحاجات المادية أو المعنوية لدولته ودون أن يتوافر لديه الوعى بما يمكن أن ينشأ عنها من صراع دولى ٠

وحتى القرارات الواعية ليست بعيدة ـ دائما ـ عن معادلة المصــــالح القومية الحساسة بما يعرض صانع القرار لضغوط جماعات المصالح فى الدولة ٠

t.me/montlq

واذا كانت عملية صنع القرار عملية فكرية تتأثر بمدركات صانعة فانها
يضا عملية ثقافية تتم فى اطار تفاعل صانع القرار مع الوسط الاجتماعى والدولى
ما يبرز القيم الجماعية فى القرار بالاضافة الى تأثر ومسئولية صانع القرار
عن معطيات مجتمعه واحتياجاته المادية . واذا كانت المعطيات الذاتية لصانع
القرار فى الدول المتخلفة سياسيا لها دور كبير فى نشأة الصراع الدولى ، فان
هذا الدور يختصر الى حد كبير فى الدول المتقدمة سياسيا بالنظر الى أن عملية
صنع القرار السياسى أمر مناط بأجهزة ومؤسسات بحيث تكاد تلغى الى حد
كبير التأثير الذاتى فى الصراع الدولى .

النظـــريات الاقتصـــادية

النظريات الاقتصادية فى الصـــراع الدولى تقوم على افتراض أن ظاهرة
الصراع والصدام بين الدول هى نتيجة عوامل اقتصادية بحتة . وبالرغم من
اتفاق هذه النظريات فى اعطاء تفسير اقتصادى لظاهرة الصراع الدولى ، فانها
تختلف فيما بينها اختلافا كبيرا من حيث الفروض والمنطلقات التى بنيت عليها
وكذلك بالنسبة للنتائج التى توصلت اليها . وهناك عديد من نظريات العلاقات
الدولية التى تفترض أن العوامل الاقتصادية بما فى ذلك تقوية الاقتصاد القومى
ورفع مستوى المعيشة للشعوب المختلفة شرط لا غنى عنه فى استتباب السلام بين
الأمم .

ولقد تبلورت النظريات الاقتصادية للصراع الدولى فى ثلاث مدارس فكرية
مختلفة هى : المدرسة الليبرالية ، والمدرسة الماركسية ، والمدرسة التى طالما
سميت « بالنظرية الشـــيطانية » للامبريالية . فالكتاب الليبراليون مثل : آدم
سميث ، جون ستيوارت ميل ، ريتشـــارد كوبدن Cobden اعتبروا حرية
التجارة هى الضمان الأكيد لتحقيق السلام بين الدول . ويرجعون السبب الى
أن حرية التجارة تؤدى الى نشأة ظاهرة تقسيم العمل والتخصص بين الدول
على أسس اقتصادية ، وهذه الظاهرة تخلق الاعتماد المتبادل بين الدول بحيث
يصـــبح من غير الممكن لأى من هذه الدول اللجوء للحرب حفاظا على النمو
والرخاء الاقتصادى القومى الذى تحقق من خلال التخصص الاقتصادى الدولى .

وتعتبر نظرية هوبسون Hobson ـ التى ظهرت فى بداية القرن العشرين
ـ أهم النظريات الليبرالية التى جعلت ظاهرة الصراع الدولى نتيجة مباشـــرة
لظاهرة الاستعمارية . وقد كانت هذه النظرية بمثابة المرشد لعديد من الكتاب
الماركسيين فى بلورة المفهوم الماركسى للاستعمار والصراع الدولى . والماركسيون
استنادهم الى التفسير الاقتصادى للتاريخ يرجعون كافة أشكال الصراع الدولى

t.me/montlq

الى أسباب ودوافع اقتصادية . أما المدرسة الثالثة فهى لا ترى فى الظاهرة الاستعمارية والصراع الدولى سوى أنها من صنع وتآمر مجموعة من الرأسماليين الساعين للأثراء على حساب سلام واستقرار البشرية .

أولا : المدرسة الليبرالية :

اهتم الفكر الاقتصادى الليبرالى بمعالجة ظاهرة الصراع الدولى واعطائه صبغة اقتصادية . ويعتبر الاقتصادى آدم سميث رائد هذا الفكر الذى اكتسب قوة كبيرة على يد دافيد ركاردو Ricardo . ويولى أنصار هذه المدرسة أهمية قصوى لعملية الانتاج الاقتصادى فى تحقيق الاستقرار الداخلى والخارجى للدول . والانتاج فى رأيهم هو خلق المنافع أو زيادتها وعناصره هى الطبيعة والعمل ورأس المال ، ولكن العمل فى رأيهم هو العنصر الرئيسى الذى يحتل المكان الأساسى بين تلك العناصر . ويبدو ذلك بوضوح اذا لاحظنا أن أول عبارة يفتتح بها آدم سميث كتابة « ثروة الأمم » هى « ان العمل السنوى لكل أمة من الأمم هو المصدر الذى يمدها أساسا بكل ما تستهلكه سنويا من سلع ، سواء كانت تلك السلع ناتجا مباشرا لهذا العمل الوطنى ، أو متأتية من بيع هذا الناتج وشراء السلع فى مقابله من الأمم الأخرى » .

ويدافع أنصار هذه المدرسة عن الحرية الاقتصادية فى النطاق التجارى الدولى . وقد بنوا دفاعهم ذلك على ان اتباع سياسة تجارية حرة تؤدى بكل دولة الى أن تتخصص فى انتاج السلع التى تتمتع فيها بأكبر ميزة نسبية فى مواجهة الدول الأخرى . وهذا التخصص فيه فائدة لكل دولة على حدة . كما يفيد العالم فى مجموعه ، لأنه يؤدى الى حصول كل دولة والعالم فى مجموعه على كمية من المنتجات أكبر مما لو لم يحدث التخصص ومما لو حاول كل بلد انتاج كل السلع على اقليمه الوطنى . فالحرية التجارية وما يترتب عليها من تخصص كل دولة فى الانتاج على أساس المزايا النسبية يزيدان ــ فى رأى هذه المدرسة ــ من الرفاهية الاقتصادية للشعوب والاعتماد المتبادل للدول مما يقضى على ظاهرة الصراع الدولى والحروب .

والحرية الاقتصادية فى العلاقات الاقتصادية الداخلية والدولية هى ــ فى اعتقادهم ــ أساس السياسة الاقتصادية التى يتوجب على الدول اتباعها اذا أرادت تحقيق الرخاء للشعوب والقضاء على ظاهرة الصراع فى العلاقات الدولية . ويعتقدون ان غياب الحرية الاقتصادية سوف يؤدى الى نقص الانتاج القومى والدولى وتعرض الاقتصاديات القومية للاختلال ويصبح الصراع الدولى ظاهرة لا يمكن تحاشيها .

t.me/montlq

١ - نظـــرية هوبســـون :

يعتبر الاقتصادى الانجليزى جون هوبسون أبرز كتاب المدرسة الليبرالية الذين تناولوا ظاهرة الصـراع الدولى بالتنظير · وترجع هذه النظرية ظاهرة الصراع الدولى الى الامبريالية التى يعتبرها هوبسون من العيوب التى يعانى منها النظام الرأسمالى · وهوبسون لا يرجع الامبريالية والصـــراع الدولى للرأسمالية كنظام وانما للعيوب الناجمة عن تطبيقه وهو بذلك يرى بالابقاء على النظام الرأسمالى مع ضرورة اتخاذ الاجراءات الكفيلة بعلاج عيوبه · وبالرغم من ذلك كانت النتائج التى توصل اليها هوبسون بشأن الامبريالية من أهم الفروض التى بنى لينين نظريته فى الامبريالية عليها والتى ترى فى هدم النظام الرأسمالى فى العالم شرط مسبق لتحقيق السلام العالمى ·

ويرى هوبسون أن سوء توزيع الثروة ووجود طبقة تحصـــل على دخول كبيرة أكثر من كل ما تحتاج اليه يؤدى الى وجود ادخار « أتوماتيكى » يخرج من دخل تلك الطبقة بالرغم منها لكثرة دخلها · وأن هذا الادخار الزائد يتجه الى بناء مصانع ومشروعات ، فتزيد القوة الانتاجية فى الدول الرأسمالية وتزيد كمية المنتجات دون ان يزيد الطلب بمقدار هذه الزيادة فى الانتاج ، لأن دخل الطبقات العاملة الفقيرة — وهى الطبقات الأكثر عددا والتى يمكنها زيادة الطلب — لا يزيد ، فيبقى طلبها محدودا · ويترتب على ذلك نشأة الأزمات الاقتصادية والبطالة ·

ويترتب على تضخم القوة الادخارية فى المجتمعات الرأسمالية مع نقص القوة الشرائية القادرة على استهلاك ثمرات التصنيع الحديث ، مواجهة هذه المجتمعات معضلة حرجة وهى الافراط الانتاجى Over production مع قصور استهلاكى Under Consumption ويسعى الرأسماليون فى سبيل التخلص من المشكلة الهيكلية فى الاقتصاد القومى الى اعادة اســتثمار فائض رأسمالهم فى مغامرات خارجية مربحة ، والنتيجة التى تسفر عنها هذه المغامرات هى دائما الاستعمار · وتتوجه جهود المسيطرون على الصناعة لتوسيع قنوات انسياب فوائض ثرواتهم بالبحث عن أسواق خارجية واستثمار خارجى لتصريف السلع التى لا يمكن بيعها محليا وتوظيف. رأس المال الذى يتعذر استيعابه فى الاقتصاد القومى ·

ولقد أدرك هوبسون وجود عوامل غير اقتصادية تلعب دورها فى التوسع الأوروبى مثل : الرغبة فى القوة والسيطرة ، الاعتبارات السياسية ، العسكرية ،

t.me/montlq

النفسية والدينية باعتبارها انعكاس للسلوك البشرى · ومع ذلك أصر على اعتبار الرأسمالية هى السبب الرئيسى لظاهرة الاستعمار وأن الرأسمالية المالية تقوم بتنظيم العناصر الأخرى فى شكل واضح من العدوان والسيطرة ·

ويرفض هوبسون ارجاع ظاهرة الاستعمار الى الضغوط الناشئة من الزيادة السكانية ويعتقد ببطلان هذه الحجة اذ ان بريطانيا فى مطلع القرن العشرين لم تكن تعانى من فائض سكانى وان المؤشر السكانى فى بريطانيا اتجه - خلال هذه الفترة - نحو الثبات · وبالاضافة الى ذلك فان الفرد الانجليزى لم يكن تواقا لاعادة توطينه فى معظم مناطق الامبراطورية التى ضمت غالبيتها اعتبارا من عام ١٨٧٠ ·

وبالرغم من الادانة التى وجهها هوبسون للاستعمار فى الربع الأخير من القرن التاسع عشر باعتباره عملا غير عقلانى ومسببا للصراع بين الشعوب والدول ، الا أنه ، فى اعتقاده ، يمكن ان يكون عقلانيا ومفيدا لبعض الجماعات مثل :

١ - العاملون والسماسرة فى أسواق الأوراق المالية Bourses والمضاربون ·

٢ - المهندسون ·

٣ - بناة السفن

٤ - المقاولون ·

٥ - الطبقة الارستقراطية ·

٦ - أصحاب الصناعات الحربية ·

٧ - أصحاب الصناعات التصديرية ·

٨ - الفئات التى تستفيد من خلال استخدام الأدوات السياسية ·

ويذكر هوبسون ان الاستعمار ينطوى على مخاطر ونفقات باهظة للأمة التى تمارسه اذا ما قورنت بنتائجه الهزيلة المتمثلة فى المزايا التى تجنيها مجموعات معينة من المجتمع ·

ويعتقد هوبسون أن العيوب الناجمة عن النظام الرأسمالى هى العامل

t.me/montlq

الرئيسى للصراع الدولى · فالسياسة الاستعمارية العدوانية وما تؤدى اليه من شن الحروب ، تقود الى لجوء الدولة الاستعمارية الى تضخيم ميزانية التسلح وزيادة حجم الدين العام والتى يستفيد منها ـ فى الغالب ـ الممول الماهر · ويؤكد هوبسون ان هناك دائما المستفيدين من وراء كافة أشكال الصراع كالحروب والثورات والاغتيالات الفوضوية ·· الخ · ويخلص الى أن الرأسماليين هم المسئولون عن الحروب لأنهم المستفيدون منها ·

ويجمع الفكر الغربى على أن هوبسون يعتبر أكثر الكتاب الذين تبنوا مذهب الاستعمار الاقتصادى ، وكانت كتاباته العامل المؤثر فى انتشارها وقد عبر لينين فى وقت لاحق عن هذه الأفكار بشكل أكثر وضوحا وصراحة ·

٢ ـ نظرية التطور الاقتصادى :

برزت فى الحقل الأكاديمى عدة نظريات للنمو الاقتصادى تقدم رؤية اقتصادية للعلاقات الدولية بأبعادها التعاونية والتصارعية · وقد حاولت هذه النظريات تفسير عملية التفاعل بين القوى الفاعلة فى النظام الدولى · وتجادل هذه النظريات بأن درجة التطور الاقتصادى للدولة هى العامل المقرر لحركة وسلوك هذه الدولة فى المجال الدولى ·

وتتفق هذه النظريات التطورية على أن حركة الدولة فى المجال الخارجى تعتمد اعتمادا رئيسيا على درجة قوتها العسكرية وقدرتها على مواجهة الدول الأخرى · والقوة العسكرية هى انعكاس لمقدار الثروة التى تتمتع بها الدولة والمستوى التكنولوجى الذى بلغته · ويستطيع الباحث اكتشاف العلاقة الارتباطية بين القوة الاقتصادية والقوة القومية التى تعد العامل الحاسم فى الصراع الدولى ، عن طريق ملاحظة ارتباط هيكل القوة فى النظام الدولى ودرجة النمو الاقتصادى التى بلغتها الدول المشكلة لهذا الهيكل ·

والمعونات الفنية والاقتصادية التى تقدمها الدول الكبرى للدول الفقيرة ، عادة ما تمنح على أساس من التمييز بين الدول التى يمكن أن تساعد على انجاح أهداف الخطط الاستراتيجية التى توجهها وتهيمن عليها هذه القوى الكبرى وبين تلك الدول التى لا تقبل الاضطلاع بمثل هذا الدور ·

وتعتبر المعونة الاقتصادية التى تقدمها الدول الأقوى ـ والتى فى حقيقتها تعبير عن فائض اقتصادى استطاعت هذه الدول تحقيقه نظرا لتطورها الاقتصادى ـ الى الدول المتخلفة اقتصاديا ـ والتى تقصر اقتصادياتها على

t.me/montlq

الوفاء باحتياجاتها ـ أداة للتمييز بين الدول التى تحتاج اليها بما يولد الشعور بالتفرقة والاضطهاد وهو مصدر هام من مصادر الصراع والتوتر الدولى ٠

وتنشأ التكتلات الاقتصادية من عضـــوية مجموعة من الدول تتقارب فى درجة النمو الاقتصادى الذى أحرزته ، وعادة ما تضم عددا من الدول تجمعها ببعضها روابط من التحالف العسكرى مثل : الجماعة الاقتصادية الأوروبية والكوميكون ٠٠ الخ ٠٠ وتنتهج هذه التكتلات سياسات اقتصادية تعمل بدورها على تأكيد الانقسامات الدولية وتخلق جبهة أخرى من جبهات المواجهة بين الكتل الدولية المتصارعة ٠

ويعتقد الكاتب الأمريكى أورجانسكى Organski ان ظاهرة الصراع الدولى تنشأ نتيجة لاختلاف مراحل النمو الاقتصادى ، وبالتالى القوة بين أعضاء النظام الدولى ٠ ويقوم أورجانسكى باختبار فروض نظريته عن طريق المسح التاريخى حيث يذكر ان التفاوت فى القوة بين الدول فى مرحلة ما قبل التصنيع كان ضئيلا للغاية ٠ وقيام الثورة الصناعية فى بعض الدول قد مكنها من الاستحواذ على قوة ساحقة فى أدوات الصدام والصراع الدولى بينما ظلت الدول الأخرى التى لم تشهد اقتصادياتها ثورة صناعية عند مستوى متدنى من حيث القوة غير قادرة على المواجهة والصراع ٠

وقد ترتب على قيام الثورة الصناعية فى بعض دول العالم ، قيام ما يعرف بالقوى الكبرى فى العالم ، وفى نفس الوقت قامت قوى أخرى صناعية ، ولكنها ليست بالدرجة التى حققتها الدول الكبرى ٠ واذا كانت بعض الدول يمكن ان تقنع بالدرجة التى التى حققتها من النمو الاقتصـــــادى وبالتالى القوة فان الدول الأخرى لا تقنع بالمستوى الذى توصلت اليه ومن ثم فانها تلجأ الى الصـــراع الدولى وأيضا الحرب للاستئثار بقوة أعظم ٠

ويضيف أورجانسكى ان عملية النمو الاقتصادى عملية دائمة ومستمرة وهذا ما يجعل ظاهرة الصـــراع الدولى ـ أيضا ـ ظاهرة دائمة ومستمرة ٠ وأن التطور الصناعى يجعل من المتوقع بروز قوى دولية جديدة تنافس الدول الأقوى على النفوذ والسيطرة وتصبح عملية الصراع بينها أمر لا يمكن تحاشيه ٠ ولكن بروز القوى الجديد يؤدى الى تغيير فى هيكل القوة للنظام الدولى ويؤدى الى تغيرات عميقة فى أسس وأساليب العلاقات الدولية ٠

ويتفق والت روســـتو Rostow مع الفروض القائلة بأن المجتمعات البشرية تخضع فى تطورها لعدة أطوار من النمو الاقتصادى ٠ غير ان هذه

t.me/montlq

الأطوار ليست فى حد ذاتها هى العوامل المفضية الى الصراع الدولى والحروب بين الأمم • ويرى أن الصراع الدولى هو فى النهاية نتيجة لاستمرار اعتناق مبدأ السيادة القومية والتسليم المطلق بمشروعيته والالتزام به باعتباره حجر الزاوية فى علاقات الأسرة الدولية •

ويفسر عالم التاريخ هنسلى Hinsley التغيرات التى تعترى طبيعة العلاقات الدولية بظاهرة الصراع الدولى العضوى (الحرب) • وهو يرجع ظاهرة الصراع الدولى الى الثورة فى المعرفة العلمية والتقنية والتى يترتب عليها التفاوت الشاسع فى الناتج الذى تحصل عليه الدول المختلفة ، ومن ثم تنتشر ظاهرة عدم الاستقرار فى العلاقات الدولية • ويؤكد هنسلى ان عدم المساواة فى المعرفة العلمية والتقنية وبالتالى الناتج الاقتصادى قد ترتب عليه عدم المساواة فى القوة بين الدول •

وبالرغم من تسليم هنسلى بديمومة ظاهرة الصراع الدولى باعتبارها انعكاسا للفوارق العلمية والاقتصادية بين الدول ، الا أنه يتوقع استمرار ظاهرة الاستقرار بين الدول العظمى المعاصرة • ويفسر هذه الظاهرة بأن الدول العظمى سوف تصدر صراعاتها الى الدول المتخلفة لتحاشى الانتحار المتبادل • ويعتقد أن الدول العظمى سوف تسعى الى وضع الدول المتخلفة فى مواجهة بعضها بما يخفف من التوتر والصراع الذى تعانى منه الدول العظمى •

ثانيا ــ المدرسة الماركسية :

تنطلق أفكار المدرسة الماركسية فى تفسيرها لظاهرة الصراع الدولى من مسلمات النظرية الماركسية ، ونعنى قيامها على أساس التفسير المادى أو الاقتصادى للتاريخ • واذا كان كارل ماركس قد كرس اهتماما ضئيلا للعلاقات الدولية ، فان خلفاءه قد عالجوا هذه العلاقات من خلال المنطوق الماركسى •

وتجمع المدرسة الماركسية على ان كل أشكال الصراع الدولى مرجعها النظام الرأسمالى وتحركها أسباب ودوافع اقتصادية • فالمتناقضات الجذرية الكامنة فى النظام الرأسمالى تولد أشكالا شتى من الصراعات الطبقية سواء كان ذلك فى الداخل بين طبقتى البرجوازية والبروليتاريا ، أو فى الخارج ــ تحت ضغط المنافسة ــ بين الدول الرأسمالية نفسها ، وهى الصراعات التى تتفاقم الى حد الصدام العضوى المباشر (الحرب) بين هذه الدول • ويشهد الفكر الماركسى المعاصر مواءمة فكرية مع انتهاء عصر الاستعمار بمفهومه التقليدى الذى كان

t.me/montlq

محل اعتناء الفكر الماركسى اللينينى التقليدى ، حيث يعالج الفكر المعاصر ظاهرة الاستعمار الجديد ·

١ ـ النظام الفلسفى للماركسية :

تعتبر النظرية الماركسية ومنطلقاتها الفكرية ـ عبر مســاحة كبيرة من المعمورة اليوم ـ النظرية الذائعة بين المفكرين لتفسير الاستعمار ، الصراع الثورى ، الاجتماعى والحرب الدولية · *وهذا التفسير مشتق من النظام الفلسفى* لكارل ماركس والاضافات التى قدمها عديد من المفكرين الاشتراكيين والشيوعيين اللاحقين لماركس مثل : لينين ، ستالين وماوتسى تونج · وتستند التفسيرات والاضافات على العناصر الرئيسية للنظرية الماركسية والموجودة منذ أكثر من قــرن ·

وبالرغم من تعرض النظرية الماركسية لانتقادات عنيفة الى درجة أن بعض المفكرين يرى فى استمرار بقائها الى اليوم كنوع من الايمان أكثر من كونها علما فان بعض المفكرين الغربيين ـ بوعى أو بدون وعى ـ يقبلون التحليل الماركسى لأسباب الحرب والثورة · وهناك عدد كبير ـ يثير الدهشة ـ من البرجوازيين الأمريكيين ومن طلاب الجامعات الأمريكية اذا طلب منهم التعليق على أسباب دخول الولايات المتحدة فى الحرب العالمية الأولى ، أو أسباب ظهور النزعات الثورية فى أمريكا اللاتينية ، فانهم على استعداد لاعطاء اجاباتهم على أساس الفروض الماركسية اللينينية الأرثوذكسية ·

ومنذ الحرب العالمية الثانية ، انتشر ميل بين النخبة فى آسيا ، أفريقيا وأمريكا اللاتينية يفترض صلاحية التفسير الماركسى للاستعمار والصراع الدولى · ويستطيع الباحث ملاحظة أن نشأة النظرية الماركسية وكذلك الانتقادات الأساسية التى وجهت اليها كلها من نتاج الثقافة الغربية · فالنظرية تعبير عن الظروف التاريخية والاقتصادية والاجتماعية فى غرب أوروبا خلال القرن التاسع عشر ولذلك فهى تأمل فكرى لعقل غربى فى ظل ظروف حضارية غربية ·

واذا كان نيوتن قد شارك فى شرح ظاهرة الصراع الدولى من خلال التوازن الميكانيكى فى عصر توازن القوة ، واذا كان هيجل قد شخص الأمم وقدم فلسفة الشعور والتصادم القومى ، واذا كان داروين قد ساهم فى وضع مفهوم السياسة الدولية على أساس الصراع البيولوجى حيث يكون البقاء للأصلح ، واذا كان فرويد قد شارك فى تحديد مفهوم الصــــراع الاجتماعى باعتباره نتيجة للقوى النفسية القائمة فى أعماق النفس البشرية ، فان ماركس كان فى مقدمتهم من حيث

t.me/montlq

الاصرار على أن الصراع من المحتم ظهوره كنتيجة للنضال (الحياة أو الموت) الاقتصادى الاجتماعى بين الطبقات ·

ويعتبر ماركس ان الرأسمالية هى الخطيئة التى يجب على الانسان أن يتخلص منها حتى يتحرر ، والفضيلة فى نظره هى المعرفة التى تمكنه من التخلص من هذه الخطيئة · والمعركة هى الالمام بالقوانين الديالكتيكية للتطور التاريخى الاجتماعى للوصول الى الشيوعية التى هى ـ فى تقديره ـ الأمل لتحقيق السعادة البشرية الكاملة باتباع طريق الحقيقة والنور الذى سوف يقود أبناء الانسان الى الأرض الموعودة بمجرد أن يتخلصوا من وهم الهزيمة الذاتية بأنهم أبناء الرب ·

والنظرية الماركسية لا تنظر الى الظاهرة السياسية بما فى ذلك الصراع الدولى والاستعمار على أنها ظاهرة مستقلة وانما انعكاس للقوى الاقتصادية المتحكمة · وهذا يصدق ـ فى تصورها ـ لكافة الظواهر الحياتية الأخرى · فالدوافع الدينية والانسانية والسياسية والعسكرية ما هى الا تعبير عن الهيكل والعلاقات الاقتصادية السائدة فى المجتمع · وتعمم الماركسية هذا التصور على جميع مراحل التاريخ فى الماضى والحاضر والمستقبل ·

وبالرغم من أن ماركس قدر اتساع مجال عمليات الرأسمالية من المستوى القومى الى المستوى العالمى للحصول على المواد الأولية وتسويق المواد الصناعية الا أنه لم يعالج بصفة مباشرة نظرية الاستعمار وترك هذا الواجب لمفكرى الماركسية للقرن العشرين ·

٢ ـ نظـــرية لينين :

يأتى لينين على رأس قائمة المنظرين الماركسيين فى القرن العشرين ، كما يعد المهندس الأول للثورة البلشفية فى روسيا القيصرية عام ١٩١٧ · ويعتبر لينين فى مقدمة ثلاثة كتاب ماركسيين تعرضوا بالمعالجة لظاهرة الصراع الدولى باعتباره نتيجة الاستعمار الرأسمالى وهم :

- رودلف هلفردنج ·
- روزا لوكسمبرج ·
- ف · لينين ·

t.me/montlq

وقد تأثر الكتاب الثلاثة بأفكار هوبسون عن الاستعمار والصراع الدولى بالرغم من اختلاف انتماءاتهم الفكرية والفلســفية عن تلك التى ينتمى اليها هوبسون ٠

وبينما كان فكر روزا لوكسمبرج انعكاسا لفكر هوبسون عن الاستعمار والصراع الدولى حاول هلفردنج تنقية هذاالفكر باضافة مشاركة رأس المال المصدر فى اقامة نظام الكارتل Cartel والاحتكار الذين من شأنهما الحد من امكانات الاستثمار المحلى التى تقع المستعمرات ضحية لها ٠ وجاء لينين ليقدم نظريته على الربط بين أفكار هوبسون عن الرأسمالية المالية وأفكار هلفردنج عن الرأسمالية الاحتكارية والاستعمار ٠

ويقدر لينين ان الرأسمالية الاحتكارية لابد وأن تتجه الى الاســتعمار والسيطرة على الأمم المستضعفة ويرجع ذلك فى تقديره الى عدة عناصر هى :

١ ـ تركز الانتاج فى الدول الرأسمالية فى مجموعات احتكارية مركبة ٠

٢ ـ زيادة الطلب التنافسى بين الدول الرأســمالية على موارد المواد الأولية ٠

٣ ـ قيام بيوت المال الضخمة فى صورة ممالك بنكية فى الدول الرأسمالية ٠

٤ ـ تحول السياسة الاستعمارية القديمة من السيطرة الى الصراع من أجل تحقيق المصلحة الاقتصادية حيث تستغل الدول الأكثر غنى وقوة الدول الفقيرة والضعيفة ٠

ويخلص لينين الى أن الاستعمار ليس مجرد ســياسة مفضــلة للدول الرأسمالية انما هو أمر حتمى ٠ فالمرحلة التى بلغتها الرأسمالية تجعل منها مرادفا للاستعمار ٠

والمرحلة الاحتكارية للرأســمالية تتميز باستكمال بناء الرأسمالية المالية وسيطرة الاحتكارات ويصبح سعيها للتصدير أمر هام وحيوى لبقائها فى عالم ثم تقسيم كافة اقاليمه بين القوى الرأسمالية الكبرى من أجل السيطرة عليها من جانب هذه القوى ٠ ويرى لينين أنه بالرغم من أن ظاهرة الصراع الدولى والحروب لا تختلف من حيث الشكل والأساليب الا أنها تختلف من حيث مضمونها الاجتماعى والطبقى فالموقف التاريخى والموضوعى هو معيار التفرقة ٠ وقد جادل

t.me/montlq

بأن الرأسمالية قد غيرت مفاهيم الصراعات الدولية والحروب بحيث أصبحت أكثر تعقيدا وخطورة ٠

ويعتقد لينين أن الاستعمار هو طور خاص من أطوار الرأسمالية ٠ فالرأسمالية تقوم على مبدأ ميكانيكية السوق والحرية المطلقة للعرض والطلب ٠ وهذا يقتضى المنافسة المطلقة والحرة فى انتاج السلع بصفة عامة ٠ وعندما تتطور الرأسمالية تصل الى طور تتحول فيها المنافسة الحرة الى احتكار وهو النقيض للمنافسة حيث تنشأ الصناعات الكبرى أو تجبر الصناعات الصغيرة على الاختفاء وتتميز الرأسمالية فى هذا الطور بالتركز فى الانتاج والرأسمال حيث تنمو الاحتكارات ، الكارتلات ، النقابات والترستات ويتوازى مع ذلك تركز رأس المال وتداوله فى مجموعة صغيرة التى تتعامل فى آلاف الملايين من النقد ٠ وفى هذا الطور يتم القضاء على المشاريع الرأسمالية الأخرى ٠ ويذكر لينين أنه اذا كان من الضرورى وضع تعريف مختصر للاستعمار فانه « الطور الاحتكارى للرأسمالية » ٠

والرأسمالية فى طورها الاحتكارى تتصف بخصائص خمسة هى :

١ ــ تركيز الانتاج ورأس المال فى احتكارات تلعب دورا حاسما فى الحياة الاقتصادية ٠

٢ ــ انشاء مراكز للرأسمال الصناعى فى صورة بنوك عملاقة ٠

٣ ــ تصدير رأس المال بشكل مميز عن تصدير السلع ٠

٤ ــ تكوين شركات رأسمالية احتكارية دولية تتقاسم المعالم فيما بينها ٠

٥ ــ اكتمال تقسيم أقاليم العالم بين القوى الرأسمالية الكبرى ٠

وتبدأ المرحلة الاستعمارية للرأسمالية ــ فى تقدير لينين ــ بظهور الحاجة الى تصدير الرأسمال نتيجة نقص فرص الاستثمار المحلية فى الدول الرأسمالية نفسها ٠ وتستطيع الدول المصدرة لرأس المال ــ بما تملكه من قدرات ــ من الحصول على المزايا عن طريق استغلال الشعوب فى خارج حدودها ٠ ومع النمو الرأسمالى والتركز الاحتكارى يزداد التنافس على السيطرة على الأقاليم المتخلفة لتعاظم الحاجة الى المواد الأولية والأسواق اللازمة لتصريف المنتجات ، ومن ثم تتعاظم سرعة الزحف والصراع بين الدول الرأسمالية على المستعمرات ٠

وتعتبر المستعمرات ــ فى اعتقاد لينين ــ أمر ضرورى بالنسبة للدول الرأسمالية فهى بالنسبة لها مصدر المواد الأولية والعمل الرخيص وضمان

t.me/montlq

الأسواق لصناعة هذه الدول • ويعتقد لينين ان السياسات الاستعمارية للدول الرأسمالية سوف تمكن القوى الرأسمالية من منع وتعطيل اندلاع الثورة الحتمية فى هذه الدول ، وذلك بسبب تحسين أوضاع البروليتاريا المحلية نتيجة استغلال الطبقات العاملة فى الأقاليم المستعمرة • وتوقع ارتفاع جزء من البروليتاريا فى الدول الرأسمالية ـ نتيجة لذلك ـ الى مرتبة البرجوازية •

ونظرا لأن المناطق المستعمرة تمثل مسألة بقاء أو فناء للنظام الرأسمالى فان الصراع الدولى بين الدول الرأسمالية أمر حتمى عندما تسعى بعض هذه الدول للاستحواذ على المناطق الاستعمارية ـ وبالتالى الحصول على الموارد الطبيعية والحصول على فرص لرأس المال المتراكم ـ على حساب الدول الرأسمالية الأخرى وبذلك يصبح الصراع الدولى والحروب مرض بشرى متوطن فى عالم الدول الرأسمالية •

ويتساءل لينين عن الوسائل الكفيلة بالقضاء على الصراع الدولى والحروب • ويصر على ان تحقيق هذا الهدف لن يكون بمجرد التمنى أو بقرار يتخذه أحد الأطراف المتصارعة أو باتفاق الاشتراكيين فى مختلف الدول ، أو بمجرد التعبير عن ارادة البروليتاريا أو الشعوب •• الخ • ان الحرب هى نتيجة لتطور الرأسمالية العالمية خلال نصف قرن ، ومن غير الممكن تحقيق السلام وتحقيق الديمقراطية والسلام غير القسرى Non-Coercive دون القضاء على قوة الرأسمال ونقل سلطة الدولة الى طبقة أخرى وهى البروليتاريا •

الصراع الدولى والحروب ـ فى تقدير لينين ـ صراع بين الدول الرأسمالية المتقدمة للسيطرة على المستعمرات والأسواق • وقد نظر الى الحرب العالمية الأولى على أنها صراع بين الدول الرأسمالية التى كونت أحلافا فيما بينها وفى مواجهة الأخرى من أجل استغلال المناطق المتخلفة فى الشرق الأقصى وأفريقيا والمطالبة بمزيد من الأقاليم ومناطق النفوذ • ويصر لينين على أن القوى الرأسمالية فى صراع مستمر وأن فترات السلام المسلح ليست الا فترات لالتقاط الأنفاس ثم الدخول فى حروب وصراع للسيطرة على أسواق ما وراء البحار والمواد الخام •

وقد أقر المؤتمر الثانى للدولية الشيوعية أفكار لينين حول الصراع الدولى باعتباره ظاهرة رأسمالية وتمثل جوهر العلاقات الدولية عقب الحرب العالمية الأولى ، والحقيقة البارزة لهذه العلاقات فى القرن العشرين • كما أقر المؤتمر ان الرأسمالية قد دخلت مرحلتها العليا والنهائية ، وتشكلت خصائصها الاحتكارية الاستعمارية •

t.me/montlq

وقادت الفروض التى بنيت عليها النظرية الماركسية اللينينية الى اعتبار الحرب الحديثة هى احدى وظائف الاستعمار الرأسمالى ٠

٣ ـ الفكر الماركسى المعاصر :

بالرغم من التحولات التى شهدتها العلاقات الدولية عقب الحرب العالمية الثانية وتغير هيكل القوة فى النظام الدولى المعاصر وطبيعة الصراع الدولى فى العصر النووى فقد ظلت التوجهات الفكرية الماركسية تجاه ظاهرة الصراع الدولى تستقى منطلقاتها من النسق الفكرية الماركسية اللينينية التقليدية بصفة عامة وان اعتراها نوع من التحوير للمواءمة مع المتغيرات الدولية المعاصرة ٠

وبعد فترة طويلة على تقديم لينين لنظريته عن الاستعمار باعتباره المرحلة العليا والنهائية للرأسمالية ، قدم ستالين فى مؤتمر الحزب الشيوعى السوفيتى عام ١٩٥٢ تقريره المعروف باسم « القضية الأخيرة Last Thesis حيث ذكر ان الصدام الرهيب الذى تنبأ به لينين بين المعسكرين الرأسمالى والاشتراكى سوف يمضى وقت طويل ليصبح حتميا لأن مثل هذه الحرب مخاطرة بالنظام الرأسمالى ووجوده ٠ وأعلن ستالين أن التناقضات داخل النظام الرأسمالى تجعل الصدام والحرب بين الدول الرأسمالية أمر حتمى ٠

ويعتقد ستالين أن اندلاع الصراع الدولى والحرب أمر حتمى نتيجة للعدوان الرأسمالى ٠ وانها سوف تسفر عن تحطيم الرأسمالية والانتصار العالمى للاشتراكية ٠ ويؤكد ستالين أن البشرية اذا أرادت القضاء على ظاهرة الحرب فان من الضرورى تحطيم الاستعمار ٠ ولكن ستالين لم يدعو ـ بطبيعة الحال ـ الى تحقيق ذلك عن طريق عدوان عسكرى عبر الحدود الأقليمية ٠ فقد كان تناول ستالين لقضايا السياسة الدولية يتسم بشىء من الحذر ، كما كان استراتيجيا محافظا ، وهو لذلك لم يدعو مباشرة الى حرب مقدسة اشتراكية على النظم الرأسمالية المتقدمة تكنولوجيا ٠

وبمقدم خروتشوف على رأس القيادة السوفيتية عرض فكرة التطويق الاشتراكى فى مواجهة التطويق الرأسمالى ، وأن هذه الاستراتيجية كفيلة بتحقيق الهدف حيث أن الدول الرأسمالية سوف تشهد تحولات ثورية الى الاشتراكية ٠ واستبعد خروتشوف امكانية الصراع العضوى المباشر مع العالم الرأسمالى ـ على ضوء ميزان الرعب النووى ـ وقدر أن هذه الحرب لن يكون نتيجتها تحطيم العالم الرأسمالى فحسب ولكن ـ أيضا ـ ستدمر العالم الشيوعى ٠

t.me/montlq

ويرى المفكرون الماركسيون المعاصرون ان دعم « حروب التحرر الوطنى » فى العالم الثالث هى شكل الحرب العادلة من المنظور الايديولوجى والآمنة من منطلق التحليل الاستراتيجى فى عصـــر الردع النووى المتبادل • وهم يعتقدون أن المشكلة الاستعمارية مازالت تمثل أهم أسباب الصراع الدولى والحروب وأن القضاء على النظام الاستعمارى هو الهدف الذى يلقى دعم الاتحاد السوفيتى والدول الاشتراكية •

وعلى الرغم من التعديلات التى أدخلها القادة الماركسيون على المنظور الماركسى لظاهرة الصراع الدولى ـ تحت ضـغط الاعتبارات الاســتراتيجية وحقائق الوسط الدولى ـ فلم يحدث أى تعديلات ذات شأن فى مسلمات وفروض النظرية الليـنينية للاستعمار • وتعلن الدول التى تعتنق المذهب الماركسى التزامها بنظرية لينين فى الاستعمار والصراع الدولى ، وأن ما أدخل من تعديلات هو من أجل مواجهة الاعتبارات الاستراتيجية التى تفرض نفسها على الواقع الدولى •

وتعلن السياسة السوفيتية التزامها بالخطوط الرئيسية التى صاغها لينين فى السياسة الخارجية السوفيتية والتى تنطلق من مبادىء الدولية ، التضامن والنضال المشترك ضد الاستعمار • كما تقضى هذه السياسة بمنح اهتمام خاص للشعوب التى ترزح تحت سيطرة الاستعمار ومحاولة اقامة جسور التفاهم بين هذه الشعوب والاتحاد السوفيتى • وتؤكد هذه السياسة التزامها برؤية لينين حول دعم التعاون الاقتصادى بين الدول الاشتراكية والدول التى تحررت من الاستعمار باعتبار ان ذلك هو الضمان لنجاح النضال المشترك ضد تحكم رأس المال الاحتكارى •

ويؤمن الفكر الماركسى المعاصر بأن الحرب العالمية الثانية وما نتج عنها من اعتبارات استراتيجية وتوازن نووى قد أفرزت نوعا جديدا من الاستعمار ، هو الاستعمار الجديد • ومن أهم أسلحة وطرق هذا الاســـتعمار هى الدعاية الخارجية التى يضـــطلع بها آلاف من الخبراء وينفق عليها آلاف الملايين من الدولارات • وتهدف هذه الدعاية ـ فى اعتقادهم ـ الى احداث التأثير الأيديولوجى المطلوب من خلال الضغط النفسى ، المتسبب من النشاط المتعدد الأساليب لاجبار الآخرين أن يتصرفوا بالصورة والأسلوب الذى يراد لهم ، والذين لم يكن ليسلكوا هذا المسلك فى غياب الدعاية البرجوازية •

ويجادل الفكر الماركسى المعاصر بأن تفاقما جديدا للتناقضات بين القوى الرأسمالية أمر حتمى • وأن بعض هذه التناقضات خفى والبعض الآخر بسبب

t.me/montlq

حرب الولايات المتحدة الطويلة والمنهكة فى فيتنام · فقد ابتلعت هذه الحرب بمعدل ثلاثين ألف مليون دولار فى العام الواحد مما أضعف الاقتصاد الأمريكى ، وجعه فى مقدور دول أوربا الغربية كسب مواقع جديدة فى الأسواق الرأسمالية · ومن جانب آخر تسببت هذه الحرب فى زيادة الميول التضخمية فى الاقتصاد الأمريكى والدول الصناعية الرأسمالية الأخرى الأمر الذى انعكست آثاره على معدل التبادل الدولى والتجارة الدولية لهذه الدول ·

وقد ترتب على ذلك ـ فى اعتقادهم ـ نشوء تناقضات اقتصادية فى مجالى التجارة والمال بين الولايات المتحدة والمجموعة الاقتصادية الأوروبية · وقد انعكست هذه التناقضات فى الجانب العسكرى للعلاقات الأمريكية الأوروبية اللذان يرتبطان بحلف عسكرى (ناتو) ومحاولة الولايات المتحدة الضغط على غرب أوروبا عن طريق التهديد بتخفيض انفاقاتها العسكرية وسحب جزء من قواتها المرابطة فى غرب أوروبا · وتعتبر هذه المظاهر ـ فى اعتقادهم ـ مقدمة للصراع الحتمى بين الدول التى تتولى قيادة الامبريالية العالمية ·

ثالثا : المدرسة النخبوية :

بالرغم من بساطة البناءات الفكرية للمدرسة النخبوية فى الصراع الا أن أفكارها تعدأكثر شيوعا فى جميعالأوساط · وتستندنظريتها على فروض أهمها أن الدول الرأسمالية توجد بها بعضالفئات منالنخبة التىتستفيد من اندلاع الصراع الدولى والحروب · وأهم هذه الفئات من رجال الصناعة والعسكريين وكبار رجال المصارف الدوليين · ونظرا لانتفاع هذه الفئات من الحروب لأنهم صناع العتاد الحربى ومستخدموه وهكذا يتحول المنتفعون من الحرب الى دعاة لها والى شياطين يخططون لشن الحروب لضمان ثرائهم · ويصبح الاستعمار والحروب مجرد مؤامرات تحيكها فئات من النخبة الشريرة لزيادة مكاسبها المادية · ويطلق بعض المفكرين على هذا المنطلق الفكرى اسم المدرسة الشيطانية ·

وتعتبر نظرية رايت ميلز هى حجر الزاوية فى فكر هذه المدرسة ويطلق على هذه النظرية اسم نظرية المحور الصناعى العسكرى · وتزعم هذه النظرية ان الولايات المتحدة يسيطر عليها منذ نهاية الحرب العالمية الثانية تحالف قوى من رجال الصناعة والعسكريين الأمريكيين · وتعمل هذه النخبة على توفير الأسباب التى تساعد على خلق مناخ من اللامبالاة السياسية فى أوساط الرأى العام الأمريكى ـ من خلال سيطرتها شبه الكاملة على أدوات الاتصال الجماهيرى ـ حتى لا يكون هذا الرأى العام فى وضع يمكنه من مقاومة هذا التسلط أو الوقوف على اخطاره المحققة بالنسبة لمستقبل الديموقراطية فى الولايات المتحدة ·

t.me/montlq

وتجادل هذه النظرية بأن الخط المتشدد فى السياسة الخارجية الأمريكية مرجعه الى المصالح الذاتية لتلك النخبة • وبالرغم من أن هذه النخبة تمثل أقلية ضئيلة من المجتمع الأمريكى الا أنها تحاول أن تحقق أقصى استفادة مادية وأدبية ممكنة لها من وراء استمرار أوضاع التوتر والصراع بين العالمين الرأسمالى والشيوعى • ويعتقد ميلز أن سطوة هذه النخبة تكاد تكون عامة وشاملة اذ تمتد الى كافة القرارات التى يمكن ان نصفها بأنها حيوية سواء فى أمور الرخاء أو الكساد ، الحرب أو السلام •

وتؤكد هذه النظرية أن القرارات الحيوية تتقرر بصورة مباشرة فى نطاق هذه النخبة المسيطرة • وأن البدائل والخيارات السياسية المطروحة والتى تختار هذه النخبة من بينها ، عادة ما تصاغ من خلال النفوذ الضخم الذى تمارسه على كل المؤسسات السياسية ذات الصلة بهذه القرارات •

ويرى بعض كتاب الاقتصاد الاجتماعى ان النظام الرأسمالى المتقدم وتأسيسه على المشروع الفردى يسمح بقيام قطاع الصناعات الحربية وبملكيتها الخاصه وهذه الظاهرة تدفع الدول الى المحافظة على مستوى العمالة والعائد الاقتصادى لهذه الصناعة الأمر الذى يجعل الحروب والصراعات الدولية ظواهر مرتبطة بتسويق المنتجات من العتاد العسكرى وأمر ضرورى لعدم تعرض هذه الاقتصاديات للانكماش والبطالة • وهكذا يتضح ان هذه المدرسة تنسب الخطر الذى يتهدد السلام العالمى الى مجموعات معينة تستفيد من ظروف الصراع الدولى •

تقويم النظريات الاقتصادية :

لاشك أن العوامل الاقتصادية يمكن أن تسبب نشوء الصراع بين الدول أو ضمن الأسباب المفضية الى هذا الصراع • ومن الصعب على أى فكر ـ مهما كانت انتماءاته الفكرية ـ انكار دور العوامل الاقتصادية فى المنازعات ، التوترات والصراعات الدولية سواء كان ذلك من خلال سعى الدول للاستحواذ على مصادر القوة والسيطرة أو دفاعا عن الوجود والاستقلال القومى • ولكن فى نفس الوقت من غير الممكن علميا أو المبرر أمبريقيا ارجاع الصراعات الدولية بكافة أنواعها وفى جميع الأماكن والأزمنة الى العوامل الاقتصادية •

المدرسة الليبرالية الكلاسيكية أرجعت الصراع الدولى الى القيود التى تفرضها الدول على حرية التجارة الدولية والقضاء على ظاهرة التخصص الاقتصادى الدولى • وبصرف النظر عن مدى سلامة الافتراض من الناحية

t.me/montlq

الاقتصادية الذى يؤدى منطقيا الى تخصص بعض الدول فى القطاعات الصناعية والالكترونية المتقدمة بينما تتخصص أخرى فى القطاع الزراعى وما يرتبط بذلك من نتائج ضارة على معدل التبادل الدولى الذى يتجه لصالح الأولى وضد مصالح الثانية ، فان القوة الاقتصادية لدول العالم متفاوتة مما يخلق السيطرة والتبعية الاقتصادية فضلا عن وسائل التغلغل النظامى داخل اقتصاديات الدول التابعة مما يخلق ظروفا للصراع الدولى لا أن يقضى على هذه الظروف ٠

واذا كانت نظرية التطور الاقتصادى وما ذهبت اليه من أن اختلاف درجات التطور الاقتصادى بين الدول وانعكاس هذا الاختلاف على درجة القوة العسكرية لكل منها ، يؤدى الى اندلاع الصراع الدولى يحمل درجة من الحقيقة فاننا لا يمكن القبول به بصفة مطلقة ٠ فالصراع الدولى لا يقع بالضرورة بسبب التفاوت فى درجة التطور الاقتصادى والا فكيف تفسر سلسلة الصراعات الدولية التى تزدحم بها قارات آسيا ، أفريقيا وأمريكا اللاتينية ٠ أما ما تذهب اليه من أن الدول لا تقتنع بالمستوى الاقتصادى والعلمى التى توصلت اليه ومن ثم تلجأ الى اثارة الصراع الدولى وشن الحروب ، لا يرتبط بالعوامل الاقتصادية دائما وانما بالرغبة فى الاستحواذ على القوة والسيطرة وتلك عوامل سياسية ونفسية وليست اقتصادية ٠

والمدرسة الماركسية أصرت على أن الاستعمار الاقتصادى الذى هو وليد للنظام الرأسمالى المتقدم يعد السبب الأول والأخير لكل أشكال الصراع الدولى وأن القضاء على النظام الرأسمالى معناه القضاء على كل العوامل المسببة للصراع الدولى والحروب ٠ واذا كانت المدرسة الماركسية صادقة على النظام الفلسفى الماركسى وحتميته الاقتصادية فانها ليست صادقة بالضرورة على الواقع الدولى بكل أبعاده ٠ واذا كان لينين حين قدم نظريته فى الاستعمار أعلى مراحل الرأسمالية وما تضمنته من اتجاه النظام الرأسمالى لخلق الاحتكارات والمؤسسات المالية العملاقة التى تسعى الى تصدير فائض السلع ورأس المال وتتنافس هذه الاحتكارات فى الدول الرأسمالية نحو الاستحواذ على المناطق المتخلفة سعيا وراء تصريف البضائع وتوظيف رأس المال والحصول على المواد الأولية والعمل الرخيص ، قد أصاب جانبا من الحقيقة لكنه لم يستحوذ على كل الحقيقة بالتأكيد ٠

وقد تعرضت نظريات الاستعمار الاقتصادى ـ خاصة بعد الحرب العالمية الثانية ـ الى انتقادات كثيرة أهمها ما يلى :

١ ـ اذا كان من الممكن القبول بمقولة أن الاستعمار يعد أحد الأسباب الرئيسية للصراع الدولى ـ وليس السبب الوحيد بالتأكيد ـ فان التفسير الاقتصادى للاستعمار قد أخطأ بناء قانون كونى للتاريخ لأنه بنى فروضه على خبرات محددة لحالات قليلة ومنعزلة · فالاستعمار أو الامبريالية هى كل سياسة خارجية ترمى تهدف الى الاطاحة بالوضع القائم ، وقلب علاقات القوة القائمة بين دولتين أو أكثر رأسا على عقب · والاستعمار يقتضى بالضرورة « أن تعمل أجهزة الحكومة والدبلوماسية للدولة المستعمرة على ضم أقاليم ، محميات أو مناطق نفوذ لشعوب مختلفة عن شعب الدولة المستعمرة » · واذا كان هدف الدولة المستعمرة هو التجارة ، زيادة فرص التصنيع والاستثمار ، فان هذا الهدف يتضمن أيضا البحث عن القوة ، السيطرة والنفوذ ·

٢ ـ ان قصر نظريات الاستعمار الاقتصادى ، مسببات الصراع الدولى على النظام الرأسمالى لا تهمل معالجة الاستعمار الذى سبق نشأة النظام الرأسمالى فحسب ولكن ـ أيضا ـ لا تقدم تفسيرا كاملا لعصر الاستعمار الرأسمالى · فاذا كانت الصراعات الدولية فى عصر الرأسمالية من الممكن وجود المبرر الاقتصادى لبعضها ، فاننا نجد عديد من الصراعات الأخرى لم يكن وقوعها مستندا الى دوافع اقتصادية · فحرب البوير Boer وحرب الشاكو Chaco بين بوليفيا وبراجواى ١٩٣٢ ـ ١٩٣٥ ، الحرب النمساوية البروسية الحرب الالمانية الفرنسية ، الحرب الأسبانية الأمريكية ، الحرب اليابانية الروسية التركية الايطالية ، من الصعب التسليم بأنها قامت لأسباب اقتصادية خالصة ·

٣ ـ أن المناخ الفكرى للثقافة الغربية الرأسمالية نفسها يفضل انقاص أسباب الأحداث السياسية الى حد التعبير الاقتصادى · والواقع ان المصالح الاقتصادية ذاتها ما هى الا اطار أو تبرير عقلانى للحدث السياسى بينما يكمن السبب الأساسى ـ خاصة بالنسبة للدول الكبرى ـ فى ارادة القوة Will to Power وبهذا الشرح يمكن تفسير الاستعمار الرأسمالى والشيوعى أيضا والا فكيف يمكننا تفسير ما يلى :

(أ) احباط القوات السوفيتية لتمرد العمال فى المانيا الشرقية عام ١٩٥٣ ·

(ب) تدخل القوات السوفيتية لسحق الهبة المجرية عام ١٩٥٦ ·

(ج) تدخل القوات السوفيتية ومعها قوات حلف وارسو لسحق الهبة التشيكوسلوفاكية عام ١٩٦٨ ·

t.me/montlq

(ج) الصدام بين الصين الشعبية والهند عام ١٩٦٢ ٠

(د) المصادمات العسكرية بين الصين الشعبية والاتحاد السوفيتى على طول نهرى ايسورى Issurri وآمور Amur عام ١٩٦٩ ٠

(هـ) التدخل العسكرى السوفيتى لسحق الثوار المسلمين فى أفغانستان فى ٢٧ ديسمبر ١٩٧٩ ٠

(و) اعلان القيادة السوفيتية عام ١٩٦٨ عما سمى بمبدأ « السيادة المحدودة » لدول شرق أوروبا الواقعة تحت السيطرة السوفيتية ٠

واذا كان الماركسيون يقدمون تفسيرا للتدخلات السوفيتية فى أوروبا الشرقية وحروب التحرير الوطنية مثل فيتنام على أساس انها صراع بين قوى الاشتراكية والاستعمار الرأسمالى ، فان من الصعب عليهم تفسير الحرب الصينية الهندية ، الصراع الصينى السوفيتى والتدخل العسكرى السافر فى أفغانستان انطلاقا من نفس الأساس ٠

٤ ـ تعرضت نظريات الاستعمار الرأسمالى لنقد عنيف على يد الكاتب النمساوى جوزيف شومبيتر (١٨٩٣ ـ ١٩٥٠) الذى أصر على أن الاستعمار لا يمكن النظر اليه على أنه مجرد متابعة اقتصادية لمصالح الدول ٠ وان التاريخ مفعم بالدول الساعية الى التوسع من أجل التوسع ، الحرب من أجل القتال ، الانتصار من أجل النفوذ ، والسيطرة من أجل الحكم والتحكم ٠ والصراع الدولى والحروب ـ فى تقديره ـ لا تندلع من أجل تحقيق مزايا فورية ومحددة حتى لو كانت هذه المزايا هدفا معلنا ٠

والاستعمار كالقومية سلوك غير عقلانى وغير واعى تدعو اليه غرائز من الماضى السحيق فهو يمثل ردة فى الثقافة الاجتماعية ٠ واذا كانت البرجوازية تشارك فى صنع قرار الحرب فى الدول الرأسمالية فان الارستقراطية صاغت هذا القرار فى عصور طويلة قبل نشوء الرأسمالية ٠

٥ ـ العامل الاقتصادى كان ومازال أحد أسباب الصراعات الدولية والوسيلة الأكثر تأثيرا فى ادارته ٠ ومن الملاحظ فى التاريخ المعاصر استخدام كلا المعسكرين للمساعدات الاقتصادية كوسيلة لادارة الصراع فيما بينهما ٠ كما يلاحظ الميل فى توزيعها لهذه المساعدات ٠ ففى عام ١٩٦٦ حصلت كل من :

t.me/montlq

(ج) الصدام بين الصين الشعبية والهند عام ١٩٦٢ ·

(د) المصادمات العسكرية بين الصين الشعبية والاتحاد السوفيتى على طول نهرى ايسورى Issurri وأمور Amur عام ١٩٦٩ ·

(هـ) التدخل العسكرى السوفيتى لسحق الثوار المسلمين فى أفغانستان فى ٢٧ ديسمبر ١٩٧٩ ·

(و) اعلان القيادة السوفيتية عام ١٩٦٨ عما سمى بمبدأ « السيادة المحدودة » لدول شرق أوروبا الواقعة تحت السيطرة السوفيتية ·

واذا كان الماركسيون يقدمون تفسيرا للتدخلات السوفيتية فى أوروبا الشرقية وحروب التحرير الوطنية مثل فيتنام على أساس انها صراع بين قوى الاشتراكية والاستعمار الرأسمالى ، فان من الصعب عليهم تفسير الحرب الصينية الهندية ، الصراع الصينى السوفيتى والتدخل العسكرى السافر فى أفغانستان انطلاقا من نفس الأساس ·

٤ ـ تعرضت نظريات الاستعمار الرأسمالى لنقد عنيف على يد الكاتب النمساوى جوزيف شومبيتر (١٨٩٣ ـ ١٩٥٠) الذى أصر على أن الاستعمار لا يمكن النظر اليه على أنه مجرد متابعة اقتصادية لمصالح الدول · وان التاريخ مفعم بالدول الساعية الى التوسع من أجل التوسع ، الحرب من أجل القتال ، الانتصار من أجل النفوذ ، والسيطرة من أجل الحكم والتحكم · والصراع الدولى والحروب ـ فى تقديره ـ لا تندلع من أجل تحقيق مزايا فورية ومحددة حتى لو كانت هذه المزايا هدفا معلنا ·

والاستعمار كالقومية سلوك غير عقلانى وغير واعى تدعو اليه غرائز من الماضى السحيق فهو يمثل ردة فى الثقافة الاجتماعية · واذا كانت البرجوازية تشارك فى صنع قرار الحرب فى الدول الرأسمالية فان الارستقراطية صاغت هذا القرار فى عصور طويلة قبل نشوء الرأسمالية ·

٥ ـ العامل الاقتصادى كان ومازال أحد أسباب الصراعات الدولية والوسيلة الأكثر تأثيرا فى ادارته · ومن الملاحظ فى التاريخ المعاصر استخدام كلا المعسكرين للمساعدات الاقتصادية كوسيلة لادارة الصراع فيما بينهما · كما يلاحظ الميل فى توزيعها لهذه المساعدات · ففى عام ١٩٦٦ حصلت كل من :

t.me/montlq

البرازيل ، شيلى ، كولومبيا والهند على ٨٢٪ من المساعدات الخارجية الأمريكية بينما توجهت معظم المساعدات السوفيتية فى نفس العام الى كل من : مصر الجزائر ، كوبا والهند ٠

٦ ــ بالرغم من الانتقادات التى وجهت الى النظريات الاقتصادية فى تفسير ظاهرة الصراع الدولى (هوبسون ــ لينين) ، فان الكثير من المحللين السياسيين والمنظرين فى العالم الغربى نفسه يوافقون على امتلاكها الصــلاحية الجزئية A Partial Validity لتفسير بعض الصراعات الدولية ٠

t.me/montlq

النظـــــريات الماكروكوزميـــه

MACROCOSMIC THEORIES

نظـــريات القـــوة القـــومية

تتفق عدد من التخريجات النظرية التقليدية لعلماء السياسة على أن ظاهرة الصراع الدولى تنشأ بسبب الحاجة الى القوة القومية وسعى الدول لتحقيق المزيد منها ، وتعد ظاهرة السعى الدؤوب لكل دولة من أجل زيادة مدى ماتستحوذ عليه من القوة ، ظاهرة ضرورية ، نظرا لغياب جهاز أعلى يتولى وظيفة القسر فى اطار النظام الدولى بشكل يكفل الضمان والحماية لكل دولة ٠

ويعتقد هؤلاء المنظرون أن السياسة الدولية كغيرها من السياسات ليست الا صراعا على القوة ، فالقوة هدفها الآنى والفورى ، مهما كانت أهدافها النهائية والبعيدة ٠ واذا كانت القوة ـ فى مفهومها العام ـ تعرف عادة بأنها المقدرة على جعل الآخرين يستجيبون طواعية أو يذعنون قسرا لما يراد منهم الاقدام عليه أو الامتناع عنه ، فان القوة فى تصورهم لا يمكن أن تقتصر على الأداة العسكرية وحدها ، ولكن تشمل الى جانبها أنماطا أخرى من القدرة على التأثير السياسى الدولى مثل : القدرة على التأثير بقوة الضغط الاقتصادى ، وسائل الدعاية والحرب النفسية ، أســـلوب التفاوض الدبلوماسى ٠٠ الخ ٠ وتصبح عملية دعم قاعدة الدولة من موارد القوة بمختلف عناصرها ووسائلها ، ضرورة قصوى اذا أرادت أن تحقق أهدافها التى خططت لها فى المجتمع الدولى ٠

والصراع على القوة ـ فى تقديرهم ـ الأداة الواقعية والمعقولة لتفسير السلوك الدولى والوقوف على دوافعه الحقيقية بعيدا عن التبريرات الزائفة التى تحاول الدول تقديمها من قبيل الخداع والتمويه ٠ ويكشف هذا الصراع عن الأساس الدائم الذى يفســـر السياسات الخارجية للدول مهما تغيرت أجهزتها القيادية الحاكمة أو اختلفت أنماط ما تدين به من معتقدات ايديولوجية ٠

وتســـتحوذ مسألة القوة القومية على الاهتمام المركزى للدولة كما تعد المعيار الذى تقيس به معظم أنشـــطتها الحياتية ٠ والبحث عن القوة لا يكون

t.me/montlq

لذاتها وانما كوسيلة من أجل تحقيق غاية اشباع احتياجات الدولة ، والدول لا تضع حدا تكتفى بعده عما استحوذت عليه من قوة . فالقوة ذات طبيعة تراكمية كالمال بصرف عن مجالات الانفاق المدركة وغير المدركة ، ولكن مهما كانت الغاية التى تسعى القوة الى تحقيقها ومهما كانت صفاتها ، حدودها وامكاناتها فانها فى حد ذاتها يمكن - وهذا احتمال دائم - أن تقود الى الصراع .

ونظرا لأن عملية البحث عن القوة لا نهاية لها بالنسبة للدولة ، وهى فى نفس الوقت موضع شك وريبة الدولة باحتمال أن تكون هدفا لاستخدام هذه القوة عدائيا فى مواجهتها فان عملية البحث عن القوة من جانب دولة تحمل احتمال نشوب الصراع مع الدول الأخرى ، واذا كانت عملية الاتصال بين الدول واقامة الجسور بينها على الصعيد الشعبى يمكن أن تشارك فى خلق نوع من التكامل وتقلل من احتمالات نشوب العنف بينها فانها لا تستطيع مع ذلك أن تقضى على امكانات نشوب الصراع بينها .

١ - نظرية مورجانثو :

أسس مورجانثو نظريته فى السياسة الدولية على فرض سعى الدولة المستمر نحو حماية وتنمية المصالح القومية ، **وهذا الهدف هو بمثابة القوة** المحركة الرئيسية لسياسة الدولة الخارجية وحجر الزاوية فى السياسة الدولية . والدولة - من خلال سعيها لتنفيذ سياستها الخارجية - تواجه التحدى المتمثل فى : كيف يمكن أن تصل الى تحقيق الدرجة القصوى من الحماية لمصالحها القومية فى ظروف الحاضر والمستقبل ؟ ويرى أن السبيل المضمون الى ذلك لا يكون الا بمضاعفة الدولة لمواردها من القوة - والمصلحة القومية فى تقدير مورجانثو - هى مرادف وقرين لقوة الدولة .

وقد اقتبس مورجانثو مفهوم القوة من النظريات الفلسفية للقرن التاسع عشر التى تناولت بالتحديد ظاهرة الصراع البشرى والتى قامت على افتراض أن الدافع الغريزى الذى يحرك الانسان دوما هو الصراع على القوة من أجل البقاء ومقابلة التحدى واثبات الذات .

ويعترف مورجانثو أن مفهوم المصلحة القومية المعرفة بالقوة هو مفهوم غير مستقر ، ولكنه يؤكد أنه طالما ظل العالم مقسم الى دول ذات سيادة فان الحد الأدنى للسياسة الخارجية لكل دولة يجب أن تكون حفظ البقاء . نظرا لأن كل دولة مضطرة «لحماية وجودها المادى ، السياسى والثقافى ضد هجوم الدول الأخرى» فان المصلحة القومية تتطابق مع حفظ البقاء القومى وتشكلان معا هوية واحدة .

t.me/montlq

والصراع على القوة ـ فى تقديره ـ هو الركيزة التى تستند عليها المصلحة القومية ، وهذه حقيقة تتجاوز المعتقدات الفـــردية والنظريات الايديولوجية والأحزاب السياسية وأشخاص الحكام فى الدول الرأسمالية والشيوعية على حد سواء . ويؤكد أن المصلحة القومية هى القيمة القومية بصفة دائمة . وتتحدد السياسة الخارجية للدولة على ضوء ما تمتلكه من قوة ومن ثم تسعى أما الى حفظ توزيع القوة الموجودة باتباع سياسة الابقاء على الوضع الراهن ، أو تحاول اجراء تغييرات أســاسية فى علاقات القوة والقضــاء على الأمر الواقع باتباع سياسة استعمارية ، أما البديل الثالث والأخير أن تقنع الدولة بما تملكه من قوة وتسعى الى أشعار الدول الأخرى بالقوة التى تمتلكها من خلال سياسة الهيبة .

ويجادل مورجانثو بأن الدول فى سعيها لتحقيق مصالحها القومية غير الحيوية ـ المصالح التى لا ترتبط بمسألة البقاء القومى ـ تشارك فى نشــأة الصراعات الدولية وتزيد من تفاقم هذه الظاهرة فى القرن العشرين .

تسعى كثير من دول العالم الى تبنى سياسات عالمية بدلا من اصرارها على تحقيق أهداف محدودة وحيوية ذات العلاقة بمصلحتها القومية . ويرى أن تطور القومية الحديثة اختلط بايديولوجيات دينية مما أدى الى اضفاء الابهام والغموض على مفهوم المصلحة القومية . وحذر من الاعتماد على مجرد الحدس لاتخاذ قرار من الدولة للتدخل فى شئون أقاليم ليست حيوية بالنسبة لأمنها .

وعارض مورجانثو ـ مثل كينان ـ تدخل الولايات المتحدة عسكريا فى جنوب شرقى آسيا لأنها تقع خلف المصالح القومية الحيوية ولكونها تســتلزم نفقات باهظة لتحقيق التوازن الاقليمى وهكذا يؤكد أن التزام الدول بالحيز المحدود لمصالحها القومية عامل حاسم لحفظ قوة الدولة وسلام العالم .

٢ ـ نظــرية توازن القـــوة :

استمرت نظرية توازن القوة لفترة طويلة حتى بداية العقد المنصرم تمثل الحقل الأكاديمى الرئيسى لدراسة السياسة الدولية ، ولكن التطور الذى اعترى مناهج وطرق البحث العلمى فى هذا الحقل جعل من نظرية توازن القوة نمطا فكريا تجاوزه التقدم الفكرى المعاصر ، ويعتقد بعض الكتاب أن « نظرية توازن القوة » التقليدية كأسلوب اقتراب لتناول قضايا السياسة الدولية قبل الحرب العالمية الثانية قد تم ابدالها بنظرية « توازن الرعب » فى العصر النووى .

وتقضى نظرية توازن القوة بأن ظاهرة الصراع الدولى ما هى الا ظاهرة اختلال توازن القوة بين الدول كما أن الشرط المسبق لتحقيق السلام والاستقرار

t.me/montlq

هو الابقاء على هذا التوازن . وتستند النظرية فى فروضها على مفهوم التكافؤ السائد فى كثير من العلوم الطبيعية والاجتماعية والذى يعد الشـرط المسبق لتحقيق التوازن .

والتوازن يعنى الاستقرار ضمن اطار نظام تضم عددا من القوى المستقلة . وعندما يتعرض هذا التكافؤ للاضطراب أما بفعل قوة خارجية أو نتيجة تبدل فى العناصر التى تؤلف النظام فان هذا النظام يبدى ميلا نحو اعادة التكافؤ الأصلى أو اقامة تكافؤ جديد . ونحن نبحث دائما عن التوازن بين الشرق والغرب ، الشمال والجنوب ، .. الخ . ، ومن الطبيعى أن يكون هدف هذه العمليات التكافؤية الحفاظ على استقرار النظام دون تحطيم ظاهرة التعدد فى العناصر المؤلفة له . ويوجد عاملان يتحكمان فى عملية توازن القوة على الصعيد الدولى هما :

١ ـ التنوع والتعدد فى العناصر التى يتكون منها المجتمع الدولى وهى الدول .

٢ ـ العداء بين هذه العناصر المؤلفة للنظام الدولى .

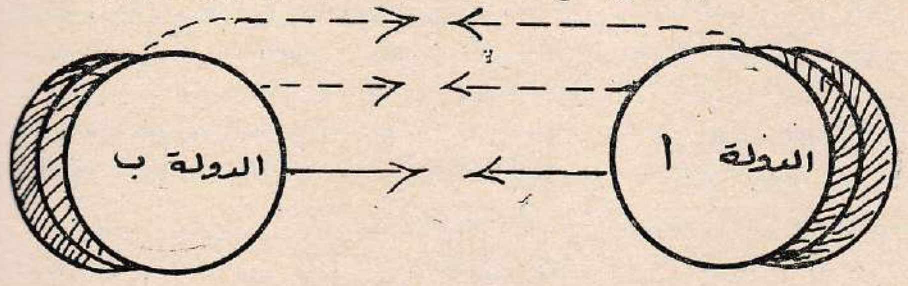
وتفترض نظرية توازن القوة أن تطلعات الدول المختلفة فى المجتمع الدولى يمكن أن تقود الى التصادم بين هذه الدول أو الصـراع الدولى . وترى أن الصراع على المسرح الدولى من أجل القوة يتم فى شكلين نموذجيين مختلفين همـا :

(أ) المعارضة المباشرة

(ب) الشـكل التنافسـى

(أ) نموذج المعارضـة المباشـرة :

ويضم هذا النموذج حالة لجوء دولة ما الى اتباع سياسة استعمارية تجاه أخرى ، وفى هذه الحالة تلقى الدولة الأولى معارضة مباشرة من الدولة الثانية التى قد ترد على هذه السـياسة باتباع سياسة الوضـع الراهن أو سياسة استعمارية خاصة بها . ويتضح ذلك من خلال الشكل التوضيحى رقم (٦) .

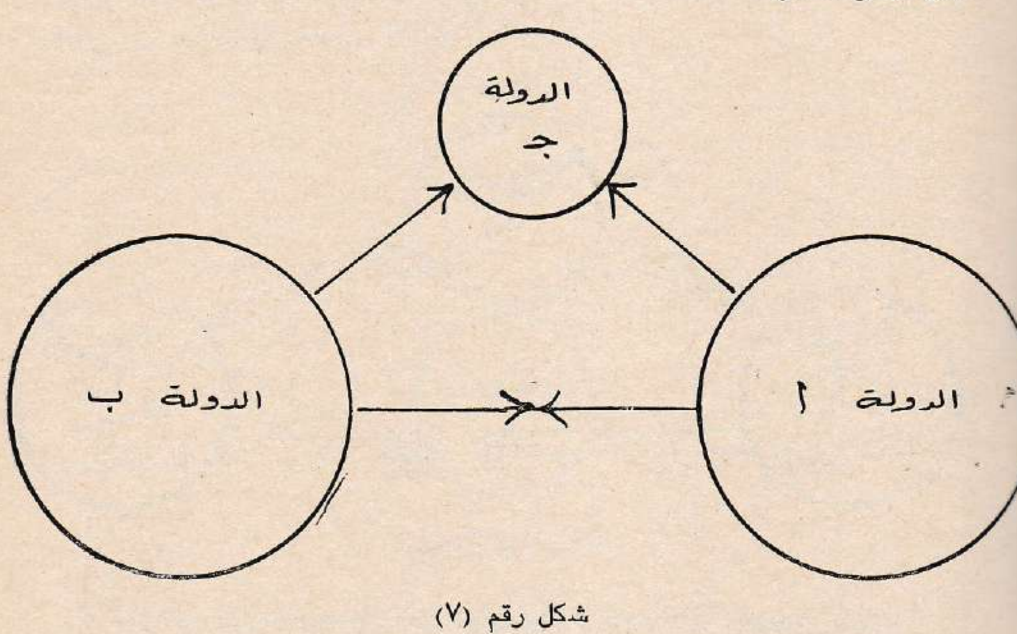


شكل رقم (٦)

t.me/montlq

ومن التطبيقات العملية لهذا النموذج فى الواقع الدولى معارضة فرنسا وحلفائها لروسيا فى عام ١٨١٢ ، اليابان للصين بين عامى ١٩٣١ ، ١٩٤١ ، الحلفاء للمحور ابتداء من عام ١٩٤١ . فقد تمت هذه المعارضات التى أخذت الشكل المباشر من دولة ترفض الاذعان لدولة أخرى تسعى الى فرض قوتها عليها .

وقد تتخذ المعارضة المباشرة بين الدولتين (أ) ، (ب) صورة الصراع حول السيطرة على دولة ثالثة (ج) . وفى هذه الحالة تتبع الدولة (أ) سياسة استعمارية تجاه الدولة (ج) التى قد تقاوم هذه السياسة وقد تستكين لها . وفى نفس الوقت قد تتبع الدولة (ب) سياسة الوضع الراهن أو سياسة استعمارية أيضا تجاه (ج) حيث تصبح السيطرة على (ج) هدفا لسياسة (أ) التى تلقى المعارضة المباشرة من (ب) وتحاول الحفاظ على الوضع الراهن بالنسبة الى (ج) أو تحقيق سيطرتها هى عليها . وتكون صورة الصراع على القوة بين (أ) ، (ب) فى هذه الحالة تجسيدا للتنافس وليس التعارض ، اذ يجسد هذا التنافس الرغبة فى السيطرة على (ج) وكما يتضح من الشكل التوضيحى التالى .



شكل رقم (٧)

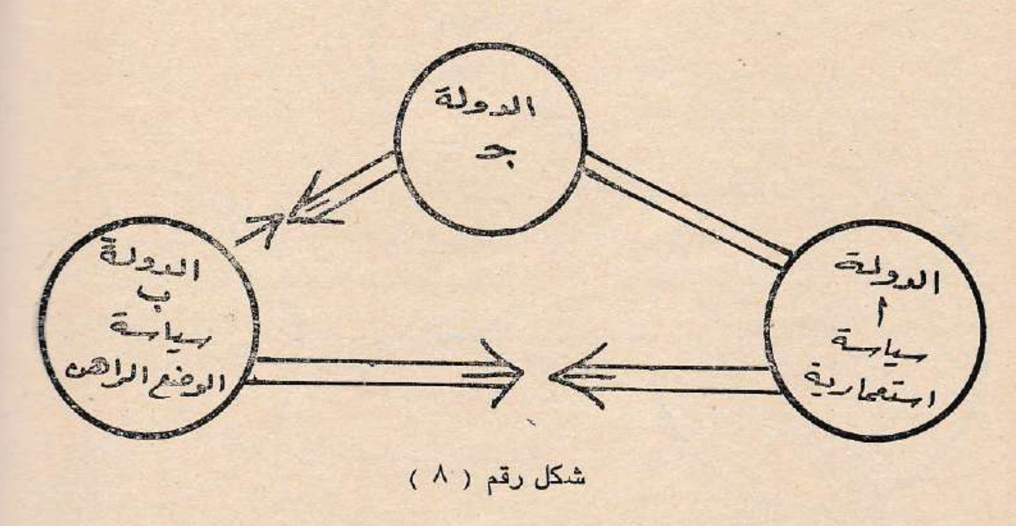
t.me/montlq

ويتضح هذا الشكل فى الواقع الدولى على نطاق واسع من أبرز أمثلة الصراع بين بريطانيا وروسيا للسيطرة على ايران طوال قرن من الزمان ٠

(ب) النموذج التنافسـى :

ويعكس هذا النموذج صورة الصراع بين دولتين من أجل السيطرة على دولة ثالثة ومن ثم يكون الصراع غير موجه هدفيا من احداهما للأخرى وانما هو تنافس من أجل الاستئثار بالسيطرة على الدولة الثالثة ٠ ويجرى الصراع وفقا لهذا النموذج من أجل السيطرة على الدولة الثالثة (جـ) من جانب الدولة الأولى (أ) وفى وجه معارضة الدولة الثانية (ب) ٠ ويفترض هذا النموذج توازن فى قوة كل من دولة (أ) ودولة (ب) وأن هذا التوازن هو شرط الاستقرار فى علاقاتهما كما يعد الضمان لحماية استقلال الدولة (جـ) ومنع أى اعتداء عليها من أى منهما ٠ ويكون استقلال الدولة (جـ) والحالة هذه مجرد عمل من أعمال علاقات القوة بين الدولتين (أ) ، (ب) ٠

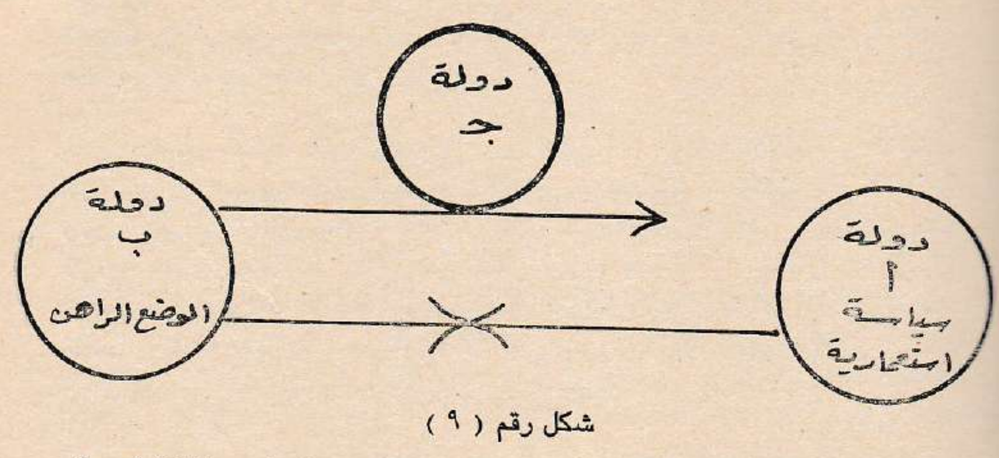
واذا قدر لهذه العلاقات أن تتجه بشكل حاسم فى مصلحة احداهما ولتكن الدولة (أ) فان استقلال الدولة (جـ) يتعرض على الفور للخطر وذلك كما يتضح من الشكل التوضيحى التالى :



شكل رقم (٨)

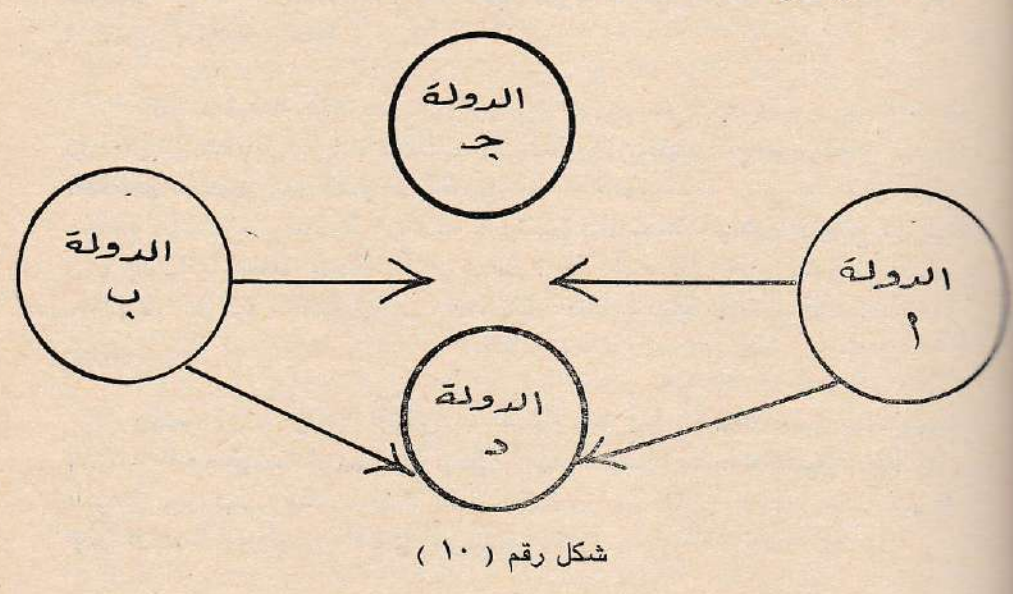
ولو قدر للدولة (ب) والتى تتبع سياسة الابقاء على الوضع الراهن أن حققت نصرا حاسما ودائما ـ فى علاقات القوة ـ فان حرية واستقلال الدولة (جـ) تصبح مضمونة ٠ وهذا يتضح من الشكل التوضيحى التالى :

t.me/montlq



شكل رقم (٩)

أما اذا تخلت الدولة (أ) عن سياستها الاستعمارية بصفة كلية ، أو تحولت بصورة نهائية عن الرغبة فى السيطرة على الدولة (ج) الى هدف آخر وليكن الدولة (د) ، فان حرية واستقلال الدولة (ج) يصبح فى مأمن بصورة دائمة . ويتضح ذلك من الشكل التوضيحى التالى :



شكل رقم (١٠)

ويجادل أنصار نظرية توازن القوة بأن الدول الصغرى تدين بصفة دائمة باستقلالها أما لتوازن القوى كالوضع بالنسبة لبلجيكا ودول البلقان حتى الحرب العالمية الثانية ، أو الى وجود دولة حامية لها تتمتع بالتفوق الطاغى كدول

t.me/montlq

الأمريكتين الوسطى والجنوبية والبرتغال أو لأنها لا تستهوى الاطماع الاستعمارية مثل سويسرا وأسبانيا ٠

وتعتبر علاقات القوة والصراع بين الدول من أجل السيطرة هى المسئولة عن وجود ما يسمى بالدول العازلة ٠ وتعتبر بلجيكا منذ استقلالها عام ١٨٣١ م وحتي الحرب العالمية الثانية المثال البارز للدولة العازلة التى تدين بوجودها لتوازن القوى ، كما تعد الدول التى تنتمى الى ما يسمى «حزام الأمن السوفيتى» والممتدة على حدود الاتحاد السوفيتى الغربية والجنوبية الغربية ابتداء من فنلندا وانتهاء ببلغاريا ، مدينة ببقائها الى سماح جارتها القوية ، لأن وجودها يخدم أغراض هذه الجارة الاقتصادية والعسكرية ٠

ويعتقد مورجانثو أن حفظ السلام الدولى مناط بالرضاء الدولى العام وليس توازن القوة بين الدول ٠ فتوازن القوى لكى يصبح فعالا فى حفظ السلام الدولى بما يفرضه من قيود على قوة وتطلعات الدول المعنية لابد وأن يلقى قبول هذه الدول من أجل أن تعمل على ضبط نفسها وقبول النظام كاطار مشترك لجهدها ٠ وهذا الرضاء العام يظل تحت المراجعة لمنع رغبات القوة الزائدة من أن تصبح سياسة واقعية ٠

وتتم عملية الحفاظ على التوازن بين القوى اما بالتقليل من قوة الدولة ذات الوزن الثقيل أو بزيادة قوة الدولة ذات الوزن الخفيف ٠ والطرق التى يجرى العمل بها لتحقيق هذه الغاية أربعة هى : سياسة فرق تسد ، سياسة التعويضات سياسة التسلح ، وسياسة الاحلاف ٠ وتكشف الملاحظة المباشرة للواقع الدولى أن هناك دائما نظاما مسيطرا لتوازن القوة على الصعيد العالمى وترتبط به عدد من النظم الفرعية المحلية وتكون علاقة هذه النظم المحلية بالنظام المسيطر علاقة تبعيـــــة ٠

وكلما ازداد ارتباط التوازنات المحلية بالتوازن المسيطر على الصعيد الأوسع قلت الفرصة المتاحة للتوازنات المحلية للعمل بصورة مستقلة فقد كان التوازن بين دول البلقان خلال الحقبة الأخيرة من القرن التاسع عشر شرطا أوليا للحفاظ على توازن القوى الأوربية ٠

٣ ـ نظـــرية حـــافز القـــوة :

يجادل روبرت هوبى بأن حافز القوة Power Urge هو العنصـــر الرئيسى فى نشأة الصراع الدولى ٠ وبالرغم من وجود عدة عناصـــر أخرى

t.me/montlq

تشارك فى صياغة ظاهرة الصراع الدولى ، فان حافز القوة هو المتغير الأصبل الذى يتحكم فى نشأة ومسار الظاهرة • ويرى أن هذا الحافز مشتق من حافز أساسى هو تضخيم الذات Self-Aggrandizement أو تأكيد الذات Self-Assertion •

والصراع الدولى باعتباره نتيجة لحافز القوة يمكن أن يندلع فى أى لحظة تحت وطأة الطموح الشخصى ، طلب الهيبة أو مجرد الرغبة فى الاستفادة من عمل الآخرين • وقد تعاظمت أهمية القوة فى العلاقات الدولية المعاصرة ـ بالمقارنة بأهميتها فى العهود الماضية ـ بسبب الزيادة الكبيرة فى عدد السكان وتعاظم فاعلية وتأثير أدوات القهر فى الدولة مع انهيار أو غياب الروادع الدينية والميتافيزيقية التى كانت تقيد رجال السلطة وصناع القرار من جر دولهم للصدام مع الدول الأخرى •

وتسعى الحكومات المعاصرة حثيثا نحو زيادة وزن قوتها بدرجة تفوق وزنها السكانى • وهذا الحافز يدفعها نحو فرض أنواع عديدة من الضرائب على دخول السكان ، تجنيد نسبة كبيرة من شعبها للخدمة العسكرية بدرجة لا تقارن بما كان عليه الحال فى قرون خلت ، ومع ذلك يتدخل مستوى التقدم التكنولوجى ليفرض نفسه على وزن قوة الدولة على الرغم من جهود التعبئة المتعاظمة من أجل هذه الغاية فى الدول الآخذة فى النمو اذا ما قورنت بالدول المتقدمة • وبتزايد حافز القوة فى المجتمع الدولى المعاصر مع غياب قوة اعتراضية دولية تملك حد أدنى من الضبط فى السياسة الدولية كالتى أمتلكتها بريطانيا العظمى فى الفترة من ١٨٧٠ م وحتى ١٩٣٥ م •

وقد انتشر حافز القوة على صعيد السياسة الدولية فى عدة أنواع من الصراع الدولى • فمحاولة دولة فرض ايديولوجيتها السياسية على دولة أخرى ، الاختلافات النفسية كالخوف والتشتت واختلاف السلوك والعادات السائدة فى الدول المختلفة ، الاختلاف فى الهيكل الاجتماعى والثقافى كلها عناصر يلعب فيها حافز القوة دورا رئيسيا وتفضى فى نفس الوقت الى نشوء الصراع الدولى •

ويعتقد أنصار النظرية أن حافز القوة يدفع الدولة الى الاستفادة من كافة الامكانات المتاحة مثل : الموقع الجغرافى ، القوى العاملة ، الموارد الطبيعية ، الاتقان العلمى والتكنولوجى ، فاعلية المؤسسات السياسية وتهيئة النفسية القومية من أجل رفع الوزن النسبى لقوة الدولة القومية • ويرى هوبى أن ترجمة حافز القوة الى شكل مؤسسى كالمنظمات السياسية ، الاقتصادية والعسكرية هو الطريق الوحيد لتحويل عناصر القوة المتاحة للدولة الى سياسة واقعية ملموسة •

t.me/montlq

ونظرا لأن حافز القوة ظاهرة شاملة ومستمرة فان ظاهرة الصراع الدولى تصبح بالضرورة تعبير معاصر عن الصراع الشامل الذى يضم كل الأقاليم والشعوب نزولا على الحكم المطلق لقانون الديالكتيك ، وتشهد كل فترة زمنية صراعا بين قوى معينة الأمر الذي يؤدى الى تدمير النظام الذى يتم الصراع داخل اطاره ويمهد الطريق لقيام نظام جديد والذى يضم داخله بدوره قوى متصارعة أخرى تؤدى الى تحوله . ويتوقف مستقبل النظام الدولى الحالى على النتائج التى ستسفر عنها الثورة النظامية المعاصرة .

ويعتقد أنصار النظرية أن حسم الصراع الدولى المعاصر لن يكون عن طريق الصدام العضوى المباشـــر بين القوتين الأعظم وانما عن طريق النتائج التى ستسفر عنها الثورة التى يشهدها النظام الدولى ومن ثم فان الصـــراع الدولى المعاصر صراع طويل الأمد ، مختلف الأبعاد ومتعدد الوسائل وأن قدرة الأطراف على ادارة الصراع هى التى سوف تحدد نتيجته .

٤ ـ القوة القومية والعلاقات الدولية :

تتناول العلاقات الدولية بصفة مستمرة تنظيم ومعالجة العلاقات بين الوحدات الســـياسية التى ينقسم اليها العالم ابتداء من نظام المدينة ـ الدولة الاغريقية وحتى نظام الدولة القومية الحديثة . وبسبب وجود عديد من الوحدات السياسية ذات الحكم الذاتى المستقل ، فان كلا منها تطالب بامتلاك العدالة بين يديها . وطالما كانت الوحدة السياسية هى الحكم الوحيد على اتخاذ قرار الحرب أو السلام فان الهدف الرئيسى لكل وحدة من هذه الوحدات هو تأمين ســـلامتها وبقائها .

ويواجه الدبلوماسى الاستراتيجى ـ عند ادارته للعلاقات الدولية ـ خطر مواجهة الصدام المسلح طالما كانت ظاهرة مواجهة الخصومة الدولية أمر طبيعى ومستمر وحيث يحتفظ الخصم لنفسه بحق اللجوء الى الوسيلة الأخيرة أى العنف . ويعتقد ريمون آرون أن العـــلاقات بين الدول يغلب عليها الصـــراع وأن هذه العلاقات تواجه بصفة مستمرة الاختيار بين بديلين الحرب أم السلام . ويؤكد أن الوحدات السياسية لا تريد القوة من أجل القوة ذاتها أى أنها وسيلة وليست غاية فالقوة هى وسيلة الدولة لتحقيق الأهداف مثل : ضمان استقرار الســلام الدولى ، العظمة أو التأثير على مستقبل النظام الدولى .

وعلى الرغم من اعتقاد آرون بامكانية تقدير القوة القومية للدولة على أساس كمى ، فانه فى نفس الوقت يحذر من الجزم بفاعلية القوة فى تحقيق الأهداف القومية لأن هذه الوظيفة تعتمد على مدى القـــدرات التى يتمتع بها القـــادة السياسيون فى الدولة المعنية . ويرى أن العلاقات الدولية ليست مجرد نتيجة

t.me/montlq

وانعكاس لعلاقات القوة فقط بين الدول ولكن هى انعكاس أيضا لعلاقات الأفكار والعواطف التى تمارس آثارها الملموسة على صناع القرار . ويضيف أرنولد ولفيرز بعدا آخرا للقوة القومية وهو ما أسماه رد الفعل النفسى للجنس البشرى المآزر لسلوك الدول المعنية .

ويرفض وولفيرز مقولة أن القوة القومية هى القوة الفاعلة الرئيسية فى السياسة الدولية ويرى أن السلوك الدولى هو نتيجة لخليط من الضغوط المتصارعة لثلاثة أنواع من القوى وهى :

١ ـ القوى الفاعلة القومية — Natiional Actors

٢ ـ القوى الفاعلة التحت قومية — Subnational Actors

٣ ـ القوى الفاعلة الفوق قومية — Supranational Actors

وتفرض هذه الأنواع الثلاثة من القوى نفسها على مجريات السياسة الدولية ومن ثم يتوجب أن تكون موضوعا للتحليل المنهاجى .

واذا كانت القوة القومية تقاس عادة بمحصلة عديد من العناصر المادية والمعنوية فان القوة النسبية للدول عادة ما تختصر فى الامكانات الحربية للدولة التى تشتمل على الأسلحة العسكرية والعتاد الحربى والمعدات ذات العلاقة .. وتجرى الدراسات لقياس القوة القومية للدول على هذا النحو فى ظروف المواجهة والصراع الدولى . وتعتبر الامكانات الحربية للدولة المحك الحقيقى لقوة الدولة القومية كما يتضح من الجدول التالى الذى يسجل قوة كل من الحلفاء والمحور وتطور هذه القوة خلال الحرب العالمية الثانية .

القوة الحربية للحلفاء والمحور ١٩٣٨ ـ ١٩٤٣

الدولة	١٩٣٨	١٩٣٩	١٩٤٠	١٩٤١	١٩٤٢	١٩٤٣
الولايات المتحدة	٦	٤	٧	١٤	٣٠	٤٠
كندا	٥	٥	٥	١	٢	٢
بريطانيا	٦	١٠	١٨	١٩	١٥	١٣
الاتحاد السوفيتى	٢٧	٣١	٢٣	٢٤	١٧	١٥
القوة الشاملة للحلفاء	٣٩	٤٥	٤٨	٥٨	٦٤	٧٠
المانيا	٤٦	٤٣	٤٠	٣١	٢٧	٢٢
ايطاليا	٦	٤	٥	٤	٣	١
اليابان	٩	٨	٧	٧	٦	٧
القوة الشاملة للمحور	٦١	٥٥	٥٢	٤٢	٣٦	٣٠
القوة الشاملة	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠

t.me/montlq

تقـــويم نظـــريات القـــوة القـــومية :

لاشك أن جميع دول العالم تولى مسألة القوة القومية أولوية مطلقة على ماعداها من الأهداف • كما تهتم بتقدير قوة الدول الأخرى ولاسيما تلك التى تشتبك معها فى صراع أو التى من المحتمل أو تشتبك معها • ولكن أنصار نظرية القوة فى السياسة الدولية باعتبارهم أن القوة هى الدافع للسلوك الســـياسى الدولى بصفة عامة والصراع الدولى بصفة خاصة ، قد تعرضوا للانتقاد لاهمالهم مختلف العناصر الأخرى المؤدية لنشوء الصراع الدولى •

وبالرغم من أن نظريات القوة هى أكثر النظريات جسارة فى مواجهة حقائق الواقع الدولى لكنها مع ذلك لم تقدم البناء والنسق الفكرى الواضح للقوة • وتواجه هذه النظريات المشكلة الكؤود وهى اعتماد المعيار الدقيق القادر على قياس القوة القومية • وعلى الرغم من الدراسات العديدة التى حاولت اخضاع هذه القوة للتحليل الكمى ، فلا توجد ـ حتى الآن ـ وحدة مشتركة لقياسها فى كتابات المنظرين للقوة • وأنه من غير الممكن تجميع متغيرات مختلفة تحت كلمة واحدة مثل القوة دون الوقوف على الأبعاد الوظيفية لهذه المتغـــيرات ودون التفرقة بين القوة كمعيار قياس للســـياسة الخارجية والقوة كأمكانات ، وبين القوة باعتبارها كمية من الموارد والقوة كمجموعة من العمليات •

واذا كان أنصار القوة يرجعون ظاهرة الصراع الدولى الى سعى الدول الى حماية مصالحها القومية فى ظروف الحاضر والمستقبل عن طريق مضاعفة موارد الدولة من القوة بحيث تصبح المصلحة القومية مرادفة للقوة القومية فانهم يواجهون بنفس المشـــكلة ونعنى غموض المعيار القياســـى • واذا كان مفهوم المصلحة القومية مفهوم موضوعى من الممكن التعرف عليه فى نظم سياسية معينة وخلال فترات الاستقرار فى هذه النظم فان التعميم على كافة المجتمعات السياسية مع غياب الدراسات الامبريقية التى توضح أبعاد المصـــلحة القومية فى هذه المجتمعات يجعل من الصعب أن يقرر فى كل الأوقات والدول ماذا تعنى المصلحة القـــومية ؟

واذا كان أنصار نظرية توازن القوى يعتقدون أن الصراع الدولى ليس الا ظاهرة مترتبة على الاخلال بهذا التوازن وأن ذلك هو الأسلوب الوحيد لتحاشى الصراع فى اطار نظام الدول المتعددة وذات السيادة ، فانه اعتقاد لا يملك صفة التعميم • فاذا كانت سياسة توازن القوة قد حققت على مدى أربعمائة عام مهمتها فى الحيلولة دون أن تتمكن دولة من فرض سيطرتها على العالم والحفاظ على وجود الدول المشتركة فى عضوية نظام الدولة الحديثة ابتداء من نهاية حروب

t.me/montlq

الثلاثين عام فى أوروبا فى عام ١٦٤٨ وانتهاء بالتقسيمات الثلاثة لبولندا فى نهاية القرن الثامن عشر ، فان الحروب لم تتوقف واستمرت فى شـــكلها الأقليمى فى الفترة من ١٦٤٨ ــ ١٨١٥ ثم توســـعت لتشـــمل المعمورة بأسرها فى حربين عالميتين ٠

وكانت جميع الحروب تقع تحت اسم مبدأ توازن القوى الذى يدعى هدف الحفاظ على الدولة القومية الحديثة لكن هذا المبدأ فشل فى الحفاظ على استقلال بولندا ثم تلاه تحطيم استقلال أو اقتطاع أجزاء من دول تحت ستار المبدأ نفسه منذ عام ١٨١٥ ٠ ويشير هذا الفشل الى نقاط القصور فى النظرية التى يمكن اجمالها فيما يلى :

١ ــ افتقار عملية توازن القوى الى اليقين ٠ فقد اشتقت فكرة التوازن من علم الميكانيكا الذى يستند الى الوحدات الرقمية بينما يفتقر ميزان القوى الدولى الى هذا المعيار اذ لا يمكن تقدير القوة أو النوايا فى شكل وحدات رقمية مجردة ٠

٢ ــ السلبية فى تطبيق المبدأ حيث يؤدى الافتقار الى اليقين الى محاولة كل دولة زيادة قوتها أكثر من الحد المفترض خوفا من الخطأ فى الحساب وليست الحرب الوقائية الا النتيجة الطبيعية لمبدأ توازن القوة ٠

٣ ــ مذهبية توازن القوى حيث تتحكم رغبات الدول فى القوة فى المبادىء المثالية وتحولها الى مذاهب عقائدية تختفى وراءها فى محاولة عقلانية لتبريرها ٠

٤ ــ تعدد مفاهيم واستخدامات تعبير توازن القوة فى الكتابات المعاصرة حيث يعنى ما يلى :

(أ) السياسة الموجهة لتحقيق أهداف معينة فى العلاقات الدولية ٠

(ب) وصف حالة واقعية فى الشئون الدولية ٠

(جـ) التوزيع المتساو للقوة أو التوازن فى النظام الدولى ٠

(د) وصف أى توزيع للقوة ٠

(هـ) البحث عن الهيمنة ٠

(و) وصف القانون العام الذى يحكم حركة التاريخ ٠

t.me/montlq

نظـــريات النظـــام الدولى

التحليل النظامى منهاج علمى يقدم مجموعة من المفاهيم أو أدوات البحث التى تمكن الباحث من التعرف على التغيرات التى تعترى هيكل النظام الدولى ، قوة النظام والصراعات بين النظم الداخلية وبين النظم والدول فى اطار التفاعل بين النظم الفرعية ، وبينها وبين النظام الدولى • وينطلق التحليل النظامى من افتراض النظرية العامة للنظم « الاعتماد المتبادل لاجزاء النظام فى تقرير العلاقات التى تربط بين أجزائه » • ويعتبر التحليل النظامى أساس التفكير الاستراتيجى • فالاستراتيجية هى ـ أولا وقبل كل شىء ـ تصور لعديد من الظواهر تعمل فى علاقة فيما بينها فى شكل نظام بحيث أن فهم مشكلة تعترى ظاهرة معينة لا يمكن فهمها الا على أساس باقى أجزاء النظام •

والصراع الدولى ـ فى اطار نظرية النظام الدولى ـ هو أحد النتائج التى تسفر عن التفاعل بين وحدات النظام • وأن هذا التفاعل يتحدد على أســاس سلوك القوى الفاعلة وظروفها الداخلية وخبرتها التاريخية وتمثل أطراف النظام المتفاعلة أنظمة فى حد ذاتها • فالنظام الدولى يتكون من أنظمة فرعية هى الدول أعضاء النظام وكل منها فى حد ذاتها تشكل نظاما قائما ومتكاملا ومتفرع عنها ـ بدورها ـ أنظمة فرعية •

ويندرج تحت النظام الدولى قطاعات أخرى تمثل أيضا أنظمة فرعية • فاذا أخذنا بالتقسيم الجغرافى فهناك نظام غرب أوروبا ، نظام شرق أوروبا ، نظام الشرق الأوسط •• الخ • واذا أخذنا بالوجهة الايديولوجية نجد : النظام الرأسمالى ، النظام الاشتراكى ، أما اذا أخذنا بدرجة النمو الاقتصادى فان الشمال المتقدم والجنوب المتخلف تصبح نظما فرعية للنظام الدولى الأشمل • والتفاعل الذى يؤدى للصراع الدولى يتم من خلال مستويين ، الأول وهو الذى يتم بين الأنظمة الفرعية والثانى بين النظام الفرعى والنظام الدولى •

١ ـ أبعـــاد الصـــراع النظـــامى :

الصراع الدولى ـ من منظور نظرية النظام الدولى ـ ليس مجرد صراع بين الدول باعتبارها نظما قائمة بذاتها ، وانما سلسلة من الصراعات بين النظم الفرعية التى تتكون منها هذه الدول • فالنظم الفرعية داخل الدولة تتصـــل وتتفاعل حتى تكتسب كل منها لهويتها ثم تقوم النظم الادارية والقضائية بوضع الضوابط •

وتأتى المؤســـسات السياسية التى تضطلع بعملية صنع القرار السياسى الذى هو فى جوهره اسناد للقيم والموارد فى الدولة كتعبير عن الصراع بين كافة

t.me/montlq

الأنظمة الفرعية ومحاولة للتوفيق بينها • والتفاعل بين الأنظمة الفرعية فى الدولة لا يعرف الحدود الجغرافية أو السياسية وانما يتعداها الى داخل حدود الدول الأخرى • ويصبح الصراع الدولى عبارة عن موقف دولى يحتوى على جميع أبعاد الصراع النظامى بحكم المشاركة فى القيم والعضوية •

وبالرغم من التأثير النظامى المتبادل بين الدول فان كلا منها تبذل قصارى جهدها وباستخدام كافة الوسائل لمضاعفة نفوذها النظامى داخل الأخرى ، وهذه أحد مظاهر السياسة الدولية المعاصرة فى جميع أنحاء العالم دون استثناء • ويرفع دعاة السلام الدولى شعار « فلنحيا ولنترك الآخرون يحيون » ومن ثم يطالبون بأن تكف الدول عن اختراع وممارسة كافة أساليب النفوذ النظامى •

ويعتقد ديفيد سنجر أن هذا الشعار يمكن أن يصبح ذا فاعلية فى الظروف التالية :

(أ) أن كل دولة معزولة تماما عن الأخرى وأن نشاط احداها لا يمارس أى تأثير على الأخرى •

(ب) أن كل دولة لديها الاكتفاء الذاتى الكامل بحيث تصبح غير معتمدة على أهداف وسلوك الدول الأخرى لاشباع حاجاتها •

ويؤكد أن هذه الظروف غير متوافرة فى النظام الدولى ومن المشكوك فيه أنها قابلة للتحقيق فى المستقبل • وأن الدول ليست فقط معتمدة كل منها على الأخرى وانما تفاعل أى منها بالأخرى من النادر أن يقتصر على علاقاتهما وغالبا ما يتعداه الى طرف ثالث •

وتبدأ متوالية الصراع بين النظم الفرعية والنظام السياسى فى الدولة عندما تتعرض للمواقف السياسية لزعيم المعارضة السياسية بمجرد أن يتولى منصب القيادة فى الحكومة ويتحول من صفوف المعارضة الى صفوف السلطة ويتجلى هذا الصراع أيضا فى عملية صنع وتنفيذ القرار بين الجهاز الادارى فى الدولة والجهاز السياسى فيها • فالجهاز الادارى يقترح عناصر القرار وفقا للنظم ، المصالح والقيم التى يعبر عنها ، بينما تراعى السلطة السياسية كثيرا من الاعتبارات للنظم الفرعية الأخرى على مستوى النظام السياسى الأوسع • وما يحدث فى عملية صنع القرار يتكرر فى عملية تنفيذ القرار • فتنفيذ القرار بواسطة الجهاز الادارى يتوقف على مدى استجابة هذا الجهاز لعناصر القرار •

ويثير الدهشة أن الأجهزة الادارية التى تخلقها السلطة السياسية يمكن أن تمارس نفوذها على هذه السلطة بل أن فى مقدورها أن تحد من فاعلية قرارات

t.me/montlq

السلطة وحتى الجيش المعروف بنظامه التصاعدى الصارم والانضباط ، يتأثر بالقيم والمصالح ويتفاعل مع النظم الفرعية فى المجتمع • فالجهاز الادارى ، المؤسسة العسكرية والسياسيين المحترفين هم جميعا أدوات فى العملية السياسية لعلاقاتهم العضوية بالمجتمع الذين يعيشون فيه •

وتعتبر ظاهرة الصراع بين النظم الفرعية ، ظاهرة مواكبة لعملية اسناد القيم والموارد التى يتولاها النظام السياسى • وفى محاولة النظام السياسى مواجهة هذه الظاهرة وضبط سلوك النظم الفرعية ، تبرز ردود فعل لا تقف عند حدود النظام السياسى فحسب وانما تتعداه الى نظم أخرى وذلك بسبب تداخل عضوية النظم الفرعية والمشاركة فى القيم فى أكثر من نظام سياسى واحد • ولذلك فان انتشار النزاعات الداخلية فى النظم السياسية المعاصرة تتخطى حدود النظام السياسى لتشارك فى الصراع بين الدول • ومع نمو المصالح فى المجتمع الدولى المعاصر فان التعاملات والمنازعات فى نقاط أبعد داخل الحدود السياسية للدول ويصبح من المحتمل خروج الصراعات المحلية الى مجال الصراع الدولى •

واذا واجهت النظم الفرعية فى الدولة عمليات قسـر فان هذه العمليات تؤثر على أعضاء آخرين يشاركون فى نفس القيم وينتمون الى نظم فرعية داخل نظم سياسية أخرى • وهذه النظم الفرعية المشتركة فى أكثر من نظام سياسى يطلق عليها اسم « النظم الاتصالية Linked Systems » حيث ينتمى الى عضويتها أفراد ينتمون لأكثر من نظام سياسى واحد • ومن أمثلة هذه النظم الفرعية ، النظم الدينية ، النظم العنصرية ، النظم الايديولوجية ... الخ • وعادة ما ينتشر القسـر الذى تتعرض له هذه النظم الى خارج حدود النظم السياسية ويصبح سببا مباشرا للصراع الدولى •

والصراع الدولى من منطلق هذا التحليل لا يبدأ بالضرورة من الحدود الجغرافية للدولة القومية وانما من خلال النظم التى تتفرع الى نظم أدنى وكل منها له حدود ويتفاعل مع الوسط • فالعلاقات بين السكان الكينيين الذين ينتمون الى أصـل صومالى يتفاعلون مع الصوماليين أكثر من الكينيين متخطين بذلك الحدود الادارية والجغرافية والسياسية للبلدين •

ان المواجهة بين النظم وما يسفر عنه الصراع يتوقف على قوة كل نظام من النظم المتصارعة • وتتضمن قوة النظام على ما يلى :

١ ـ قدرة النظام على مواجهة الاختـلاف فى القيم مع النظم الأخرى ، والتكيف مع الظروف المتغيرة التى يواجهها النظام •

t.me/montlq

٢ ـ قدرة النظام على التأثير فى الوسط كبديل لتحاشى الأذعان لمتطلبات هذا الوسط والتكيف معه ٠

وقوة النظام تمنحه القدرة على توفير احتياجاته التى هى بديل عن حدوث تغيير فى هذا النظام استجابة لاشباع هذه الاحتياجات ٠ والقوة النظامية هى التى توفر قدرة النظام على ضبط تغيره النسبى عند الاقتضاء ، وتوفير الاستقرار للنظم الاجتماعية ٠

وعادة تحاول النظم الاجتماعية تغيير الوسط ومقاومة التغير من أجل التكيف معه ٠ ولكن ذلك يفرض عليها ممارسة الضبط على سلوك النظم الأخرى ، التى تفرض بدورها بعض التغيرات التى تحدد استجابة النظام اليها بقدر ما يتوافر له من قدرات ٠ ويجرى النظام موازنة بين الاستجابة للتعديل ودفع ثمن الصراع ، وهذه هى المعضلة التى تواجه الصراع الثقاف وتحدد أبعاده ونتائجه ٠

والقوة النظامية تختلف عن قوة الدولة ، فالأخيرة تعنى القدرة على ممارسة التهديد واستخدام القسر من جانب نظام ادارى لضبط سلوك دولة أخرى ، وقد يعنى أيضا امتداد هذه الدولة خارج حدودها ٠ وتمارس هذه القوة بعد قيام الادارة السياسية بتثمين المصالح والقيم الحالية والمستقبلة للنظم الداخلية والمجتمع ككل ، وهى بذلك تقوم بتعبئة موارد كافة النظم الفرعية لعملية المواجهة بما فى ذلك النظام الدفاعى الذى أنشأته لتحقيق هذه المصالح والقيم ٠ أما القوة النظامية فلا تتمشى بالضرورة مع قوة الدولة فهى يمكن أن تدعم أو تعارض قوة الدولة ٠

ويتفق المنظرون فى مجال النظام الدولى على أن المجتمع الدولى وبالتالى النظام الدولى يعتريه التغير المستمر ، وأن التغير ليس مصدره الوسط الدولى فحسب وانما أيضا النظم الفرعية التى تتكون منها القوة الفاعلة الدولية وعلى ذلك فان دراسة مختلف النظم المتفرعة عن النظام الدولى أمر ضرورى للوقوف على أسباب عدم استقرار النظام الدولى نتيجة للصراع بين وحداته ٠

وقد اهتم هؤلاء المنظرون بالعوامل التى تؤدى الى عدم الاستقرار فى النظام الدولى ، وبالضوابط التكيفية التى يستطيع بواسطتها النظام أن يبقى على توازنه ويتفقون على أن القوى الداخلية فى الدولة أى داخل الوحدات القومية للنظام الدولى ، تمارس تأثيرا كبيرا على استقرار أو اضطراب النظام الدولى ٠ ويرون أن استقرار النظام الدولى يتوقف على قدرته على احتواء الاضطراب الذى يعتريه بفاعلية ٠

t.me/montlq

وتستأثر بعض القضايا باهتمام الثقاة فى هذا المجال مثل :

١ ـ دور النخبة القومية ٠

٢ ـ الوسط الدولى ٠

٣ ـ منظمات الحركة فى النظام الدولى ٠

٢ ـ نظــرية روزكرانس :

ريتشارد روزكرانس هو أحد فقهاء نظرية النظم فى المجال الدولى الذى استخدم المادة التاريخية فى محاولة لبناء واختبار صلاحيةنماذج السلوكالدولى ٠ وقد ميز بين تسعة نظم دولية على امتداد تاريخ نظام الدولة القومية الحديثة من عام ١٧٤٠ م وحتى ١٩٦٠ ٠ وقد تعرض للخصــــائص الرئيســية لهذه النظم فى التكتيك والأهداف ٠

ويوافق روزكرانس ـ من خلال دراسته لمؤلفات أرنولد تونبى فى التاريخ ـ على فكرة الدورات التاريخية ٠ وقد فطن الى وجود ظاهرة التكرار لبعض العناصر فى نماذجه التسع محل الدراسة ٠ وجعل من ظاهرة الصراع الدولى معيار التفرقة بين النظم الدولية المستقرة والنظم الدولية غير المستقرة ٠

ومعيار التفرقة « فى اعتقاده » بين النظام الدولى المستقر الذى تختصـــر فيه ظاهرة الصراع الدولى الى الحد الأدنى ، والنظام الدولى غير المستقر الذى يتميز بانتشار ظاهرة الصراع الدولى ، هو الدور الذى تمارسه عناصر نظامية ثلاثة هى :

١ ـ المدخل الاضطرابى : ويعنى به مصادر الصراع فى النظام الدولى مثل الايديولوجيات الاحساس بغياب الأمن القومى ، الفجوات التى تفصل بين الدول من حيث مواردها المتاحة والمصالح القومية المتصارعة ٠

٢ ـ منظم الحركة : هو حركة النظام الدولى التى تأتى كرد فعل للمدخلات الاضطرابية للحفاظ على بنيانه وتوازنه ومثال ذلك دور الأمم المتحدة والتوصل الى رضاء دولى عام ٠

٣ ـ القيد الوسطى : القيود التى يفرضها الوسط الدولى على حركة القوى الفاعلة الدولية والحدود المفروضة على نتائجها الممكنة ٠

t.me/montlq

ويصف روزكرانس النظام الدولى بالتوازن اذا استطاع منظم الحركة أن يواجه تأثير المدخل الاضطرابى بينما يصبح غير متوازن اذا كان العنصر الاضطرابى أقوى من منظم الحركة ومن ثم ينتشر الصراع الدولى فى النظام ٠

ويجادل روزكرانس بأن الصراع الدولى (الصراع بين وحدتين أو أكثر من وحدات النظام الدولى) يتوقف على أربعة عوامل رئيسية فى النظام الدولى وهى :

١ ـ اتجاهات النخبة الحاكمة فى الوحدات القومية ٠

٢ ـ درجة سيطرة هذه النخبة ٠

٣ ـ الموارد المتاحة للنخبة المسيطرة ٠

٤ ـ طاقة النظام الدولى فى احتواء الاضطرابات التى تعتريه ٠

وقد ركز على عامل النخبة المحلية فى الوحدات القومية باعتبارها المتغير الرئيسى فى ظاهرة الصراع التى تعترى النظام الدولى ٠ ويتوقف دور النخبة المحلية فى اثارة الصراع الدولى على ما يلى :

(أ) مدى رضاء هذه النخبة عن وضعها المحلى ومدى شعورها بالتهديد من جراء الأحداث التى تعترى النظام الدولى ٠

(ب) مدى سيطرة هذه النخبة داخل المجتمع القومى الذى تتولى قيادته ٠

(ج) تصور النخبة لأسباب ضعف وضعها الداخلى الناجم من تأثيرات خارجية ٠

(د) الموارد المحلية المتاحة للنخبة ومدى قدرتها على تعبئة هذه الموارد ٠

(هـ) طاقة النظام الدولى على مواجهة الاضطرابات التى يمكن أن تثيرها أفعال النخبة المحلية فى مواجهة وحدات النظام الدولى الأخرى ٠

ولقد شهدت الدولة القومية الحديثة فى تقديره أربع نظم دولية تتسم بعدم الاستقرار وانتشار الصراع بين أرجائها ٠ وقد حدد روزاكرنس هذه النظم على النحو التالى :

١ ـ النظام الانقلابى الثورى : وهو النظام الذى ساد خلال الفترة ١٧٨٩ ـ ١٨١٤ ٠

٢ ـ نظام الاتناق المبدد : وهو النظام الذى ساد خلال الفترة ١٨٤٨ ـ ١٨٧١ ٠

t.me/montlq

٣ ـ نظام القومية الاستعمارية : وهو النظام الذى ساد خلال الفترة ١٨٩٠ ـ ١٩١٨ ٠

٤ ـ نظام العسكرية الشمولية : وهو النظام الذى ساد فى الفترة ١٩١٨ ـ ١٩٤٥ ٠

وقد تميزت هذه النظم غير المستقرة بانتشار ظاهرة الصراع بين أرجائها ٠ ويرجع ذلك فى تقديره للأسباب التالية :

١ ـ ارتفاع درجة وقوة المدخلات الاضطرابية الى المدى الذى تقصر قدرة منظمات الحركة فى هذه النظم عن مواجهتها ٠

٢ ـ عدم رضاء النخبة فى الوحدات القومية عن الوضع الراهن مع احساسها بغياب الأمن ٠

٣ ـ رغبة النخبة القومية فى تحسين أوضاعها الداخلية والخارجية ٠

٤ ـ قدرة هذه النخبة على تعبئة الموارد القومية فى مواجهة قوى فاعلة أخرى من خلال استغلال الجاذبية الايديولوجية والقومية ٠

٥ ـ فشل القيود الوسطية فى أن تلعب دورها فى تقييد الاضطرابات النظامية ٠

ومن أهم النتائج التى أسفرت عنها دراسات روزكرانس عن ظاهرة الصراع بين وحدات النظام الدولى هى العلاقة الارتباطية بين عدم الاستقرار الدولى وعدم الأمن لدى النخبة المحلية ٠

٣ ـ نظرية مودلسكى :

توصل مودلسكى فى دراساته عن النظام الدولى الى نموذجان Models تم ضميمها ليتمكن الدراسون من اجراء التحليل المقارن للنظم الدولية ٠ وهذان النموذجان يلقيان الضوء على التغيرات التى أعترت تركيب النظام الدولى خلال تطوره التاريخى٠ ويتمشى النموذج الزراعى مع واقع احدى وعشرين حضارة ثم دراستها بواسطة أرنولد توينبى ، بينما لا نجد للنموذج الصناعى مقارنة تاريخية ٠

ويعتبر النموذجان اللذان قدمهما مودلسكى عبارة عن مفاهيم استنباطية للنظم الدولية ولكنهما لا يمثلان بالضرورة أى نظام دولى محدد ٠ وعلى ذلك فمن الممكن أن يتوقع الدارس أن يتضمن النظام الدولى فى عالم الواقع خصائص من صميم النظامين الزراعى والصناعى ٠

t.me/montlq

النموذج الصناعى – فى تقدير مودلسكى – يحتوى النظام الدولى فى ظله على حجم كبير من السكان ، ويتميز بقدرته على تعبئة موارده المتاحة بسهولة بدرجة تفوق هذه القدرة فى النموذج الزراعى • ويتميز المجتمع الصناعى بتجانس وحداته والوعى السياسى للنخبة الحاكمة وهى على درجة عالية من التخصص • ويتحدد وضع الفرد فى هذا المجتمع على المهارة والمنجزات أكثر من اعتماده على القيم ومن ثم يصبح مجتمع الاستحقاق •

وتضطلع المنظمات العالمية فى النظام الصناعى بدور كبير فى مد شبكة كبيرة من وسائل الاتصـــال والاعلام المتقدمة التى تلعب دورا هاما فى تنمية الثقافة العالمية • وبينما تستند وحدات النظام الصناعى على فاعلية التنظيم الصناعى فى صراعها على القوة مع الوحدات الأخرى ، يعتمد النظام الزراعى فى هذا الصراع على الكم السكانى • والتكامل بين جماهير الشـــعب داخل الشــكل السياسى العام للوحدة القومية خصيصة بارزة فى النظام الصناعى ويفتقر اليها النظـــام الـــزراعى •

والحرب فى صورة الالتحام العضوى المباشر والمدمر هى الوسيلة الوحيدة لتسوية المنازعات وحل الصراعات بين وحدات النظام الزراعى • وعلى النقيض لا يتسامح المجتمع الصناعى مع أساليب الانزلاق نحو الصراع المسلح لأنه يعنى تدمير النظام بكامله ، ولذلك يلجأ المجتمع الصناعى الى أساليب المساومة ، والمناورة أكثر من اللجوء الى الحرب لتحقيق الأهداف •

وقد حدد مودلسكى وظائف أربعة يضطلع بها النظام الدولى وجعل من هذه الوظائف فى نفس الوقت أساس التفرقة بين النموذجين الزراعى والصناعى • وهذه الوظائف هى :

١ – تخصيص الموارد : تقوم بعملية تخصيص الموارد فى النظام الزراعى هياكل بدائية أما النظام الصناعى فانه يمتلك تسهيلات كبيرة وهياكل متقدمة تضطلع بعملية التخصـــيص بما فى ذلك حكومات الوحدات القومية والمنظمات الدولية حيث تكفل ســـلامة التخصيص وتمكين الموارد المتاحة من تأدية دورها الوظيفى •

٢ – السلطة : تتم ممارسة السلطة فى الوحدات القومية فى النظام الزراعى عن طريق عدد محدود من الأفراد كالأمراء والملوك ويتميز هيكل النخبة الحاكمة بالبساطة وفى المقابل نجد أن هذا الهيكل فى النظام الصناعى يتسم بالتعقيد ، وتعتمد النخبة الحاكمة فى ممارسة دورها السلطوى على مقدار منجزاتها •

t.me/montlq

٣ ـ التضامن : تحتفظ النخبة الحاكمة للوحدات القومية فى النظام الزراعى بالتضامن فيما بينها عن طريق المصاهرة بين العائلات المالكة ، أما النظام الصناعى فالقيادة الحاكمة للوحدات تحقق التضامن من خلال الولاء للنظام العالمى • ويتقرر مركز الوحدة فى النظام الصناعى بقدر منجزاتها ، وهذه المنجزات تعتمد على التفوق فى العلم والتكنولوجيا •

٤ ـ الثقافة : فى النظام الزراعى يتم بث الثقافة من خلال أجهزة النبلاء بينما فى النظام الصناعى تنساب من خلال وسائل متعددة منها الصحافة العالمية وأدوات التعامل الدبلوماسى والمؤسسات الدولية لتنمية الثقافية العالمية •

ويرى مودلسكى أن النظام الدولى الراهن لا يعد نظاما صناعيا بالنقاء الكامل بالرغم من أن الحرب العالمية الأولى شهدت مولد النموذج الصناعى للنظام الدولى • ويرجع سبب ذلك الى أن بعض وحداته لم تتشكل بعد لتتواءم مع احتياجات النظام وان كان النمط الصناعى للنظام الدولى يتسع نطاقه باستمرار • ويخلص الى أن الثورة الصناعية التى مارست تأثيرا كبيرا على الحياة البشرية وفى مختلف العلوم الاجتماعية ، قد مارست نفس القدر من التأثير على الحياة الدولية والنظام الدولى •

ويعزو مودلسكى وصف القرن التاسع عشر بأنه كان العصر الذى تحرر من الصراعات الأوروبية الكبرى الى انتشار التصنيع فى أرجاء القارة • ويؤكد أن عملية التحول التى يشهدها النظام الدولى المعاصر تواكب عمليات تحول المجتمعات الزراعية الى مجتمعات صناعية تحت تأثير ضغوط الوسط الدولى بمكوناته الصناعية الحديثة • ويجادل بأن العالم الشيوعى سوف يتحول الى مجتمعات صناعية وعندئذ سوف تؤثر عملية تحوله على طبيعة العلاقات الدولية المعاصرة •

ويعتقد مودلسكى أن ظاهرة الصراع الدولى العضوى تتوافق والنظام الدولى الزراعى أكثر من توافقها مع النظام الصناعى • ويرى أن نمط الحرب فى اطار النظام الزراعى نمط غير متسامح ويتسم بالتدمير الشامل للخصم (الحروب الصينية فى القرنين الرابع والثالث قبل الميلادى ، الغزو المغولى لغرب آسيا فى القرن الثالث عشر الميلادى ، حرب المائة عام وحرب الثلاثين عام فى أوروبا) •

وبالرغم من عدم تسامح النظام الدولى الصناعى مع الحرب كوسيلة لتسوية المنازعات بين وحدات النظام فان هذا النظام يواجه خطر الفناء اذا ما

t.me/montlq

تم ممارسة الحرب الشاملة بين قواه الفاعلة · وبقدر قدرة النظام على مقاومة التهديد بالفناء بقدر ما يستطيع أن يتخطى هذا التهديد ·

ان المجادلة بأن النظام الدولى الصناعى نظام متحرر من ظاهرة الحرب والصراع العنيف هى مجادلة عقيمة وغير مجدية · ولكن دون شك فان الوظائف التى كان يسعى لتحقيقها النظام الدولى الزراعى عن طريق الصراع المسلح أصبح النظام الصناعى يقوم بانجازها ـ أو على الأقل معظمها ـ عن طريق هيكله النظامى · واذا كانت الحرب فى النظام الزراعى قد هدفت الى اثبات وضعية القوى الفاعلة فان هذه الوضعية أصبحت تقاس فى النظام الصناعى بالتقدم العلمى والانتاج التكنولوجى واكتشاف الفضاء الخارجى ·

ويخلص مودلسكى الى أن الاستقرار الدولى هو أحد خصائص النظام الدولى الصناعى · فالدول الصغيرة التى كانت مهددة فى النظام الزراعى بالابتلاع من جانب الدول الكبرى بحجة فوات الوقت المناسب لانقاذها أصبحت فى النظام الصناعى قادرة على البقاء · فالتسلح النووى والعتاد الحربى الضخم لدى الدول الكبرى قد أعطى الدول الصغرى فرصة للبقاء كما أعطى النظام الدولى الصناعى الأمل فى الاستقرار ·

٤ ـ نظرية كابلان : Morton A. Kaplan

تستأثر الدراسات التى أجراها كابلان بالمجهود الأكبر لتحديد القواعد والنماذج السلوكية التى تشرح عملية التفاعل داخل النظم الدولية · وتعتبر نظم كابلان من النوع الواقعى الذى يمكن مشاهدته من خلال الدراسات التاريخية أو الواقع المعاصر كما أنها فى نفس الوقت تعد فى حد ذاتها بناءات منطقية وتجريدية · ويرى كابلان أن العامل الأصيل الذى يتحكم فى بقاء أو اندثار النظام الدولى هو التفاوت فى قدرات الدول المكونة لوحدات النظام من الموارد الاقتصادية والقدرات العلمية والتكنولوجية والعسكرية · ويرجع كابلان ظاهرة تعدد النظم الدولية عبر التاريخ لهذا العامل والصراع بين الدول من أجل التفوق فى هذا المجال ·

وبنى كابلان نماذج نظمه الست على مجموعة من المتغيرات قابلة للاختبار وقد صنفها فى خمسة أنواع هى :

١ ـ قواعد النظام الأساسية ·

٢ ـ قواعد النظام التحويلية ·

٣ ـ المتغيرات التصنيفية للقوة الفاعلة ·

t.me/montlq

٤ ـ متغيرات المقدرة ٠

٥ ـ المتغيرات الاعـــلامية ٠

فالقواعد الأساسية تكتسب هذه التسمية لأنها تصف السلوك الضرورى لحفظ التوازن فى النظام الدولى ٠ والقواعد التحويلية تحدد التغيرات التى تحدث فى صـــورة مدخلات للنظام بخلاف تلك الضـــرورية للتوازن داخل النظام ٠ والمتغيرات التصنيفية توضـــح الخصائص الهيكلية للقوى الفاعلة فى النظام ٠ ومتغيرات المقدرة توضح مستويات التسلح ، التقدم التكنولوجى وعناصر أخرى للقوة المتاحة للقوى الفاعلة ٠ أما المتغيرات الاعلامية فانها تتناول مستويات ودرجة الاتصال داخل النظام الدولى ٠

وقد أجرى كابلان اختبار أمبريقى لهذه الفروض التى وضعها فى خمســة مجموعات من القواعد المتحكمة فى النظام الدولى من حيث : أنواع القوى الفاعلة، قدرات هذه القوى ، توجهاتها ، نماذج السلوك السياسى والخصائص الهيكلية لكل من نظمه الستة وهى :

١ ـ نظام توازن القوة	Balance of Power
٢ ـ نظام الاقطاب الثنائية اللين	Loose bipolar
٣ ـ نظام الاقطاب الثنائية المشدود	Tight bipolar
٤ ـ النظام العالمى	Universal
٥ ـ النظـــام التصـــاعدى	Hierarchical
٦ ـ نظام الوحدة الاعتراضية	Unit Veto

ويجادل كابلان أن مجموعة المتغيرات التى تتحكم فى النظام الدولى هى التى تحدد مدى استجابة النظام الدولى للمدخلات الاضطرابية التى تعنى انتشار ظاهرة الصراع الدولى داخله أو قدرته على امتصاص آثار هذه المدخـــلات والمحافظة على توازنه واستقراره أو حدوث تحول فى النظام نفسه ٠

ونظام كابلان لتوازن القوة يشبه النظام الذى وضعه الكتاب الواقعيون أمثال مورجانثو ٠ ويتميز بوجود نظام اجتماعى دولى ولكنه يفتقر الى النظم السياسية الفرعية والوكالات المناطة بصنع القرار على الصعيد الفوق قومى ،

t.me/montlq

ونموذجه النظام الاوروبى خلال القرن التاسع عشر • وقد تحكمت فى عمل النظام القوى الرئيسية فى النظام وهذا النظام يفترض أن الدولة خلال سعيها لحماية مصالحها تفعل كل ما من شأنه منع الدول الأخرى من تحقيق نفس الهدف • ويشبه عمل النظام عمل اليد الخفية التى اعتقد آدم سميث أنها تحقق توازن النظام الرأسمالى من خلال المنافسة •

ويرى كابلان أن السلوك الصراعى لوحدات نظام توازن القوة يخضع للنموذج السلوكى لهذا النظام وفقا لما يلى :

١ ـ ان القوى الفاعلة تسعى دائما لزيادة قدراتها لكنها تتفاوض أكثر مما تتقاتل •

٢ ـ ان القوى الفاعلة تفضل اللجوء الى القتال عن تفويت فرصة لزيادة قدراتها •

٣ ـ ان القوى الفاعلة تعارض قيام أى قوة أو تحالف يكون من شأنه تهديد وضع القوى المسيطرة داخل النظام •

٤ ـ ان القوى الفاعلة تسعى الى تقييد حركة القوى الأخرى التى تشترك فى مبادىء تنظيمية فوق قومية •

ويتمشى نظام الاقطاب الثنائية اللين ـ فى معظم خصائصه ـ مع النظام الدولى الذى ساد الحرب العالمية الثانية وهذا النظام يقوم على وجود كتل رئيسية تضم القوى الفاعلة الرئيسية فى النظام (الناتو ، وارسو) • ويتضمن الى جانب ذلك قوى فاعلة قومية غير متكتلة (الهند) وقوى فاعلة عالمية (الأمم المتحدة) ويتم ترتيب القوى الفاعلة داخل الكتل بشكل يبرر سيطرة القوة الفاعلة الرئيسية فى الكتلة كما تتسم طبيعة العضوية فى الكتل بالجمود •

والسلوك الصراعى لنظام الاقطاب الثنائية اللينة يخضع ـ فى تقدير كابلان ـ لمجموعة من القواعد هى :

١ ـ ان طاقة الكتل فى النظام يتم تعبئتها من أجل أن تقضى كل منها على الأخرى •

٢ ـ أن القوى الفاعلة تقاتل الحروب الصغيرة لكنها تحجم عن التورط فى حروب شاملة •

٣ ـ أن القوى الفاعلة على استعداد لخوض الحرب الشاملة دون أن تفشل فى الحفاظ على تكتلاتها •

t.me/montlq

٤ ـ الكتل الفاعلة تسعى بصفة دائمة لزيادة قدراتها بالمقارنة لقدرات الكتل المعارضة ٠

٥ ـ الكتل الفاعلة على استعداد للدخول فى حرب عامة دون أن تسمح للكتل المعادية بالحصول على وضع مسيطر فى النظام الدولى ٠

٦ ـ ان أعضاء الكتل يضعون الأهداف العالمية فى مركز ثانوى بالنسبة لاهداف الكتل التى ينتمون اليها ٠

٧ ـ ان القوى الفاعلة العالمية فى النظام تحاول التقليل من أسباب الصراع بين الكتل وتسعى لتعبئة القوى القومية غير المتكتلة لمواجهة حالات الانحراف الخطيرة مثل اللجوء لاستخدام القوة ٠

أما نظام الاقطاب الثنائية المشدود ، فبالرغم من تشابهه مع النظام السابق الا أنه يختلف عنه فى قلة عدد القوى الفاعلة فيه وتأثير هيكل الكتل على استقرار النظام ٠ ويتميز النظام بالترتيب التصاعدى لقواه أما اذا فقد النظام هذه الصفة فانه يتحول الى نظام الاقطاب الثنائية اللين ٠ ويحتفظ النظام باستقراره كما تختفى ظاهرة الصراع داخله كلما زاد جمود وضع وترتيب القوى الفاعلة داخل الكتل ٠ ويتميز هذا النظام بضعف ميكانيزم التكامل ٠ أما القواعد التى تحكم السلوك الصراعى داخله مماثلة للنظام السابق ٠

والنظام العالمى ـ فى تقدير كابلان ـ ينشأ نتيجة تطور وتشعب الوظائف التى تضطلع بها القوى الفاعلة داخل نظام الاقطاب الثنائية اللين ٠ ويتميز هذا النظام بامتلاك نظاما سياسيا من بين نظمه الفرعية ، يتولى اسناد الثواب والعقاب للقوى الفاعلة والأفراد وكذلك الهيئة السياسية وفقا لانجازاتهم الحقيقية وليس مجرد امتلاكهم لصفات معينة أو انتمائهم الى عنصر معين ٠ ويمتلك النظام ميكانيزمات التكامل التى تمكنه من انجاز الوظائف القانونية ، الاقتصادية ، الادارية والسياسية ٠ وتستخدم كافة القوى الفاعلة الطرق السلمية لتحقيق أهدافها ٠

ويتميز النموذج الخامس من نماذج كابلان ـ النظام التصاعدى ـ بالتعامل المباشر مع الأفراد حيث تصبح القوى الفاعلة القومية مجرد أقسام فرعية اقليمية للنظام الدولى أكثر من كونها نظما سياسية مستقلة ٠ وتتحول جماعات المصالح لتصبح القوى الفاعلة بدلا من الوحدات القومية ٠ واذا قام النظام نتيجة لانتصار قوة فاعلة قومية فان المزايا يتم تخصيصها وفقا لنوعية القوى الفاعلة كالعنصر واللون ٠ أما اذا قام تحت ظروف أخرى فان الانجاز سوف يصبح المعيار كما فى النظام العالمى ٠

t.me/montlq

والنموذج السادس هو نموذج الوحدة الاعتراضية وهو نظام يفتقر الى وجود قوى فاعلة عالمية وأن القوى الفاعلة فى النظام تمتلك مجتمعة أسلحة قادرة على تدمير أية قوة فاعلة فى النظام . وفى حالة قيام قوة قومية بمهاجمة وتدمير أخرى فهى على يقين من أنها سوف تتعرض للتدمير . والنظام يتمتع بالاستقرار وفقا لاستعداد القوى الفاعلة للتصدى لأى هجوم من قوة قومية على أخرى وعلى مدى قدرته على اقامة نظام للردع القابل للتصديق . ويتغير النظام اذا نجحت احدى القوى الفاعلة فى التغرير بأخرى حيث يتناقص عدد وحدات النظام أما اذا نجحت احدى القوى القومية بالتغرير بكل وحداته عندئذ يصبح نظاما تصاعديا .

٥ ـ نظـــرية آرون :

النظام الدولى ـ فى تقدير آرون ـ هو تجمع لعدد من الوحدات السياسية التى ترتبط فيما بينها بعلاقات منتظمة ولديها القدرة للدخول مجتمعة فى حرب عامة . وقد ميز بين النظم الدولية من حيث طبيعتها الى نظم متجانسة وأخرى غير متجانسة . ففى النظام الأول تنتمى الوحدات لنمط واحد ومفهوم سياسى واحد بينما فى النظام الثانى تنتمى الوحدات الى مبادىء وقيم متناقضة .

وقد ميز ـ أيضا ـ بين النظم من ناحية هيكل القوة السائد بها بين نظام الأقطاب الثنائية ونظام تعدد الاقطاب وهذا التمييز يعتمد على ما اذا كانت أغلبية الواحدات السياسية فى النظام تتجمع حول دولتان قويتان بدرجة تفوق أى منها بمراحل ، أو تقارب قوة الوحدات السياسية فى النظام الدولى .

وبالرغم من أن نظام آرون المتجانس يفترض اتفاق القيادات السياسية فى وحداته القومية حول نوعية الأهداف الواجبة التحقيق فانه لا يستبعد حدوث الصراع بين هذه الوحدات ولكن مع ذلك لا يعرض بقاء النظام للخطر من جراء اندلاع الصراع بين بعض وحداته . ويعتقد آرون أن الفترة التى تبدأ من نهاية حرب الثلاثين عاما ١٦٤٨ م وحتى قيام الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ م قد شهدت نظاما دوليا متجانسا وعلى العكس من ذلك يرى بأن العالم شهد ابتداء من نهاية الحرب العالمية الثانية ١٩٤٥ م نظاما دوليا غير متجانسا ، ولم يقتصر الصراع فى النظام غير المتجانس على الحدود الكفيلة بابقائه داخل اطار النظام وانما واجه النظام تهديدا بالقضاء عليه من جراء بعض الصراعات بين وحداته .

ويعتقد آرون أن السياسة الدولية فى جوهرها صراع من أجل القوة وان السلام الدولى لا يمكن تحقيقه الا من خلال واحد من نماذج ثلاثة لعلاقات القوى الدولية وهى : التوازن ، اليهمنة Hegemony أو قيام امبراطورية عالمية .

t.me/montlq

٦ ـ نظرية أقطاب القوة فى النظام الدولى :

استحوذت مسألة العلاقة الارتباطية بين توزيع القوة داخل النظام الدولى على اهتمام المنظرين سواء فى الكتابات التقليدية أو المعاصرة وعلاقة هذا التوزيع بالصراع الدولى أو الاستقرار الدولى وقد قدم دارســـون مثل كارل دوتش ، دافيد سنجر ، كنيث والتز وريتشارد روزكرانس تنظيراتهم حول مضامين ثنائية الاقطاب الدولية وتعددها وعلاقة هذه الظاهرة بكثافة الصراع الدولى والحرب .

ويرى دوتش وسنجر أن ظاهرة الاستقرار فى النظام وليدة استقرار وحدات النظام الدولى بالاضافة الى علاقات القوة بين هذه الوحدات فى اطار النظام بصفة شاملة . واستمرار بقاء الوحدات يتوقف على عدم تمكن وحدة قومية من السيطرة على ماعداها من الوحدات . واستقرار الدولى وتناقص حجم الصراع الدولى يتناســـب طرديا مع اتجاه عـــلاقات القوة فى النظام الدولى من ثنائية الاقطاب الى تعدد الاقطاب .

ويفترض الكاتبان أن الائتلافات أو التكتلات بين الدول تقلل من حـــرية الاعضاء المتحالفين للتفاعل مع الدول خارج تكتلاتهم . وأن تزايد عدد القوى الفاعلة التى ليست أعضاء فى تحالفات يؤدى الى زيادة التفاعل Interaction داخل النظام الدولى .

وبالرغم من أن انتماء الدول لعضوية التحالفات يخفض من مدى وكثافة الصراع بين الدول أعضـــاء التحالفات الى حده الأدنى فان هذا المدى وتلك الكثافة تتزايد بين القوى الفاعلة خارج التحالفات . وبالرغم من أن التفاعل بين الدول يتسم ـ فى الغالب ـ بالتنافس أكثر من التعاون، وأن الحد من التفاعل بين القوى الفاعلة فى النظام الدولى يزيد من امكانية عدم الاستقرار ، فالشكل المستقر للنظام الدولى فيماعدا حالات خاصة ، يتمشى والشكل التعددى للقوى الفاعلة وأن أكبر تهديد لأى نظام اجتماعى ومنها النظام الدولى هو افتقار هذه النظم الى النماذج السلوكية البديلة .

وحول العلاقة الارتباطية بين النظم الدولية ثنائية الاقطاب ومتعددة الاقطاب وبين اندلاع الصراع الدولى ، قدم سنجر دراســـة امبريقية أنصـــبت على تحليل المادة التاريخية خلال الفترة ١٨١٥ ـ ١٩٤٥ لمعرفة ما اذا كانت هناك علاقة ارتباطية بين حجم التحالف واندلاع الصراع الدولى وقد تمكن من اختبار الفرضين التاليين :

t.me/montlq

١ ـ ان تعاظم عدد التزامات التحالفات الموجودة داخل النظام تؤدى الى زيادة عدد الحروب التى يعرفها النظام ٠

٢ ـ ان زيادة انغلاق النظام فى ظل ثنائية الاقطاب يؤدى الى زيادة عدد الحروب ٠

ولم تثبت الدراسة وجود علاقة ارتباطية بين زيادة حجم التحالفات وزيادة حجم ظاهرة الصراع الدولى بل ان دراسة الواقع الدولى خلال القرن التاسع عشر أثبتت عكس هذا الفرض ٠ وأهم ما أسفرت عنه الدراسة عدم تأكيد ارتباط ظاهرة الصراع الدولى بظاهرة ثنائية أقطاب القوة فى النظام الدولى فلم تستطع الدراسة اقامة علاقة سببية بينهما ، بينما تم اثبات العلاقة السببية بين ادراك صانع القرار واندلاع الصراع الدولى ٠

ويرى كنيث والتز ـ على النقيض من دوتش وسنجر ـ أن النظام الدولى القائم على ثنائية الاقطـــاب ـ بما يملكه من تباين فى القوة بين القوى الأعظم والدول الأصغر ـ يكون أكثر استقرارا من نظام تعدد الأقطاب ٠ ويرجع سبب ذلك الى أن القوتان الأعظم سوف تسعيان ـ غريزيا ـ نحو اتباع وسائل من أجل المحافظة على البقاء الذاتى أو حفظ الذات ومن هذه الوسائل اتباع الوسائل الكفيلة بالابقاء على توازن القوة بينهما فى شتى المجالات ومن ضـــمنها القوة العسكرية التى لها الأهمية القصوى فى حالة التعرض للتهديد بهجوم من القوة الأخرى ٠

ويؤيد والتز دعم قدرات كل من القوتين الأعظم فى اطار نظام القطبين الا أن تعاظم قوة الدول ـ فى اعتقاده ـ يجعل استخدامها لهذه القوة بدرجة أقل من افتقارها الى هذه القوة ٠

وقد انتقد ريتشارد روزكرانس كل من سنجر ، دوتش ووالتز واقترح بدلا من نموذج القطبين أو تعدد الاقطاب نموذج ثالث يجمع بين الثنائية والتعدد ويمكن أن نطلق عليه اسم النظام المختلط ٠ وقد انتقد الشكل الذى قدمه والتز حول ثنائية الاقطاب وحذر من أن عالم القطبين يقوم على أساس كسب طرف وخسارة الطرف الآخر نظرا لسعى كل من القوتين الأعظم ـ فى كل القضـــايا الدولية الكبرى ـ لكسبها وحرمان القوة الأخرى من المزايا ٠

ويجادل روزكرانس بأن دافع التوسع وامكانات اندلاع الصراعات بين قيادات الكتل فى ظل نظام القطبين أكثر من مثيـــلاتها فى نظام تعدد الاقطاب ٠

t.me/montlq

فالصراع الدولى فى ظل نظام القطبين أمر مؤكد اذ أن تحقيق احدى القوتين الأعظم لميزة نسبية فى مجال معين يعنى خسارة بنفس القدر للقوة الأخرى ٠

وبالرغم من أن كثافة الصراع الدولى فى عالم تعدد الاقطاب يكون بدرجة أقل عن مثيله فى عالم القطبين ، فان تكرار ظاهرة الصراع تكون فى النظام الأول بدرجة أكبر بسبب تنوع المصالح والمطالب ٠ واذا استطاع نظام تعدد الاقطاب أن يحد من نتائج الصراع فانه من النادر أن يستطيع انقاص عددها ٠ ومن ثم يصير التوصل الى استقرار النظام الدولى أمر صعب ٠

والنظام المختلط ـ فى اعتقاد روزكرانس ـ هو النظام الذى يجمع السمات الايجابية فى نظامى القطبين وتعدد الاقطاب ، دون أن يتضمن نواقص هذين النظامين ويتحدد دور القوتين الأعظم فى النظام بكونهما منظمات الحركة فى مواجهة أى صراع دولى ينشأ فى المناطق الخارجية ، بينما يتحدد دور الاقطاب المتعدد فى النظام فى الوساطة وتشكيل مناطق العزل فى مواجهة الصراع بين القوتين الأعظم ٠ واذا كانت كل من القوتين الأعظم فى ـ ظل هذا النظام ـ سوف تسعى لاعاقة الأخرى من السيطرة على العالم فانهما سوف تحاولان سويا انطلاقا من مصالح متبادلة تقييد الصراع فى أقاليم الاقطاب المتعددة فى العالم ٠

واذا كانت الدول التى تنتمى الى النظام متعدد الاقطاب سوف ينشأ بينها عداوات وصراعات نتيجة لتباين التصورات والمدركات القومية والمصالح ، فان هذه الدول لها مصلحة مشتركة فى مقاومة أى أطماع لقوى القطبين ٠ ويخلص روزكرانس الى أن النظام المختلط هو أقل نظم توزيع القوة فى العالم تعرضا لظاهرة الصراع الدولى ٠

ويستمر الجدل الفقهى بين علماء السياسة الدولية حول نموذج توزيع القوة فى النظام الدولى الذى يكفل اختصار ظاهرة الصراع بين وحداته الى حده الأدنى ٠ فقد لفت أوران يونج الأنظار نحو التحولات التى يشهدها النظام السياسى الدولى ابتداء من عقد الستينات من هذا القرن عن النموذج الذى شهده العالم عقب الحرب العالمية الثانية ٠

ويرى يونج أن التطورات التى يشهدها النظام الدولى المعاصر خلقت نوعا من التداخل بين أكثر من شكل لبناءات القوة فى النظام ٠ وقد اقترح يونج نموذجا يركز على وجود نظم المحاور المتسع من جانب والعديد من المناطق الحديثة التى تختلف اختلافا كبيرا فيما بينها أو بينها وبين القواعد المنظمة لهذه المحاور ٠ والنموذج المقترح ـ فى اعتقاده ـ يفضل نظامى الاقطاب الثنائية والمتعددة بسبب

t.me/montlq

تركيزها على المشاكل الهيكلية للنظام الدولى وتهمل ديناميكات النظم الدولية بينما يستوعب النموذج الجديد عملية النفوذ التى تمارسها القوى العالمية والأقليمية ·

ويعتمد نموذج يونج على عدم الاستمرار لنماذج السلوك السياسى الدولى فى مجال المصالح السياسية وعلاقات القوة سواء على صعيد القوى العالمية أو الأقليمية وقد أفرد يونج فى استقصائه مركزا مميزا لتأثير التغلغل النظامى المتبادل ـ من خلال النظم الفرعية ـ على الطبيعة اللااستمرارية للسلوك السياسى الدولى · وقد بحث أيضا مشكلة الصراع بين القوى الفاعلة نتيجة اتساع المصالح داخل النظام الدولى وعلاقات النظم الفرعية وتأثير ذلك على النماذج السلوكية فى السياسة الدولية ·

٧ ـ نظام الوفاق الدولى :

شهد العقد السابع من هذا القرن ميل من جانب القوتين الأعظم نحو الوفاق (التهدئة) والتخلى عن دبلوماسية الحرب الباردة التى كانت حادثة الصواريخ فى كوبا ١٩٦٢ قمتها وكادت تضع العالم على مزالق حرب عالمية ثالثة· وقد واكب هذا التحول فى الواقع الدولى محاولات تنظيرية ـ لم ترقى بعد الى حد النظرية ـ تحاول تفسير هذا الواقع وتضع له منطلقاته النظرية ·

ولا يعنى الوفاق بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى نهاية المواجهة بينهما ولكنه يفترض أن هذه المواجهة لا تتم فى شكل صراع يتضمن التهديد باستخدام العنف الذى يمكن أن يضع نهاية للحياة البشرية على كوكب الأرض وانما فى صورة منافسة سلمية لتحقيق الأهداف · ومايزال العلماء فى حالة ترقب وانتظار ليروا مدى واقعية هذا التصور ليصبح أساسا لاقامة نظام دولى جديد · ويفترض هذا النظام حدوث تغير فى السلوك الدولى للقوتين الأعظم على النحو التالى :

١ ـ تخفيض الولايات المتحدة من مساندتها ودفاعها عن الوضع الراهن فى العالم ·

٢ ـ زيادة انفتاح المجتمع السوفيتى والاقلال من ثورية سلوك الدولة السوفيتية على الصعيد الدولى ·

ويعتقد أنصار فلسفة الوفاق أن اقامة نظام دولى وفاقى لابد وأن يؤدى الى تغيير فى معطيات النظام الدولى القائم على تنافر الاقطاب وذلك على النحو التالى :

t.me/montlq

١ ـ استرخاء التوتر فى السلوك الدولى ·

٢ ـ التوصل الى اتفاقات متتالية فى مجال التسليح تؤدى الى الضبط الدقيق للتسلح ·

٣ ـ خفض القوات النووية الاستراتيجية لكل من القوتين الأعظم الى الحد الأدنى مع الاحتفاظ بالردع المتبادل ·

٤ ـ احتفاظ أعضاء الكتل المتحالفة بسياسة خارجية مستقلة وقدرتها على اتخاذ مواقف مستقلة عن القوتين الأعظم ·

٥ ـ تبنى السياسة الخارجية للقوتين الأعظم لمذهب التدخل الحر Liberal Interventionism ·

٦ ـ تخلى السوفيت عن مذهب عداء الاستعمار وتخلى الأمريكيين عن مساندة النظم الاليجارشية المعادية للشيوعية ·

٧ ـ تأكيد الامتناع ـ من الناحية القانونية ـ عن التدخل فى الشئون الداخلية للدول مع تنظيم التنافس فى الفضاء الخارجى وأعماق المحيطات · وهذه مبادىء يتوقف استمرار الوفاق على الاستمرار فى التمسك بها ·

٨ ـ اعطاء المنظمات العالمية دور أكبر فى تنظيم اكتشاف الفضاء واستقرار السلام فى مناطق الاستقطاب ·

٩ ـ الوفاق لا يمنع الحرب المحدودة المحلية ولكن يفرض ابتعاد القوتان عن دخولها ومنع تحولها الى حرب نووية ·

٨ ـ الصراع الدولى وعوامل التغيير فى النظام الدولى المعاصر :

يولى الفقه السياسى الدولى أهمية كبيرة لعوامل التغيير التى يشهدها النظام الدولى المعاصر · ويعتقد بعض المنظرون أن العالم المعاصر يشهد ـ اعتبارا من نهاية الحرب العالمية الثانية ـ مرحلة ثورية للتغيير تمارس آثارا بعيدة على نظام الدولة القومية وانماط السلوك الدولى · وان هذه المرحلة تشهد ثلاث ثورات فى آن واحد هى :

(أ) ثورة التكنولوجيا العسكرية ·

(ب) الثورة القومية والاجتماعية فى الأقاليم المتخلفة ·

(جـ) الثورة الشيوعية المستمرة والمتسعة على الصعيد الدولى ·

t.me/montlq

ان النظرة التاريخية لتطور النظام الدولى الحديث توضح تعرضه بصفة مستمرة لعوامل التغيير التى أخذت الشكل الثورى على مجرى التاريخ • فالنظام الاقطاعى تميز بتقارب وحداته من حيث الحجم ، القوة الاقتصـــادية والقوة العسكرية وقيام النظام الأوروبى كان نتيجة بروز وحدات ذات ثقل يفوق بكثير ثقل الوحدات الأخرى وأن بقيت أقطاب القوة داخل اطار القارة الأوربية • ومع قيام الحرب العالمية الثانية وصعود الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى الى قمة القوة فى النظام المعاصر مع تعاظم تكنولوجية الحرب النووية وابتعاد أقطاب القوة من القارة الأوروبية كان بمثابة ثورة على نظام الدولة الأوروبية •

فقد تميزت العلاقات الدولية حتى قيام الحرب العالمية الثانية بســيطرة الطابع الأوروبى على النظام العالمى • ومع امتداد هذا الطابع الى قارات أخرى حيث برزت الولايات المتحدة واليابان ، تأثرت مراكز توزيع القوة فى العالم ، وتحولت من المركزية (أوروبا) الى اللامركزية ولكن جهود المفكرين راحت تركز ـ تحت وطأة مخاطر الصدام فى العالم المعاصر ـ عن الظروف الكفيلة باستمرار نماذج التنافس السلمى بين مراكز القوة العالمية والحيلولة دون وقوع مواجهة عنيفة بينها ، وكذلك أسباب الفوضى Chaos والعنف Violence فى العلاقات الدولية المعاصرة •

واذا كانت الصراعات الدينية فى القرنين السادس عشر والسابع عشر قد أدت الى تدمير النظام الاقطاعى وأدى التوسع النازى الى تدمير نظام الدول الأوربية فان الحرب الباردة بكل ما تضمنته من تناقضات أساسية فى القيم والمصالح بين الكتل المتصارعة لم تدمر النظام الدولى المعاصر لأن الفرقاء قد استخدموا وسائل الدبلوماسية ، الدعاية ، التهديد النووى ، التدخل والتخريب ولم يقدموا على وسيلة الحرب الشاملة • ان بقاء واستمرار النظام الدولى المعاصر منوط بامتناع الدول الكبرى عن استخدام السلاح النووى من أجل تحقيق أو الدفاع عن أهداف سياساتها الخارجية •

وبالرغم من بقاء واستمرار النظام الدولى المعاصر ، الا أن ظاهرة الصراع الدولى والعنف المسلح مازالت أحد سمات العلاقة بين وحداته على الصعيد الأقليمى بما تحمله من امكانات للتصاعد فى حدة هذه الصراعات الى حد تورط القوى الفاعلة الرئيسية فى النظام • ويعتقد جانب من الفكر السياسى الدولى أن ظاهرة الصراع التى تعترى النظام تأتى مواكبه لعوامل التغيير الذى يشهدها النظام منذ نهاية الحرب العالمية الثانية • ويجمل هذا الاتجاه الفقهى عوامل عدم الاستقرار فى النظام الدولى فى الآتى :

t.me/montlq

(أ) حـــركة التحـــرر الوطنى :

أسفرت الحرب العالمية الثانية عن أفول نجم الامبراطوريات الاستعمارية الكبرى وتزايد دخول الدول القومية الحديثة الاستقلال الى المجتمع الدولى وعلى الأخص دول العالم الثالث . وتعانى هذه الدول من عدم الاستقرار فى نظمها السـياسية والاقتصـــادية ، الأمر الذى يخلق الفرص للعنف الداخلى والتدخل الخارجى . والدول المتخلفة تواجه ضـــغوطا مكثفة لتحقيق التحرر الوطنى والقضاء على التبعية الخارجية بالاضافة الى ضغوط التغيير الاجتماعى .

وتواجه عملية التنمية فى الدول المتخلفة معوقات اجتماعية وثقافية تؤدى الى خلق ظروف عدم الاستقرار الاقتصادى والسياسى وربما الى الحرب الأهلية التى تعد التربة الخصبة لاجتذاب الأطراف الخارجية ونشوب الصراع الدولى .

ويعد البعض ظاهرة دخول دول العالم الثالث لعضـــوية النظام الدولى المعاصر أخطر المصادر للصراعات الدولية فى هذا النظام . ويرجع سبب ذلك فى تقديرهم الى عدم مقدرة هذه الدول على التكيف مع النظام السياسى الدولى والاندماج فيه والتقيد بضوابطه وأحكامه لعدة عوامل هى :

١ ـ ان النظام الدولى المعاصر قام على أساس التقاليد والقيم الحضارية الأوروبية . فالعلاقات الدبلوماسية وحتى الضوابط على شن وادارة الحروب هى وليدة التجربة والفكر الأوروبى الأمر الذى أكسب النظام الدولى المعاصر فى المرحلة السابقة لانضمام دول العالم الثالث لعضويته درجة عالية من التجانس فى القيم والمعتقدات والسلوك كما تميزت حركة وحداته بالانضباط والتماسك وقد فقد هذا النظام هذا التجانس بانتماء أغلب وحداته الى ثقافات وتقاليد مختلفة ومن ثم فان هذه الدول تمثل بؤرة الصراع والتوتر داخل النظام الدولى سواء بسبب أوضاعها الداخلية أو محاولات القوى الخارجية للسيطرة عليها .

٢ ـ ان عدم استقرار النظم السياسية فى دول العالم الثالث يؤدى الى انعدام القدرة على التنبوء بالسلوك المستقبلى لهذه الوحدات وبالتالى تؤدى التغييرات الداخلية فى هذه الدول الى عدم استقرار النظام الدولى .

٣ ـ ان تزايد عدد الدول حديثة الاستقلال ودخولها الى معترك السياسة الدولية دون امكانات كافية وخبرة سياسية سابقة يدفعبمعظمها الىتكوين محاور وتكتلات ترى أنها كفيلة بتمكينها من مواجهة القوى الدولية الأخرى . وأن قيام هذه المحاور والتكتلات كفيلة باستثارة القوى المستهدفة بها وخلق الشعور لديها

t.me/montlq

بتهديد أمنها القومى • الأمر الذى يدفعها من جانب آخر نحو اتخاذ عديد من الاجراءات والتدابير المضادة بهدف احباط الآثار المحتملة لهذه التكتلات الموجهة ضدها • وأن هذه التدابير والتحركات كفيلة بخلق جو من التأزم فى العلاقات الدولية وسيطرة التوتر على السلوك الدولى سواء بين الدول المتصارعة أو القوى الدولية المساندة لها •

٤ ـ ان علاقات القوتين الأعظم بدول العالم الثالث تشارك بدورها فى زيادة عدم الاستقرار فى النظام الدولى • ذلك أن الاضطرابات الداخلية فى دول العالم الثالث واندلاع الحروب المدنية فيها تدفع بالاحزاب الايديولوجية الساخطة أو الأقليات العنصرية المضطهدة بالسعى للحصول على المساعدات الخارجية ، الأمر الذى يجد فيه الاتحاد السوفيتى فرصة مواتية لضرب ومحاصرة النفوذ الغربى واحلال النفوذ السوفيتى • وفى الجهة المقابلة تسعى الولايات المتحدة للابقاء على الوضع الراهن عن طريق دعم النظم المحافظة فى السلطة بصرف النظر عن شعبيتها ومدى كفايتها لتحقيق التقدم لدولها •

وهذه الظروف المحلية غير المستقرة بالاضافة الى محاولات القوتين الأعظم للتدخل تؤدى الى تحول الصراعات الداخلية الى صراعات دولية والتى تؤثر بدورها على علاقات القوتين الأعظم وبالتالى استقرار النظام الدولى •

ويزيد من حدة الأزمة محاولة كل من القوتين الأعظم والقوى الحليفة استخدام دول العالم الثالث كأداة لتحقيق أهدافها الايديولوجية والسياسية • فالتزام الاتحاد السوفيتى بتحقيق الثورة الشيوعية فى جميع أرجاء المعمورة ـ كهدف ايديولوجى بعيد ـ لا يمكن تحقيقه دون تعرض نظام الدولة القومية لتغييرات جذرية وهيكلية مما يجعل مجرد الاعلان عن هذا الهدف يؤثر فى الاستقرار الدولى •

وبالمثل تسعى الولايات المتحدة ـ وكهدف بعيد ـ نحو خلق عالم يقتصر على نموذج الدولة التى تحقق نموها الاقتصادى وحركتها السياسية من خلال اجراءات ديمقراطية على النمط الغربى • وانه من أجل تحقيق ذلك فان على الدول ان تتبنى سياسات اقتصادية محافظة وأساليب دبلوماسية معتدلة • وهذا الهدف يؤدى الى عدم الاستقرار الدولى ، لأن هناك من لا يريد تحقيق عملية التحديث من خلال المناقشات البرلمانية أو الممارسة السياسية على النمط الأمريكى •

t.me/montlq

(ب) التقدم التكنولوجى :

شهد النظام الدولى المعاصر ثورة فى مجال التقدم التكنولوجى كانت له أبعد الآثار على :

١ ـ فاعلية السلاح وقدراته القتالية بالتطور الذى لحق بتكنولوجيا السلاح النووى وأدوات نقل هذه الأسلحة الى أهدافها · ويترتب على هذه الظاهرة التفاوت الكبير فى القدرات العسكرية لوحدات النظام الدولى المعاصر مقارنة بسلفه وأدى الى التحول من جماعية العلاقات الدولية الى ثنائية هذه العلاقات واستمرار ظاهرة الاستقطاب فى هيكل القوة والنفوذ فى العالم ·

فقد أسفرت الحرب العالمية الثانية عن قصور امكانات الدول الأوروبية الاقتصادية والعسكرية عن حماية أمنها على جانبى الستار الحديدى مما جعلها تعتمد بدرجات متفاوتة على كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى · وبالرغم من التقدم الذى أحرزته أوربا الغربية فى المجالين الاقتصادى والعسكرى النووى ، فان التقدم التكنولوجى فى مجال السلاح النووى للقوتين الأعظم قد أجبر أوروبا بشقيها للاعتماد على الردع النووى الاستراتيجى للقوتين الأعظم ، وكانت النتيجة فقدان أوروبا لجزء كبير من حرية الحركة الدبلوماسية بدرجة تفوق مثيلاتها من حلفاء أثينا واسبرطة فى القرن الخامس قبل الميلاد ·

٢ ـ استبعاد فكرة وامكانية الالتجاء الى الحرب الشاملة كوسيلة لحل الصراع الدولى ·

٣ ـ وسائل الاتصال القومية والدولية · فقد شهدت هذه الوسائل فى ظل النظام المعاصر تقدما كبيرا ظهرت آثاره فى زيادة حركة التكامل القومى داخل وحدات النظام · ومن جانب آخر ساعد التقدم فى وسائل الاتصال الدولية على انتشار المنظمات الدولية الأقليمية والعالمية · ومع نمو أدوات الاتصال انبثقت الأجهزة التى تقوم على التخصص فى مجال نشاط انسانى واحد وقد غطت أنشطة هذه الأجهزة معظم المجالات الحياتية ·

(ج) الضغط السكانى :

يعتبر الضغط السكانى الذى تتعرض له وحدات النظام الدولى المعاصر (المجتمعات القومية) من أهم عوامل عدم الاستقرار والتوتر الذى يعانى منه النظام · والدول التى تعانى من الضغط السكانى هى الدول المتخلفة اقتصاديا التى تعانى

t.me/montlq

من تدنى نصيب الفرد الحقيقى من الدخل القومى بالاضافة الى افتقارها الى المدخرات المحلية اللازمة لتمويل الاستثمار القومى . وهكذا انقسم النظام الدولى الى قطاعين أولهما ويدعى بالشمال المتقدم وثانيهما بالجنوب المتخلف . والعلاقة بين القطاعين تتقاطع مع العلاقات بين الشرق والغرب مما يربط بين الاعتبارات الاقتصادية واعتبارات توزيع القوة العالمية .

ويجادل بعض الكتاب بأن الدول التى تعانى من الضغط السكانى تجد نفسها مدفوعة للحصول على مجال حيوى يمكن أن يستوعبها . ومن جانب آخر تضطر الدول قليلة السكان الى اتخاذ اجراءات دفاعية ضد الخطر القادم مع سياسات الدول المكتظة سكانيا . ويؤكد هؤلاء الكتاب أن التزايد الكبير فى عدد السكان سوف يقود فى المستقبل الى أزمة عالمية طاحنة ، ويرجع ذلك فى تقديرهم الى أن امكانات الكرة الأرضية محدودة والمجال الحيوى محدود وليس بوسعه استيعاب كل هذه الضغوط .

ويحذر هذا الاتجاه من أن اخفاق جهود التنمية الاقتصادية فى الدول المتخلفة وفشلها فى رفع مستوى معيشة شعوبها فان العالم سوف يشهد ممارسة للسلوك العدوانى من جانب الدول الجائعة الباحثة عن مخرج للضغوط السكانية. فالزيادة فى معدلات النمو السكانى ـ فى اعتقادهم ـ تؤدى الى زيادة مماثلة فى التوترات الدولية وعدم الاستقرار وقد يصل ذلك الى درجة تهديد الحضارة العالمية المعاصرة .

ويعتقد بعض الكتاب بوجود دورة سكانية تخضع لها كل دولة فى تطورها وهى تبدأ بالنمو البطىء ثم مرحلة الانفجار ثم مرحلة الاستقرار والتوازن بين المواليد والوفيات فى الدولة .

تقويم نظريات النظام الدولى :

تقوم نظريات النظام الدولى على افتراض مؤداة أن النظام الدولى هو مجرد تفاعل بين الأجزاء المكونة لهذا النظام ، وأن كل جزء منها يتكون بدوره من مجموعة تفاعلات لأنظمة فرعية أخرى .

والعلاقات الدولية ـ من منظور نظريات النظم ـ عبارة عن تفاعل بين وحدات النظام الدولى ولكنها لا تشرح العلاقات الدولية فى واقعيتها وتكتفى بالاشارة الى أن السلوك الدولى هو نتيجة لآلاف من عمليات التفاعل بين وحدات النظام الدولى والوحدات الفرعية .

t.me/montlq

ونظرية النظام الدولى تفترض أن أى دولة تحتل موقع من النظام سوف تقدم على سلوك دولى معين بصرف النظر عن طبيعة نظامها السياسى ومزاج قادتها . فالنظرية تجعل من حركة السياسة الدولية أقرب الى الحركة الميكانيكية وهى كلية لأنها لا تتألف من عناصر خارجية تراكمية مستقلة عن الكل بل تكون من عناصر داخلية خاضعة للقوانين المميزة للنسق ، وهى ظواهر متماسكة يتوقف كل منها على ماعداه من أجزاء البنية .

واذا كانت نظريات النظام الدولى تشرح السلوك الدولى من خلال التفاعل بين القوى الفاعلة فى النظام فانها لا تشرح جزئيات عملية التفاعل والكيفية التى تتم بها فى الواقع العملى . وتقتصر نظرية النظام الدولى على تقديم كيفية عمل النظام فى صورة سلسلة اجرائية ومرحلية مجددة . وتبقى أمام هذه النظريات توضيح ما يلى :

١ ـ مدى مساهمة كل نظام فرعى فى عملية التفاعل التى تتم فى اطار النظام الدولى .

٢ ـ القدرة على تحليل هيكل النظام الدولى خلال فترة زمنية محددة والقدرة على التنبوء بالتحويلات التى يمكن أن تعترى هذا الهيكل .

٣ ـ تحديد التغيرات التى تحدث فى النظام الدولى ككل وكذلك فى كل أجزائه الفرعية كل على حدة .

t.me/montlq

خلاصـــــــة :

ان ظاهرة الصراع الدولى عملية غاية فى التعقيد ويستحيل على الباحث المدقق ارجاعها الى سبب واحد يحدد البداية ويحكم المسار . واذا جاز ارجاع الصراع الدولى الى الناحية النفسية نتيجة لتراكم القلق داخل النفس البشرية ليصل الى نقطة تتحول فيه هذه التوترات الى صراع واسع النطاق فمن الجدير أيضا الاشارة الى أن العوامل النفسية والخصائص البشــرية يمكن أن تمثل ظروف اندلاع الصراع وليس سببا لاندلاعه .

وبالرغم من أن معظم الصراعات الدولية العضوية (الحرب) قد وقعت بناء على قرارات بشرية واعية توافر فيها ، درجة معينة ، من الحرية فان التاريخ المعاصـــر ـ نتيجة لميزان الرعب النووى ـ بدا يتفهم امكانية وقوع الحـرب العرضية . والقرار السياسى شرط ضرورى لوجود الصراع الدولى ومنه يستمد طبيعته العقلية ذلك أن القرار عملية تتم بناء على ادراك وتصور عقلى . ولكن القرار فى حد ذاته هو محصلة لضغوط شـــخصية وموضوعية تمهد له وتفرض معطياته .

والعوامل الاقتصادية ليس بمقدورها ـ منفردة ـ تفسير ظاهرة الصراع الدولى ، فالأوروبيون اشتبكوا فى حروب على مدى سنين طويلة لأسباب دينية بصرف النظر عن تقدير العقل الأوروبى المعاصر لهذه الصراعات بأنها قامت لأسباب غير معقولة .

والحاجة الى القوة القومية يمكن أن تكون سببا للصراع الدولى ولكنها لا يمكن أن تكون السبب الدائم والوحيد فالدولة لا يمكن أن تعرض بقائها القومى للخطر من أجل الاستزادة من القوة .

وتقدم نظريات النظام الدولى نظرات فاحصة فى عملية التفاعل بين القوى الفاعلة الدولية وتأثر السلوك الدولى الصراعى بهذه العملية ولكن هذه النظريات يغلب عليها الطابع الكلى والسلوك الميكانيكى مع التقليل من العوامل الذاتية .

ويمكن القطع بافلاس العنصر الواحد فى تفسير ظاهرة الصراع الدولى . فالعنصر الواحد مهما كانت وجاهة الأدلة والحجج التى يستند عليها لا تنهض

t.me/montlq

الدليل القاطع على ديمومته ووحدانيته كسبب للظاهرة · فالمجتمعات القومية تشتبك فى صراع بهدف الاقلال أو ازالة التهديد الموجه لأمنها ، قيمها ، نظمها الدينية ، السياسية ، الأيديولوجية ، الاقتصادية الاجتماعية والثقافية ·

ويحذر كوانس رايت من اعتماد منهاج بسيط لمعالجة مشكلة الصراع الدولى فهى ظاهرة معقدة تتضمن العديد من الأسباب : سياسية تكنولوجية ـ قانونية ـ ايديولوجية ـ اجتماعية ـ دينية ـ اقتصادية ـ ونفسية ·

ان فهم ظاهرة الصراع الدولى يفرض عدم تجاهل العـــوامل القومية والدولية ، طبيعة النظام الدولى ، نظام الدولة الحديثة ، شعور الشرائح المختلفة فى المجتمع القومى ، أثر الرأى العام على عملية صنع القرار للسياسة الخارجية، ميل الحكومة للاعتماد على القوة كأداة للسياسة القومية ، استقرار الوســط الاستراتيجى على الصعيد الاقليمى والدولى ، نوع القيادة الحاكمة وجهازها الدبلوماسى ، ومدى فاعلية الأجهزة المناطة بتسوية المنازعات ·

ونخلص الى أن ظاهرة الصراع الدولى من غير الممكن الاعتماد على عنصر واحد أو منهاج بحث مفرد لتفسـيرها فلا يســـتطيع المنهاج الميكروكوزمى أو الماكروكوزمى ، ولا المنهاج البيولوجى ، النفسى ، الاجتماعى والانثروبولوجى ، أن يفسر لنا الظاهرة أو أن يقدم أى منها فى اطار مفاهيمى كاف لفهم الصراع البشرى بصفة عامة أو الصراع الدولى على وجه الخصوص ومع ذلك فان الجمع بين كافة هذه المناهج هو الأسلوب العلمى الذى لابد وأن يحدد الأسباب ويحدد المسار وبالتالى يمنحنا القدرة على تحاشى الظاهرة أو مجابهتها بالحل والتسوية الســـــلمية ·

t.me/montlq

محتويات الكتاب

t.me/montlq

الموضوع — رقم الصفحة

الفصـــــل الثانى

الاطار المفاهيمى لنظرية الصراع الدولى

t.me/montlq

الموضوع رقم الصفحة

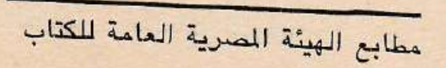
الفصل الثالث

نظريات الصراع الدولى

t.me/montlq

رقم الايداع ٨٦/٤١٧٠

الترقيم الدولى ٧ ـ ١٠٤٧ ـ ٠١ ـ ٩٧٧



مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

t.me/montlq

يتقدم الصراع الدولى فى الأهمية كافة أشكال الصراع البشرى بسبب ما ينطوى عليه من مخاطر تهدد بوقف مسيرة الحضارة البشرية ، لذلك استحوز هذا الصراع على اهتمام البشرية المعاصرة . ويقدم هذا الكتاب إجابة علمية للسؤال التاريخى الذى يواجه البشرية منذ نشوء المجتمع الدولى وهو : لماذا تتصارع الدول ؟ . ويأتى هذا العمل العلمى ليملأ جانباً من الفراغ الكبير فى المكتبة العربية فى مجال الدراسات الدولية والأستراتيجية .

ويقدم هذا الكتاب أبعاد ومضمون نظرية الصراع الدولى كشرط أولى لكى تمتلك الدولة المعاصرة القدرة للتحكم فى مصيرها ومواجهة الصراع مع خصومها . ويعتبر هذا الكتاب مساهمة علمية جادة تقدم للقارىء العربى رؤية واضحة ومحددة فى كثير من القضايا التى تشارك فى صنع مستقبل المنطقة .

٢٢٥ قرشـــاً

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب